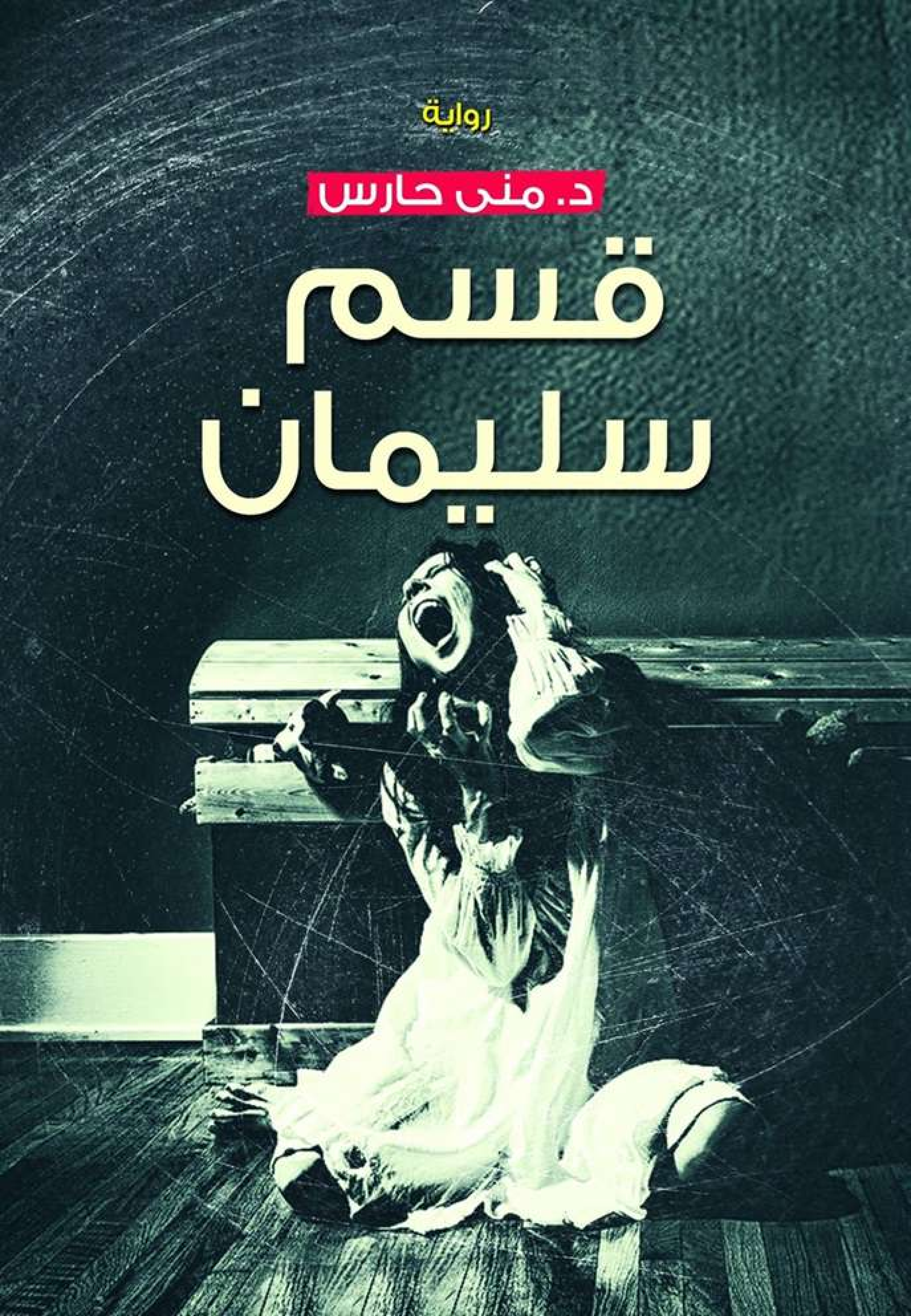

رواية
د. منى حارس
قسم
سليمان

قَسَم سُليمان

الكتاب: قسم سليمان

الكاتب: منى حارس

تصميم الغلاف:

تدقيق لغوي:

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

الطبعة الأولى: 2017



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت:35860372 02 -27772007 011

Noon_publishing@yahoo.com

منى حارس



رواية



إهداء

إلى ذلك الشيء الغامض الذي مازال صوته يتردد في أذني...

ولا أدري إلى متى سيظل شبحه يطاردني ...

يخرج لي من الظلمة ليؤنسني...

فيصرخ بفزع في أذني ...

فلا أجد أمامي إلا قلمي ...

أكتب به ما يأمرني ...

فشكرًا لك أيها الشيء..

على ما فعلته من أجلي....

منى حارس

المقدمة

وماذا سيحدث إن اصطادك هو بدلًا من أن تصيده أنت ؟؟

فأنت لم تفعل شيئًا بالحياة سوى التمني ، نعم التمني فكل ما كنت تريده وتتمناه بالحياة الثراء السريع والقصر الكبير والأموال الكثيرة وربما عروس جميلة لن تضر فوق البيعة.

ولكن كيف ستحقق كل هذا يا عزيزي وأنت لا تملك شيئًا بتلك الحياة الكبيرة حتى إنك لم تحصل على وظيفة جيدة بعد تخرجك من الجامعة وسنين الدراسة الطويلة المملة، والمصاريف الكثيرة التي أنفقتها أسرتك على الدروس الخصوصية والتعليم التي مازال يذلك بها والدك كلما رأى وجهك أمامه فلقد رفضت كل الوظائف التي أحضرها لك أصدقائه متحججًا بأنك لابد أن تعمل بشهادتك، فقل لي من في هذا البلد يعمل بشهادته ؟؟

حتى إنك رفضت أن تسرح بعربية الترمس على الكورنيش وربما مازلت تأخذ مصروفك من والدتك قبل الخروج من المنزل بدون علم والدك، فلقد رفض كبرياؤك حتى بيع الذرة المشوية على الطريق كما تمردت على عربة الترمس من قبلها، يبدو أنك نمرود ولا يعجبك شيء ولا مهنة بالحياة

فقل لي فماذا ستفعل لتحقيق أحلامك الكثيرة وطموحاتك التي لا تنتهي ولا تتوقف عند شيء ؟

إنـه أمـرٌ بسـيط فـما عليـك عملـه أن تقـوم بتحضـير جنـي قـوي يلبـي لـك كل رغباتـك وكل مـا تريـد ويحقـق لـك كل مـا تتمنـى في الحيـاة، فهـل تـرى؟ فـإن الحيـاة سـهلة وبسـيطة ولا تحتـاج للكثـير مـن التعقيـد والتفكـير الكثـير ولا بيـع الـذرة ولا الترمـس في الطرقـات ... نعم ..

تحـضر جنـي ولقـد قـرأت الكلمـة جيـدًا ولم تخطئهـا عينـاك، جنـي ولكنـه ليـس كجنـي عـلاء الديـن الـذي خـرج لـه مـن المصبـاح لينفـذ لـه كل مـا يريـد فليسـت الحيـاة بتلـك السـهولة والبسـاطة، كـما أنـه لم تعـد هنـاك فوانيـس سـحرية تبـاع تلـك الأيـام للأسـف ، وإلا لابتـاع كلا منـا واحـدًا فلقـد تغـير كل شيء فى الحيـاة فلـم تعـد الفوانيـس مسـحورة كـما كانـت مـن قبـل، فـما عليـك سـوى أن تحـضره بنفسـك ..

نعـم سـتتعب قليـلًا ولكـن لا يهـم، فهـذا أفضـل مـن بيـع الترمـس والـذرة في الطريـق ألا تتفـق معـي في هـذا ؟ .

سـتجلس في غرفـة مظلمـة وحيـدًا إلا مـن شـمعة مشـتعلة بعـد منتصـف الليـل، سـتتلو بعـض الكلـمات مصحوبـة باسـم الجنـي بصـوت عـالٍ يهـز جـدران المنـزل فالجنـي يحـب أن تتوسـل إليـه فكـرر الكلـمات ٣٣ مـرة بنفـس القـوة لا تخـف وكـن قويًـا .

بعـد قليـل انتظـر ستسـمع نقـرًا خفيفًـا عـلى الجـدار، كأن هنـاك مـن يسـتأذنك بالدخـول، هـا قـد حـضر صاحبنـا أحـد عـمار المنـزل لا تـتردد كثيرً ا

اسـمح لـه بالعبـور وأعطـه الإذن وقـل لـه تفضـل أيهـا العامـر، واطلـب منـه أن يثبـت وجـوده ويحـرك لـك بعـض الأشـياء ولكـن حـذار فابتعـد عـن أي شيء بتلـك اللحظـة فربـما قذفـك بهـا في وجهـك

فيفقدك الوعي أو يعجبه جسدك فتخذة مسكنًا له، فكن حريصًا و أذكى منه، و أبعد أي شيء ثقيل من الغرفة قبل التحضير..

ها قد أثبت الجني وجوده وشاهدت الأشياء تتحرك بالغرفة بمفردها، أغمض عينك قليلًا و خذ نفسًا عميقًا واستعد لما هو قادم لتنفيذ أوامره..

نعم أوامره هو التي سيشيب لها شعر رأسك قريبًا فلا تقلق يا عزيزي ..فكل شيء سيمر سريعًا

فربما تمنيت الموت والخلاص من حياتك وقتها لتتخلص من مطاردته لك ومطالبه التي لا تنتهي، فكلما أحضرت له شيئًا طالبك بالمزيد ولن يتوقف ووقتها ...فلقد أعجبه الأمر بشدة وأعجبته حياتك حتى عربية الترمس التي تمردت عليها ورفضتها فلقد أعجبته وأصبحت أنت وكل ما تملك ملكه هو.

فإن كنت تعتقد بأنه بإمكانك اصطياده فأنت مخطئ..

فحتى الجن تغيروا كثيرًا هذه الأيام ولم يعودوا مسالمين كما كانوا من قبل ...ثق في ذلك

د: منى حارس

***

الفصل الأول

الدرويش

جلست شاردة الذهن على مقعدها بالطائرة تنظر إلى النافذة الزجاجية بجوارها بشرود وجلس هو بالمقعد المجاور لها ينظر إليها بغضب وحنق بوجه عابث فلقد أصر على السفر معها و عدم تركها تعود إلى مصر بمفردها بعدما أصرت على الرحيل أمس.

فترك القافلة وترك كل شيء خلف ظهره في غينيا وعاد معها إلى مصر من أجلها فقط.

فهي أول و أخر حب في حياته كلها فلم يشاء أن يتركها وهي بتلك الحالة الغريبة والهذيان، ولكنها لم تقدر كل هذا وما فعله من أجلها، فلم تتكلم أو تفتح فمها بكلمة واحدة منذ أن غادرا الفندق بغينيا وحتى استقلا الطائرة عائدين إلى مصر.

لم تشكره حتى على ما فعله معها أمس وإنقاذها من أيدي الأفارقة المحليين بالسوق هي وزميلاتها.

فلولا وجوده بتلك اللحظة لكانوا فتكوا بهن وأكلوهن أحياء!!

أخذت مضيفة الطائرة تردد بالانجليزية بصوت رقيق :

«على جميع السادة الركاب الالتزام بمقاعدهم والتأكد من ربط أحزمة الأمان ستقلع الطائرة بعد لحظات»

كانت هي شاردة تمامًا في زمان ومكان أخر لا تشعر بأي شيء يدور حولها ولا حتى بوجوده بجوارها على متن تلك الطائرة العائدة إلى الوطن فكانت تفكر في ذلك الحلم الغريب الذي راودها أمس .

فلقد رأت الشيخ الجليل الذي كان يزورها من وقت لأخر وكانت تشعر بالأمان والراحة لمجرد النظر إلى وجهه المنير ولكنه كان غاضبًا منها تلك المرة بشدة رغم أنها لم تفعل شيئًا ولا تدري لماذا هو غاضب منها فلقد نفذت ما كان يريد، وابتعدت عن كل شيء عن المنزل وعن أختها وعن مصر كلها وتركت كل شيء خلف ظهرها ورحلت إلي غينيا ؟؟

حاولت أن تسأله عن سبب غضبه منها وما معنى كلام تلك المخرفة المجنونة والتي أخبرتها بأنها جلبت الشر معها إلى البلاد، تلك المرأة الإفريقية السوداء التي يلقبونها بساحرة فودو؟

هي لا تفهم و لا تعرف حتى معني الكلمة ربما عرفت معنى كلمة ساحرة أي مشعوذة ودجالة تمارس السحر الأسود أو الأحمر حتى لا يهم اللون ولكن ما معنى كلمة فودو فهل حقا هي ديانتهم هناك ؟!

هزت رأسها بعنف بأنها لا تعرف، وكان هو لم يزل ينظر إليها بغيظ وغضب فمنذ أن قررت السفر وترك القافلة الطبية الوقائية التي أرسلتها وزارة الصحة إلى غينيا وغادرت الفندق وحتى الآن لم تنطق بكلمة واحدة معه، ولم تشكره حتى على مساعدته و إنقاذها

من الأفارقة بالسوق الذين كانوا سيفتكون بهم يومها بسبب كلام تلك المشعوذة الشمطاء التي يلقبونها بساحرة الفودو التي صرخت في الناس بأن الفتاة جلبت الشر معها إلى البلاد فتوتر الموقف بشدة وكادوا يقتلون الفتيات بالسوق وربما سلخوا جلودهن وعلقوهن بشجرة السحرة هناك.

فقال محمود بغضب يشوبه القلق :

ـ نيرمين هل أنت بخير الآن..؟

ولكنها لم ترد عليه أو تسمع حتى سؤاله فكانت مشغولة العقل والفكر في عالم أخر تحاول ربط كل تلك الأمور برأسها لتصل إلى أجوبة مقنعة عما يحدث لها ولمن حولها ، ففكرت بأن كل ما يحدث لها بسبب وصية الأم قبل موتها ..

فهزت رأسها بمعنى لا ...

وهمست لنفسها :

ـ لا إن الوصية ليست البداية بل إن تلك الكوابيس اللعينة التي كانت تهاجم أمها ومرضها الغريب وذلك الدرويش الذي كان يطارد الأم في أحلامها هم البداية...

وهنا عادت بذاكرتها لتتذكر فعبرت بذكرياتها حدود الزمان والمكان لتقف عن بداية قصتها هناك في الإسكندرية وخصوصًا في منطقة أبو قير ..



البداية

وقف بثبات بثيابه البيضاء الواسعة فوق ذلك الجبل العالي ينظر إليها بغضب وبعيون واسعة مشقوقة طوليًّا زرقاء .

لم تكن تستطيع روية شيء منه سوى عينيه الزرقاء المشقوقة طوليًّا وليس عرضيًّا كباقي البشر وحدقته البيضاوية، وليست دائرية كباقي البشر وأذناه الطويلة الشبيهة بأذن الحصان، وشعره الأسود الطويل إلى أسفل ركبتيه كانت بشرته سوداء قاتمة كالأفارقة شكله غريب ومفزع يثير الرعب في النفس والاشمئزاز معًا، كان طويل القامة يصل طوله لأكثر من مترين ووجهه طويل على شكل مستطيل .

من هو لا تدري؟! من يكون إنه شيخٌ كبيرٌ يرتدي « جلباب فضفاض أبيض طويل » يتطاير مع الهواء الشديد من حوله يمينًا ويسارًا

ولكنه بالرغم من الرياح الشديدة والهواء الذي يحرك كل شيء بجانبه وقف هو بثبات ينظر لها من أعلى قمة الجبل، كانت هي خائفة مذعورة لا تعرف أين هي ؟ ومن هذا الشيخ؟

ومن أتى بها إلى ذلك المكان الغريب وهمست لنفسها بتعجب كيف تستطيع رؤية وجه الدرويش رغم ارتفاع الجبل ؟

هزت رأسها بعنف وهي تردد :

- درويش ومن قال لي بأن الرجل درويش ؟

وهنا ذكرتها الكلمة بزوجها فلقد علمها كيف تتعرف عليهم وتتعامل معهم، فهم أصحاب كرامة ومن أولياء الله الصالحين، فإن رأت درويشًا لابد من تنفيذ أوامره مهما كانت مستحيلة، كانت تعرف بأن زوجها كاذب ومخادع ودجال ولكنها كانت تصدق وتؤمن بالدراويش أصحاب الكرامات والذين يجب أن يطاعوا وتنفذ أوامرهم في الحال .

قالت بصوت مهزوز خرج بصعوبة من حلقها الجاف :

-ماذا تريد مني أيها الدرويش ؟؟

لم يرد عليها الرجل ولم تسمع صوته ولكنه أشار بيديه إلى طفلتين صغيرتين لا تستطيع تفريقهما عن بعض من شدة تشابههما، توأم متماثل كانتا تجلسان بجواره فوق الجبل بدون ثياب تلهوان و تلعبان بالحصى...

تحبو إحداهما نحو الهاوية حتى كادت تسقط من فوق الجبل وهنا صرخت المرأة بفزع ليست من يد الدرويش التي تنتهي بثلاث أصابع طويلة بنهايتها شيء يشبه المخلب ولونه أسود ومثني بطريقة غريبة وتثير الغثيان ولكنها صرخت؛ لأنها عرفت الطفلتين إنهما بناتها التوأم « نيرمين و ناردين».

أخذت الطفلة الصغيرة نيرمين تحبو إلى حافة الجبل، ووضعت إحدى يديها على سطح الجبل والأخرى في الهواء وهمت بإكمال طريقها فإن تحركت الصغيرة حركة أخرى ووضعت يداها ستضعها على الهواء وستسقط من فوق الجبل لا محالة صرخت الأم بفزع :

-لاااااا نيرمين ارجعي يا ابنتي..بالله عليك

وهنـا نظـر الرجـل إليهـا وشـاهدت شـبه ابتسـامة سـاخرة عـلى شـفتيه الكبيرتـين المقلوبـة للخـارج صرخـت متوسـلة بفـزع :

-أرجـوك أبعدهـا عـن الحافـة أيهـا الدرويـش ستسـقط ابنتـي وتموت...ابتعـدي يـا ابنتـي .

وهنـا تحركـت الطفلـة فسـقطت مـن فـوق الجبـل العـالي وهنـا سـمعت صـوت الرجـل يـصرخ بصـوت عـالٍ :

-أعيـدي النسـل إلى صاحبـه وإلا هلـك ...أعيـدي النسـل إلى صاحبـه وإلا هلـك.

صرخـت الأم وهـي تبكـي بلوعـة تـرى ابنتهـا تسـقط أمـام عينيهـا ولا تسـتطيع فعـل شيء لإنقاذهـا وصـوت الدرويـش يـتردد بأذنيهـا :

-أعيـدي النسـل إلى صاحبـه وألا هلـك ...أعيـدي النسـل وإلا هلـك..

صرخت ودموعها تتساقط بحسرة وقلبها يتمزق بألم :

-نيرمين لا تموتي يا ابنتي .... نرميييييييييييييييييييييييين

وهنـا شـعرت بمـن يدفعهـا بقـوة ويهـز جسـدها وسـمعت الصـوت يـتردد بعقلهـا :

-اسـتيقظي يـا أمـي بـالله عليـك، إنـه كابـوس يـا حبيبتـي ..هـل هـو نفـس الكابـوس الـذي يـراودك منـذ مرضـت يـا أمـي .؟؟

لم ترد على الفتاة...

فتحـت المـرأة عينيهـا ببطـيء وهـي تنظـر حولهـا بفـزع ..فوجـدت نفسـها ممـدة عـلى فـراش وفي حجـرة صغـيرة بهـا سريـر ودولاب صغـير

ومائـدة عليهـا الكثـير مـن الأدويـة ودورق كبـير للـماء وكـوب مـاء صغـير فـارغ.

وفتـاة شـابة تجـاوزت العـشرون عامًـا بقليـل ذات وجـه أسـمر وعيـون سـوداء واسـعة وأنـف كبـير قليـلًا مثقـوب من الجنـب الأيـسر و تضـع بـه حلـق ذهـب صغـير، وشـفتان رقيقتـان وشـعر أسـود قصـير بالـكاد يغطـي أذنيهـا وممتلئـة الجسـد قليـلًا وتطيـل أظافرهـا بطريقـة غريبـة ترتـدي قميـص نـوم قطـن قصـير أخـضر اللـون عليـه رسـمة كبـيرة لإحـدى رسـوم ديـزني الشـهيرة بـدون أكـمام فيظهـر إحـدى الرسـومات الغريبـة المرسـومة بطـول الـزراع مـن بدايـة الكتـف وحتـى نهايـة الكـوع، إنـه وشـم كـما يسـمونه ولكنـه غريـب فـلا أحـد مـن صديقاتهـا اسـتطعن تقليـده أو فهـم ماهيتـه.

كان الوشـم عبـارة عـن مخلوقـات غريبـة تشـبه البـشر كثـيرًا، ولكـن عيونهـا مختلفـة فهـي مشـقوقة بالطـول ولونهـا أحمـر وحدقتهـا بيضاويـة وليسـت دائريـة ولونهـا أحمـر دمـوي، لهـم آذن طويلـة كأذن الحصـان كانـوا يقفـون عـلى قدمـين عاريتـين ذات أصابـع طويلـة ولـكل منهـم ذراعـان مـن الجوانـب كالبـشر وذراع آخـر ثالـث خـرج مـن منتصـف البطـن كل ذراع ينتهـي بثلاثـة مخالـب سـوداء مثنيـة وكل كائـن يمسـك بـذراع الآخـر ويصنعـون دائـرة مغلقـة إلا الكائـن الأخـير فلقـد مـد إليـه مـن بجـواره يـده ليكمـل الدائـرة ولكنـه وقـف يبتسـم سـاخرًا ولم يكملهـا ...كان المخلـوق الأخـير هـو الوحيـد الـذي يرتـدي ثيـاب بالوشـم وباقـي المخلوقـات عرايـا بـدون ثيـاب يغطـي جسـدهم شـعر أسـود طويـل إلا رؤوسـهم فكانـت صلعـاء لم تكـن بهـا شـعره واحـدة ..هـو الوحيـد الـذي لـه شـعر طويـل يمتـد إلى أسـفل ركبتيـه حـاول الكثيريـن تقليـد الوشـم ولكنهـم لم يسـتطيعوا مـن شـدة إتقانـه ودقتـه؛

فلقـد رسـمته الفتـاة بنفسـها عـلى ذراعهـا وكان كل مـن يـراه يتعجـب كيـف اسـتطاعت الفتـاة التحكـم بالإبـرة ورسـمه عـلى ذراعهـا الأيـسر، ولكنهـا كانـت موهوبـة منذ الصغـر بالرسـم والزخرفـة ...لم تكـن الفتاة متفوقـة بدراسـتها فاكتفـت بدبلـوم صنايـع قسـم زخرفـة وبعـد الدبلـوم عملـت بإحـدى مراكـز الوشـم الشـهيرة بإحـدى مراكـز التجميـل الكبـيرة فكانـت الفتـاة ماهـرة وبارعـة في الرسـم عـلى الجسـد.. ورسـم الوشـم في أي مـكان بالجسـد فرسـوماتها كلهـا غريبـة ومميـزة ولا أحـد يسـتطيع تقليدهـا ومنافسـتها في مهنتهـا ..

إنها ناردين ابنتها ..

كانـت الفتـاة تقـف فـوق رأسـها وتمسـك بكـوب مـن المـاء البـارد قائلـة:

-إنـه كابـوس يـا أمـي لا تقلقـي أنـتِ بخـير ..فمنـذ مرضـك وتهاجمـك الكوابيـس ولا تريديـن إخبـاري عـن هـذا الكابـوس ؟؟؟

صرخت الأم بلوعة:

-أين أختك نيرمين ؟؟

-إنهـا بالمستشـفى يـا أمـي لا تقلقـي عليهـا فهـي بخـير اهتمـي بصحتـك أنـتِ، وخـذي الـدواء .

وهنـا مـدت يدهـا بالـدواء لـلأم وكـوب المـاء فشـاهدت الأم الوشـم عـلى ذراع ابنتهـا وشـاهدت ابتسـامة الكائـن السـاخرة عـلى ذراعهـا فصرخـت بفـزع :

-الدرويـش لمـاذا ترسـمين الدرويـش عـلى ذراعـك يـا ناردیـن وهنـا زفـرت الفتـاة بقـوة ، فلقـد تناسـت و أتـت الغرفـة دون أن ترتـدي

شيء بأكمام لتخفي الوشم من على ذراعها فأمها لا تحب الوشم ولا تحب رسوماتها الغريبة التي ترسمها

فردت الفتاة :

-اهدئي يا أمي من فضلك فهذا ليس درويش ولا أي شيء أخر إنها رسمه رسمتها عادية وشم يا أمي وليس ما تقولين.

نظرت لها الأم بفزع و هي ترى الدرويش بذراع ابنتها يبتسم لها ساخرًا فتذكرت الحلم وسقوط ابنتها نيرمين من فوق الجبل وأخذ كلامه يتردد في عقلها :

-أعيدي النسل إلى صاحبه ...

وهنا صرخت في وجه ابنتها:

- اتصلي بأختك وقولي لها أن تعود إلى البيت الآن هل تفهمين يا ناردين؟ فليس هناك وقت لكل هذا فلقد اشتد المرض وحانت لحظة النهاية أنا سأموت وأريد رؤية أختك الآن.

صرخت ناردين بفزع ودموعها تتساقط على خدها:

-لا تقولين هذا الكلام يا أمي أرجوك ...أنتِ بخير..فلا تهولين الأمور من فضلك.

-لا يا ناردين أنا لست بخير ..أريد رؤية نيرمين الآن قبل فوات الأوان فلابد أن أخبركما بشيء هام يا ابنتي اتصلي بها بالله عليك سريعًا فلقد حان وقت الرحيل.

أسرعت الفتاة تغادر الغرفة وهي تبكي لتتصل بأختها التوأم المتماثل نيرمين كانت تعلم بأن أمها ليست بخير فلقد انتشر الورم في كل جسدها كما أخبرهم الطبيب بطريقة غريبة ومرة واحدة ...

وبالرغم بأنه كان ورمًا حميدًا وحجمه صغير وتم استئصاله ولكنه انتشر بعدها بالجسد بدون سبب وليس هناك أمل في العلاج وكان الموت رحمة بها لترتاح من آلامها المبرحة التي تحاول أن تداريها عنهما.

ولكنهما كان يشعران بها ويشعران بآلامها الشديدة وعذابها وكان يتمنيان لها الموت رأفة بحالها.

فلقد تعبت معهما وربتهما عندما مات أبوهما وهما صغيرتان لا تعيان شيئًا عن الدنيا ولا حتى يتذكران شكله.

فكل ما يعرفانه في الدنيا هي أمهما التي تعبت من أجلهما ومن أجل أن توفر لهما حياة كريمة من مأكل ومسكن ومشرب وتعليم وكل شيء، فكانت تعمل في أحد مصانع الملابس الجاهزة عاملة.

وبعدها اشترت ماكينة خياطة وكانت تخيط الملابس للنساء والأطفال بجانب عملها بالمصنع، فكانت الأم تحاول أن توفر لبناتها حياة كريمة ولا تجعلهما يحتاجان شيء من أحد وخصوصًا بأنهما وحيدتان بالدنيا وليس لهما أي أقارب بعد موت خالهما حسام الذي كان يزورهما من وقت لآخر عندما كانتا صغيرتين.

ولكنه مات في حادث سيارة وأصبحن وحيدات بالحياة وبدون سند وها هي الأم يبدو بأنها سترحل هي الأخرى وتتركهما وحيدتان بالحياة.

أسرعت نادين لتحاول الاتصال بأختها التوأم نيرمين بالمستشفى الميري التي تعمل بها، فلقد تخرجت أختها من معهد التمريض وتم تعينها بإحدى المستشفيات الحكومية بمحافظة الإسكندرية، كانت المستشفى بعيدة عن المنزل الذي يقيمون فيه

بأحد أحياء أبوقير، وكان الوقت منتصف النهار وهي تعلم بأن أختها لن تصل في الوقت المناسب أبدا فحالة أمها ساءت كثيرًا عن أمس تمنت ناردين من الله أن تصل أختها سريعًا وتشاهد الأم وتريح قلبها حاولت دعاء الله، ولكنها لم تستطع وكيف تدعو الله وهي تعرف بأنه غاضب منها ولن يتقبل دعائها هي تعلم بأنها عاصية مخطئة لا تصلي أو تركع لله لا تؤدي فروضها وما يجب عليها فعله كمسلمة، لا ترتدي الحجاب فهي تؤمن بأنها مسألة شخصية ولا يحق لأحد غيرها أن يتدخل في حياتها، كما أنها تعمل برسم الوشم فتدق الرسوم بالإبرة على الجسد فتخرج الدماء وتصبغ الرسم بالأصباغ والألوان ليحل محل الدم الذي يسيل حتى لا تمحي الرسم فتصبغ الجلد وهي تعرف بأن مهنتها حرام فلقد حرم النبي عليه الصلاة والسلام الوشم وتغيير خلقة الله التي خلق الإنسان عليها بتغيير لون جلده.

هي تعرف ذلك ولكنها تحب مهنتها ولا تستطيع التخلي عنها فهي تجلب لها أموالًا كثيرة وهي تحتاجها لمصاريفها الشخصية وحياتها وثيابها وتحتاج الأموال لأشياء كثيرة فليس هناك من يصرف عليها قرشًا واحدًا بعد مرض الأم طريحة الفراش منذ شهور فمن سيهتم إن كان مصدر الأموال حرام أم حلال الآن .

ولكنها تتمنى من الله أن يغفر لها ويسامحها ويتقبل منها الزكاة التي تقوم بإخراجها لتطهير أموالها .

فعلى من تضحكين يا صغيرتي على الله ؟

رفعت ناردين سماعة الهاتف الأرضي لتتصل بالمستشفى التي تعمل فيها أختها فلقد كان تليفون أختها المحمول مغلق :

-من فضلك أعطيني الممرضة نيرمين درويش السيد فإن الحالة طارئة وأمها تموت.

-إنها بغرفة العمليات يا أنسة عندما تخرج سأبلغها

-لا أرجوك الآن فليس هناك وقت وأمها تموت وتريد رؤيتها.

-سأرسل في إبلاغها وأرسل من تحل مكانها لا تقلقي يا آنسة .

أغلقت ناردين السماعة وهي تدعو الله أن تأتي نيرمين في الوقت المناسب فهي تشعر بالراحة بوجودها معها، فهي تعرف نفسها بأنها متهورة ومجنونة أحيانًا، ولكن نيرمين توأمها المتماثل هي من تعيدها دائمًا للطريق الصحيح فهي تستمد القوة بوجود أختها بحياتها همست بلوعة:

-أين أنتِ يا نيرمين الآن فأنا احتاجك يا أختي وأمك تموت.. فلا تتأخرين أرجوك فليس هناك وقت..

****

هل حقيقة بأن التوأم يستطيعان التواصل مع بعضهما البعض حتى ولو بعدت بينهما المسافات فهذا ما حدث هنا فلقد سمعت نيرمين استغاثة أختها وطلبها للمساعدة ..

كانت صورة طبق الأصل من أختها مع اختلاف الأنف فلقد كانت نيرمين أنفها أصغر قليلًا وكان شعرها أسود ناعم طويل، ولكنها كانت تغطيه فلقد كانت محجبة وملتزمة بعكس أختها التوأم..

شعرت نيرمين بالارتباك وعرفت بأن شيء سيء قد حدث لأمها فهي تسمع صوت ناردين تستغيث بها وتنادي عليها وهي تبكي فسقط المشرط الطبي من يديها وهي تناوله للطبيب الذي نظر لها غاضبًا ..وقال بغضب:

- ماذا حدث لك يا نيرمين هل جننت يا فتاة ؟

-اعتـذر يـا دكتـور كـمال ولكنـي أشـعر بـأن أمـي مريضـة بشـدة وتحتاجنــي الآن .

كان الرجـل هـو الـذي يتابـع حالـة الأم لـذا لم يتكلـم فهـو يعلـم بـأن الأم سـتموت خـلال أيـام

كانـت حالـة أمهـا هـي أغـرب حالـة واجههـا في حياتـه بالرغـم مـن أنـه أكـبر الجراحـين في مـصر والعـالم العـربي لعـلاج واسـتئصال الأورام ولكنـه كان مندهـش مـن تلـك المريضـة .

فلـم يكــن الأمــر ســوى ورم صغـير جـدًا بالثـدي كان حجمـه كحبــة العــدس ..

لا يشـكل أي خطـورة وعنـد عمـل التحاليـل وأخـذ العينـة كان ورم ليفـي حميـد ولكنـه خـلال شـهر واحـد انقلـب إلى ورم خبيـث وانتـشر بـكل خليـة بالجسـد وكانـت مـن الحـالات المرضيـة التـي وقـف أمامهـا عاجـزًا ؟؟

وهنـا فتحـت غرفـة العمليـات لتدخـل إحـدى الممرضـات وتهمـس في أذن نيرمـين ببعـض الكلـمات فتخـرج نيرمـين مسرعـة وهـي تبكـي دون أن تسـتأذن مـن الطبيـب فنظـر هـو لهـا بقلـق كان يعـرف بمـدى ألمهـا ومـرض أمهـا فتسـأل بضيـق :

-ماذا حدث يا سعاد وماذا قلتي لنيرمين

- أمهـا مريضــة يــا دكتــور كــمال واتصلــت أختهــا لتقــول بأنهــا تمــوت وتريــد رؤيــة نيرمــين قبــل الرحيــل.

- رد بحزن :

- كانت ستموت على كل حال فحالتها متأخرة للغاية وانتشر السرطان في كل خلية من جسدها بسرعة كبيرة ويقف الطب عاجزًا عن معرفة السبب ...

فهز رأسه بأسى وأكمل قائلًا :

رحمها الله فهذا أفضل لها من تلك الآلام التي تعانيها تلك المرأة

استمع هو إلى الحوار وكان يشعر بالحزن الشديد على تلك الفتاة الرقيقة التي أحبها وتمنى الارتباط بيها يومًا

ولكن الظروف ومرض أمها منعته من التقدم والارتباط بها ..

إنه محمود زميلها الممرض بنفس المستشفى ..كان شابًا وسيمًا يمتلك شعر بني وعيون بنيه وبشرة قمحية وطويل القامة ويعمل بقسم الطوارئ بالمستشفى كان يكبرها بثمانية أعوام فها هو في بداية الثلاثين من عمره فكان عريسًا ممتازًا فعنده شقة في بيت عائلته وحالته المادية معقولة فيستطيع فتح بيت وتكوين أسرة ولكن ظروف مرض الأم غير كل شيء .

****

لا تدري نيرمين كيف وصلت إلى منزلها بتلك السرعة فلم تبدل حتى ثياب العمل فلقد استقلت تاكسي بعد أن كاد يدهسها تحت عجلاته فسقطت على الأرض وبعدها وقفت تبكي بعنف أمام سيل الشتائم والسباب من السواق.

ولكنها عندما أخبرته بأن أمها تموت ..عرض عليها توصيلها إلى منزلها ...لم تترد أو ترفض فكانت تتمنى أن يكون التاكسي طائرة

لتوصلها سريعًا ...فسلك الرجل طريق البحر ليصل سريعًا ولم يسر من شارع أبو قير.

دخلت نيرمين الغرفة وهي تبكي فوجدت الأم ممدة على فراشها وبجوارها أختها التوأم ناردين وهي تمسك بيد الأم تقبلها بحزن وتبكي...

فقالت بتوتر وبصوت مبحوح :

-ماذا حدث يا أختي هل أمي بخير؟؟

نظرت لها الأم بفرح ثم همست :

-سأعيد النسل إلى صاحبه أيها الدرويش ....



الفصل الثاني
المفاجأة

دخلت نيرمين تبكي لتلقي بنفسها بين ذراعي أمها المريضة وهي تتساءل:

- ماذا حدث يا أمي هل أنتِ بخير؟

نظرت الأم إليها بحنان وهي تربت على رأسها قائلة:

- الحمد لله أنك أتيتِ في الوقت المناسب يا نيرمين فأنا أريد أن أخبرك أنت وأختك بشيء هام ..

وهنا قاطعتها نيرمين وهي تبكي:

ـ لا تجهدي نفسك بالكلام يا أمي سوف يصل الدكتور كمال في أي لحظة فلقد تركت له خبر وسوف يأتي عندما يخرج من غرفة العمليات ..

قاطعتها الأم وهي تحاول الابتسام :

- ليس هناك ضرورة يا ابنتي فقط اسمعيني أنت وأختك ولا تقاطعاني ..لم تتكلم نيرمين بل نظرت إلى عيون أختها بحيرة فهزت ناردين رأسها من بين دموعها بمعنى إنها لا تفهم شيئًا.

قالتا بصوت واحد :

- حاضر يا أمي كما تريدين ..

نظـرت لهـما الأم طويـلًا وأخـذت نفسًـا عميقًـا ثـم نظـرت إلى الوشـم عـلى ذراع ابنتهـا و إلى صـورة الدرويـش الـذي مـازال يضحـك بسـخرية وكأنـه لا يعجبـه مـا يحدث أمامـه ويسـخر منه أبعـدت عينها عـن ذراع ابنتهـا ثـم قالـت بـألم:

ـ أرجوكما لا تقاطعاني حتى أنتهي فليس هناك وقت ..

نظـرت إلى عيونهـما طويـلًا فـرأت الحـيرة والتوتـر والقلـق، فحسـمت قرارهـا وقـررت أن تخبرهمـا الـسر الـذي أخفتـه عنهـما أكثـر مـن عشريـن عامًـا قالـت الأم بصـوت ضعيـف خائـف متوتـر:

ـــ أريدكـما أن تعرفـا بـأن والدكـما مـازال عـلى قيـد الحيـاة شـهقت الأختـان في نفـس الوقـت واتسـعت عيونهـم تعجبًـا. مـاذا تقـول الأم؟ هـل فقـدت عقلهـا وتهـذي وهـي عـلى فـراش المـوت ؟ فقاطعتهـا ناردين :

- ماذا تقولين يا أمي ؟؟

- أرجـوك يـا ابنتـي لا تقاطعينـي واسـتمعا لي جيـدًا ، حتـى أنهـي حديثـي أقسـم لكـما بـأن والدكـما مـازال عـلى قيـد الحيـاة هـو وجدتكـم وعمتكـم ولكنهـم يعيشـون بمحافظـة أخـرى لقـد أخذتكـما عندمـا كنتما صغـارًا لم تكمـلا عامكـما الأول وهربـت مـن المنـزل إلى الإسـكندرية واسـتأجرت تلـك الشـقة وبحثـت عـن عمـل إلى أن وفقنـي الله بالعمـل بأحـد المشـاغل كانـت صاحبتـه رحمهـا الله سـيدة طيبـة سـاعدتني كثـيرًا قبـل موتهـا وبعدهـا عملـت بمصنـع للملابـس وتعلمـت الخياطـة و سـارت الأمـور عـلى مـا يـرام واسـتطعت أن أعلمكـما وأربيكـما،

ولا احتـاج شـيئًا مـن أحـد بفضـل الله كان أمـلي في الحيـاة أن تزفـا عـلى بيتكـما و أطمئـن عليكـما ولكنهـا إرادة الله فلـن أسـتطع أن أكمـل المشـوار.

وهنا قالت نيرمين بحيرة :

- ولكنـي لا أفهـم مـا تقولـين، هـل أبونـا مـازال عـلى قيـد الحيـاة ولم يمـت كـما أخبرتينـا؟ ولكـن لمـاذا فعلـت ذلـك بنـا يـا أمـي؟

- لا أسـتطيع أن أخبركـما الآن يـا نيرمـين ولكنـما سـتعرفان الحقيقـة يومًـا مـا يـا ابنتـي .

- قاطعتها ناردين بغضب مرة أخرى وهي تصيح:

- لا ... ليـس مـن حقـك فلابـد أن نعـرف الآن فلقـد حرمتنـا مـن العيـش مـع أبينـا ومـن حنيتـه واهتمامـه بنـا.

ولا تريديـن إخبارنـا السـبب فلـماذا أخبرتينـا إذا الآن ..وهنـا قاطعتهـا نيرمـين بغضـب :

- اهدئـي يـا أختـي فأمـك لـن تتحمـل هـذا الـكلام الآن ونحـن لا نفهـم شـيئًا اصـبري حتـى تنهـي كلامهـا.

وتخبرنا لماذا فعلت ؟

نظـرت لهـما الأم طويـلًا وبـدأت دموعهـا تتسـاقط عـلى خدهـا وهـي تـرى نظـرات الاتهـام والاسـتنكار في عيـون بنتيهـا، فلقـد فعلـت مـا فعلـت مـن أجلهـما همـا، ولكنهـما لا يفهـمان شـيئًا ويحاسـبنها الآن وهـي لا تسـتطيع شرح الأمـر لهـما قالـت الأم :

- اسـتمعا لي فأنـا لم أفعـل مـا فعلـت إلا مـن أجلكـما أنتما وسـتفهمان كل شيء في الوقـت المناسـب وسـتعرفان بأننـي فعلـت الصـواب، ولكنـي

الآن أريدكما بعد موتي أن تذهبا إلى منزل أبيكما وتعيشان معه هل تفهمان؟ فهذا أخر طلب لي ورجاء بالحياة يا فتيات فأبوكما يريد رؤيتكما وأريد أن أموت وأنا مستريحة الضمير.

صاحت ناردين:

- مستريحة الضمير وكيف ولقد حرمتنا سنين طويلة من أبينا وعشنا أيتامًا، لكم تمنيت أن يكون لي أب يأخذني في حضنه وأريح رأسي على كتفه و أشكو له حالي ولكنك بأنانيتك حرمتنا منه فأنا أريد أن أعرف لماذا يا أمي فعلت هذا بنا وهذا حقي فلن أسامحك إلا أن تخبريني الحقيقة كاملة؟

- أخذت الأم تردد كلام ناردين بألم :

- لن تسامحيني يا ناردين وأنا على فراش الموت سامحك الله يا ابنتي على قسوتك قاطعتها بقسوة:

- نعم لن أسامحك إلا بعد أن أعرف الحقيقة ولماذا فعلت ما فعلت فهذا حقي؟؟

نظرت لها الأم طويلًا ثم التفتت إلى ابنتها الأخرى نيرمين التي كانت تبكي بقهر وقالت :

- خذي يا نيرمين فمدت يدها بورقة وخاتم غريب الشكل مصنوع من الفضة له فص أسود كبير

وفي منتصف الفص تجويف على شكل قلب صغير ومربوط بالخاتم ورقة صغيرة فأكملت قائلة بألم:

- خذي يا نرمين فتلك الورقة بها عنوان والدكما بالقاهرة واحتفظي بالخاتم والورقة الأخرى فهي ملك لصديقة لي تدعى « أم نوفل» تعيش أيضًا بالقاهرة اذهبي إليها يا ابنتي وأعيدي لها الخاتم،

و أخبريها بأن صاحبته قد رحلت وأعادت الأمانة إلى صاحبها ولكن لا تحاولي الاتصال بالمرأة إلا بعد موتي بأربعين يومًا، وإن أردت وقتها معرفة الحقيقة ستخبرك وقتها أم نوفل كل شيء .

أخذت نيرمين الورقة و الخاتم وهي تبكي لا تدري ماذا تفعل هل تسامح الأم أم لا ولكن كيف لا تسامحها وهي على فراش الموت ولقد تعبت معها كثيرًا، هي لا تنكر ذلك ولكنها لا تفهم شيئًا عما يحدث .

نظرت لهما الأم طويلًا ثم قالت :

- هل تسامحانني يا بناتي على ما فعلت ؟؟

لم ترد أي منهما ولكن ناردين نظرت لها طويلًا ثم قالت بغضب وهي تشعر بالغيظ لأنها فضلت نيرمين عليها وأعطتها الخاتم وعنوان الأب ويبدو بأن الخاتم ثمين وسعره غالٍ فلماذا تفضل أختها عليها دائمًا بالأشياء الأفضل منذ أن كانتا طفلتين وهي تحب نيرمين عنها هي تعرف ذلك جيدًا فقالت بغضب:

- لا لن أسامحك على ما فعلت إلا بعد أن أعرف لماذا ..؟؟

وبعدها غادرت الغرفة بغضب وهي تزفر بقوة

نظرت لها الأم بحزن ولم ترد بل نظرت برجاء إلى عيون ابنتها الأخرى فقالت نيرمين بحيرة ومن بين دموعها :

- أسامحك يا أمي لا تقلقين يا حبيبتي فأنا أعرف بأنك تحبيننا وضحيت من أجلنا كثيرًا ..

- الحمد لله يا رب أشكرك فأنا أعرف بأن أختك ستسامحني يومًا وتعرف لماذا قمت بإبعادكما عن أبيكما فهذا لمصلحتكما يا حبيبتي ...وستعرفان غدًا صحة كلامي..

شهقت الأم بألم :

- اذهبي إلى أم نوفل بعد الأربعين من موتي يا نيرمين واخفي الخاتم والعنوان عن عيون أختك حتى لا تذهب قبل الموعد واذهبا للعيش في كنف والدكما لا تجلسا بالمنزل يومًا واحدًا بعد موتي فهذه وصيتي ولابد من تنفيذها حتى أستريح في قبري و يستريح الدرويش هو الآخر ويتركني أستريح ولا يعذبني ..

رددت الفتاة :

- درويش أي درويش يا أمي أنا لا أفهم شيئًا؟؟

- ستفهمين كل شيء يا حبيبتي في الوقت المناسب وليس الآن، أوصيك بأختك إياك أن تتركيها مهما حدث من خلاف بينكما فليس لكما سوى بعضكما فلا تفترقان مهما بعدتكما الخلافات يا نيرمين.

هل تفهمين ما أقول يا حبيبتي ؟!

شهقت الأم بألم وهي تنظر إلى الخاتم في يد ابنتها وتتذكر صديقتها الوحيدة بالحياة « أم نوفل » لكم تمنت أن تراها قبل الموت ولو مرة واحدة ولكنها لم تستطع أن تفعل من خوفها من زوجها وقوته تذكرت صديقتها البدينة وهم يشتريان نفس الخاتم من أحد المتاجر في خان الخليلي بحي الحسين وقررتا أن يظل الخاتم مع كلا منهما ولا يتركانه إلا عند الموت فهو دليل صداقتهما القوية التي استمرت سنين طويلة ودليل على الإخوة بينهما فمهما بعدتهما المسافات فلن تنسى أحداهما الأخرى ولن يفرقهما إلا الموت وسيظل دليل صداقتهما باقيًا تتوارثه الأجيال من بعدهما وهو الخاتم .

وهنـا ابتسـمت الأم وهـي تتذكـر ابتسـامة صديقتهـا وسـقطت يديهـا وحاولـت قـول شيء ولكنهـا لم تسـتطع وهنـا صرخـت نيرمـين بفـزع:

- أمـي مـاذا بـك يـا حبيبتـي إني أسـامحك يـا أمـي ولكـن لا تتركينـا بـالله عليـك فليـس لنـا أحـد سـواك في هـذا العـالم

وهنـا دخـل الغرفـة في تلـك اللحظـة دكتـور كـمال والممـرض محمود زميلهـا وأختهـا ناردين فلقـد حـضر الطبيـب لرؤيـة الأم والاطمئنـان عليهـا فهـو مـن كان يتابـع ويبـاشر حالتهـا كـما تعرفـون ...

صرخـت ناردين في جسـد الأم الممـدد عـلى الفـراش سـاكن لا يتحـرك قائلـة:

- أمـي أخبرينـي الحقيقـة الآن وإلا لـن أسـامحك لمـاذا فعلـت مـا فعلـت أخبرينـي أرجـوك وإلا لـن أسـامحك؟؟

اقـترب الطبيـب مـن المـرأة الممـدة عـلى الفـراش وبعـد الفحـص قـام بتغطيـة وجههـا قائـلًا:

- البقـاء لله يـا نيرمـين لقـد رحلـت إلى مـكان أفضـل مـن عالمنـا و ارتاحـت مـن آلامهـا يـا ابنتـي

نظـرت لـه نيرمـين غـير مصدقـة مـا يقـول فهـل يسـخر منهـا الرجـل ولكـن لمـاذا يسـخر منهـا الآن؟ .

صرخت ناردين بحده في وجهه :

- أنـت كاذب لم تمـت أمـي قبـل أن تخـبرني الحقيقـة لمـاذا فعلـت مـا فعلـت لمـاذا بعدتنـا عـن أبينـا كل تلـك السـنوات لمـاذا أخبرتنـا الآن؟؟

نظـر لهـا محمـود والطبيـب بحـيرة ولم يـردا فهـما لا يفهـمان شـيئًا ممـا تقولـه الفتـاة فربـما كانـت الصدمـة مـن مـوت الأم أفقدتهـا صوابهـا

أخـذت تـصرخ بهسـتريا وتهـز الأم بعنـف حتـى كادت توقـع جثتهـا مـن عـلى الفـراش :

- لا تمـوتي الآن قبـل أن تخبرينـي الحقيقـة لـن أسـامحك هـل تفهمـين لـن أفعـل مـا حييـت ؟؟

وهنا دفعها الطبيب بعيدًا قائلا :

- اهدئـي يـا فتـاة ولا تعذبيهـا هكـذا واتقـي الله فلقـد رحلـت وانتهـى الأمـر فهـذه إرادة الله وليـس لأحـد منـا دخـل فيهـا

أخذت تصرخ بغضب في وجهه :

لا لـن ترحـل الآن قبـل أن تخـبرني الحقيقـة فأنـت لا تفهـم شـيئًا وهنـا لم يجـد الطبيـب حـلًا آخـر إلا أن يصفعهـا عـلى وجههـا بقـوة ليعيدهـا إلى صوابهـا نظـرت لـه بغضـب وأخـذت تبكـي بعنـف ثـم غـادرت الحجـرة وهـي لا تصـدق أن الرجـل صفعهـا.

وكانـت نيرمـين تجلـس عـلى الأرض تحـت قدمـي الأم وهـي تبكـي مـرددة:

- لقـد سـامحتك يـا أمـي لا تقلقـي وسـأفعل مـا تريديـن اقـترب منهـا الطبيـب وسـاعدها عـلى النهـوض قائـلًا:

- هيـا يـا نيرمـين لا تفعلـين هـذا بنفسـك يـا ابنتـي رحمهـا الله فهنـاك أشـياء كثـيرة لابـد أن نقـوم بهـا الآن.

نظرت له بألم قائلة :

- هـل أنـت متأكـد بأنهـا ماتـت ربـما كانـت حالـة إغـماء أيهـا الطبيـب وسـوف تسـتفيق ؟؟؟

نظـر لهـا الطبيـب ولم يـرد فهـو يعـرف شـعورها وشـعور الإنسـان عنـد مـوت أقـرب و أعـز مخلـوق لديـه بالدنيـا فتتخيـل بـأن كل مـا يمـر بـك حلـم وليـس حقيقـة وسـوف تسـتيقظ مـن كل شيء قريبًـا فالصدمة كبـيرة ولا يسـتطع عقلـك اسـتيعابها.

فهل يقولون الصدق حقًّا أم أنه كابوس بشع ؟؟

اقـترب محمـود وهـو يشـعر بالحـزن عـلى رحيـل تلـك المـرأة الطيبـة التـي كانـت تعاملـه بحنـان كابنهـا فلقـد قابلهـا أكثـر مـن مـرة وكان يحبهــا كأمــه فلقــد كانــت طيبــة حنــون فقــال بحــزن وهــو يغالــب دموعــه:

- هيا يا نيرمين البقاء لله فلا تعذبيها

- حتى أنت يا محمود تقول بأنها ماتت

رد بحزن وألم الدنيا :

- لأنهــا رحلــت يــا نيرمــين وإرادة الله هيــا لاســتخراج ترخيــص الدفـن وشـهادة الوفـاة، فإكـرام الميـت دفنـه، ولقـد عانـت كثـيرًا الفـترة الماضيــة ولقــد ارتاحــت الآن فادعــي لهــا بالرحمــة ولا تعترضــين عــلى إرادة الله، فالمــوت رحمــة لهــا مــن مرضهــا يــا ..أراد أن يكمــل ويقــول حبيبتــي ولكنــه توقــف و أمســك لســانه فليــس الوقــت ولا المــكان المناسـب لهـذا أبـدًا.

نهضـت نيرمـين وهـي تنظـر إلى عيونهـما بحـزن فلقـد كانـا عـلى حـق فهـي المسـئولة الآن ولابـد أن تـسرع بالإجـراءات وتقـوم بدفنهـا فليـس هنـاك أحـد آخـر أو رجـل تعتمـد عليـه

خرجـوا ثلاثتهـم مـن الغرفـة والحـزن بـادٍ عـلى وجوههـم وتتسـاقط دمـوع نيرمـين وهنـا نظـرت إلى أختهـا التـي كانـت تجلـس عـلى أحـد

المقاعد أمام الباب في الصالة وتلاقت عيونهما ووقفت نيرمين تبكي ورأت الدموع بعيون شقيقتها وهنا قامت ناردين وألقت نفسها بين ذراعي أختها وأخذت تبكي بعنف :

- هل رحلت يا نيرمين حقًّا كما يقولون؟؟؟

- اهدئي يا أختي إنها إرادة الله وليس لنا دخل فيها

- ولكنها لم تخبرنا لماذا فعلت ذلك يا نيرمين بنا وحرمتنا من أبينا ولماذا أخبرتنا الآن ؟؟

- سنعرف كل شيء يا ناردين لا تقلقي ولكن بالوقت المناسب ربما كان عندها عذر قوي هو ما جعلها تفعل ما فعلت ؟؟

- أي عذر يا أختي فأنا لن أسامحها أبدًا على ما فعلت فليس من حقها أن تحرمنا من أبينا مهما حدث .

- لا يا أختي اهدئي ولا تقولي هذا فلقد تعبت معنا ولم تقصر في شيء معنا لابد أن تسامحيها فهي أمك.

- لا يا نيرمين لن أغفر لها إلا بعد أن أعرف الحقيقة الآن يا أختي وليس بعد شهر ونصف كما طلبت، أعطيني الخاتم والورقة لأذهب إلى صديقتها و أعرف الحقيقة منها نيرمين..

وهنا ابتعدت نيرمين عن أختها بقوة واخفت الخاتم والورقة التي كانا مازال بين يديها خلف ظهرها قائلة:

- لا ..يا أختي بعد أربعين يومًا كما وصتني ووعدتها فلن أخلف وعدي وأعذبها في قبرها مهما حدث.

ابتعدت ناردين من أمامها وهي تبكي بحسرة ولم ترد ..

وقف محمود والطبيب لا يفهمان شيئًا من حوار التوأمان..

قال الطبيب بجدية :

- هيـا يـا نيرمـين يـا ابنتـي أبـدلي ملابسـك وهيـا بنـا فليـس هنـاك وقـت ..فإكـرام الميـت دفنـه.

نظـرت إلى ثيابهـا بدهشـة وتذكـرت الآن بأنهـا مازالـت بثيـاب المستشـفى وثيـاب غرفـة العمليـات ..فدخلـت إلى غرفتهـا لتبحـث عـن شيء أسـود ترتـده و تسـتبدل ثيابهـا ..

****

وقفـت نيرمـين عـلى محطـة قطـار سـيدي جابـر ترتدي فسـتان أسـود طويـل وطرحـة سـوداء وكانـت بجوارهـا أختهـا ناردیـن التـي كانـت ترتـدي بنطلـون جينـز أسـود وقميـص أسـود بأكـمام قصـيرة وتلـم شـعرها خلـف رأسـها بربـاط أسـود ووقـف هـو أمامهـا يودعهـا قائـلًا :

- هل تصرين على الذهاب يا نيرمين

- أنهـا وصيـة أمـي يـا محمـود ولابـد أن نعـرف الحقيقـة كـما أخبرتك القصـة ونقابـل والدنا.

- هل ستعودين يومًا يا نيرمين؟؟

- نعـم سـأعود فمازلـت أعمـل بالمستشـفى ولكنـي أخـذت إجـازة مـن العمـل حتـى أعـرف الحقيقـة وبعدهـا سـأعود لا تقلـق كـما أننـي بفريـق دكتـور كـمال الطبـي وهـو يـأتي إلى القاهـرة كثـيرًا فسـأراك هنـاك قريبًـا يـا محمـود فمازلنـا في فريـق عمـل واحـد

نظـر لهـا بحسـرة كان يتمنـى أن يكونـا في بيـت واحـد وليس فريـق عمـل كان يتمنـى أن يخبرهـا كـم يحبهـا وكـم سـيعذبه فراقهـا ولكنـه لم يسـتطع فليـس هـذا المـكان ولا الوقـت المناسـب لقـول شيء.

وهنا سمع صوت يقول من خلفه :

- أنت هنا أيضًا يا فتى؟؟

التفت محمود خلفه ليجد الطبيب كمال يبتسم ويتطاير شعره الرمادي فلقد كان يمتلك شعرًا رماديًا ناعمًا ويرتدي نظارة طبية سميكة وبذلة سوداء

فهتف محمود بتعجب :

- دكتور كمال مرحبًا بك

وهنا قالت نيرمين بدهشة :

- دكتور كمال لماذا تعبت نفسك وأتيت إلى هنا فيكفي ما قمت به معي عند موت أمي .

- لا تقولين هذا يا نيرمين فأنتِ كابنتي تمامًا يا فتاة وأردت أن أتي لأودعك وكنت قريبًا من المحطة.

وهنا نظرت بتأثر إليه فذلك الرجل رائع وطبيب بمعنى الكلمة ويمتلك الرحمة في قلبه فلن تنسى ما فعله معها وقت موت أمها وكيف ساعدها حتى اطمأن عليها حتى صوان العزاء وتكلفه الدفن لم يأخذ منها قرشًا واحدًا.

لقد فعل ما فعل فلقد كان يشعر بالذنب تجاه المرأة والتعجب من انتشار المرض بجسدها وموتها بتلك السرعة وهو طبيبها المعالج كما أن المرأة وصته على الفتاة قبل موتها .

قال لها الطبيب بجديه :

- تعالي يا نيرمين أريدك على انفراد يا ابنتي أخذها إلى مكان بعيد قليلًا عن عين أختها ومحمود اللذين شعرا بالفضول

لمعرفة ماذا يريد الرجل من الفتاة كانت المحطة مزدحمة فلقد أوشك القطار على الوصول إلى المحطة وبدء الركاب يستعدون وهم يسمعون صوت المذيعة بالميكروفون:

- سيصلنا الآن على رصيف رقم ثلاثة قطار رقم ٩١٦ إسباني فاخر مباشر إلى القاهرة

نظرت نيرمين إلى الطبيب بتوتر فلقد أوشك قطارها على الوصول وهنا مد الطبيب يده بظرف إليها قائلًا:

- خذي يا نيرمين

- ما هذا يا دكتور

- إنه شيء بسيط اجعليه معك ربما تحتاجينه وأنتِ بالقاهرة فأنتِ لا تعرفين إلى أين تذهبين ؟؟

- لا يا دكتور كمال أشكرك إن معي الحمد لله ويكفي ما فعلته من أجلي عند موت أمي وحجز تذاكر القطار وكل شيء.

- نيرمين خذي الظرف ولا تتكلمي كثيرًا فأنتِ كابنتي كما أنكِ تعملين معي بالفريق و هذا راتبك وسأراك قريبًا بالقاهرة بالفريق الطبي

- لا...أستطيع صدقني فيكفي ما فعلته من أجلي.

- هيا يا فتاة خذي الظرف وتوكلي على الله سيفوتك القطار.

وهنا أتى القطار ودخل المحطة فأتى محمود مسرعًا وهو يحمل حقائبها قائلًا:

- هيا يا نيرمين حتى لا يغادر القطار أسرعي بالله عليك .

نظرت نيرمين إلى الطبيب بامتنان بعد أن أخذت الظرف بإحراج قائلة:

- أشكرك على كل شيء فعلته من أجلي ورحلت مسرعة وهي تغالب دموعها التي بدأت تتساقط على وجنتيها وهي تسمع صوته ..

- اهتمي بنفسك يا فتاة سأنتظر اتصالك في أي وقت إن احتجت لشيء ..كان يشعر بالذنب الشديد وتأنيب الضمير فهل هو السبب في موت الأم لا يعرف ولكنه سيحاول أن يساعدها قدر استطاعته ؟؟

لم ترد بل تساقطت دموعها كالشلال فلقد كان الرجل عطوف معها ورحيم بحالها

- هيا يا نيرمين ستتأخر فنحن آخر عربة من القطار...أخذت تجري ويجري محمود معها وهو يحمل الحقائب

وسط الزحام والناس التي تحاول دخول العربات وتدفع أمامها حقائب السفر الكبيرة

وصلت العربة رقم ٩ دخلت العربة مسرعة وأخذت الحقائب من محمود ...وهنا تحرك القطار ولم تسمع محمود وهو يقول لها :

- سأفتقدك حبيبتي ..

وهنا شعر بتلك اليد التي توضع على كتفه كان الطبيب كمال فقال له :

- سنفتقدها جميعًا يا بني، هيا لأوصلك في طريقي ...

كان كمال يعرف بأن الفتى يحب نيرمين ويريد خطبتها ولكن مرض الأم وموتها وبعدها سفرها غير كل شيء



الفصل الثالث

الوشم

جلست نيرمين وأختها بمقاعدهما داخل القطار لم تنطق أي واحدة منهما بكلمة كانت كلا منهما غارقة في تفكيرها وتخيلها فيما ستواجهه بالقاهرة وماذا سيقولان لوالدهما عند رؤيته؟ ولماذا لم يبحث عنهما كل تلك السنوات الطويلة فهل بحث عنهما ولم يجدهما في أي مكان ؟

ولماذا هربت الأم من الأب؟؟

نظرت ناردين إلى أختها قائلة بحدة :

- نيرمين دعينا نذهب إلى المرأة التي أخبرتك عنها أمي قبل موتها لنعرف الحقيقة أولًا قبل الذهاب لمنزل أبينا

لم تنظر إليها أختها بل ردت وهي تشاهد المناظر الطبيعية للطبيعة من نافذة القطار :

- لقد تكلمنا في الأمر من قبل يا ناردين وقولت لك لن أخلف وصية أمي الأخيرة وهي على فراش الموت فلن أعذبها في قبرها فيجب تنفيذ وصية الميت مهما كانت هل تفهمين ؟؟

- ولماذا عذبتنا هي طوال حياتنا يا أختي؟؟

وهنا صرخت نيرمين بصوت عالٍ في وجهها :

- ناردين اصمتي ولا تتكلمي بالموضوع مرة أخرى وإياك أن تذكري أمي بالسوء حتى نعرف الحقيقة هل تفهمين ما أقول ؟

نظرت ناردين بغضب إلى أختها ولم ترد بل أغمضت عينيها وحاولت النوم لعل الوقت يمر سريعًا وتخلص من كل هذا الكابوس

****

كانت السماء خضراء ملونة بلون غريب والرياح شديدة تعصف بكل شيء وتحركه على شكل دائرة عملاقة كبيرة ضخمة وامتدت من الأرض إلى عنان السماء ووقفوا هم في حلقة دائرية بهيئتهم الغريبة التي تثير الفزع في النفوس يشبهون البشر كثيرًا في هيئتهم، لكن عيونهم كانت مختلفة فهي مشقوقة طوليًّا ولونها أحمر وحدقتها بيضاوية وليست دائرية ولونها أحمر دموي، لهم آذن طويلة كأذن الحصان كانوا يقفون على قدمين عاريتين ذات أصابع طويلة ولكل منهم ذراعان طويلان من الجوانب كالبشر وذراع آخر ثالث خرج من منتصف البطن كل ذراع ينتهي بثلاثة مخالب سوداء مثنية وكل كائن يمسك بذراع الآخر ويصنعون دائرة مغلقة ...في مواجه العاصفة والرياح الهوجاء إلا الكائن الأخير فلقد مد إليه من بجواره يده ليكمل الدائرة ولكنه وقف يبتسم ساخرًا ولم يكملها ...

كان المخلوق الأخير هو الوحيد الذي يرتدي ثياب وباقي المخلوقات عرايا بدون ثياب يغطي جسدهم شعر أسود طويل إلا رؤوسهم فكانت صلعاء لم تكن بها شعره واحدة ..

هـو الوحيـد المختلـف بشـعره الطويـل الـذي يمتـد إلى أسـفل ركبتيه نظـر إليهـم سـاخرًا ثـم تحـرك مـن مكانـه بهـدوء مسـتفز وهـو يبتسـم بمكـر فظهـرت أسـنانه الطويلـة المدببـة وحوافهـا حـادة كالسـيف..

قالـوا بصـوت واحـد عميـق خـرج وكأنـه يـأتي مـن أعـماق بئـر سـحيق :

- انتظـر ومـد يـدك بالسـلام ولا تـؤذ أحـدًا فنحـن نحيـا بأمـان بالعهـد والميثـاق.

ولكنـه نظـر لهـم طويـلًا وبعدهـا أطلـق ضحكـة حـادة عاليـة تـردد صدهـا في المـكان ولم ينطـق أو يلتفـت إليهـم بـل ذهـب مباشرة إليهـا هـي كانـت تقـف ترتجـف كورقـة إنهـا إحـدى الأختـان «نارديـن »

كانـت تقـف والعـرق البـارد يتجمـع عـلى جبينهـا تريـد أن تـصرخ ولكـن صوتهـا أبـى أن يخـرج مـن حلقهـا

تنظـر إليهـم بفـزع تحـاول الهـروب مـن ذلـك الغريـب الـذي يقـترب منهـا مبتسـمًا بمكـر

صرخت أخيرًا وخرج صوتها مبحوحا مفزوعًا :

- ماذا تريد مني ؟؟

رد عليها بصوت قوي زلزل المكان من حولها:

- لا تخافـين لقـد أتيـت مـن أجلـك يـا فتـاة وهنـا مـد يـده إليهـا بـشيء فنظـرت إلى يديـه المفتوحـة فوجـدت الخاتـم الفـضي ذو الفـص الأسـود الكبـير المحفـور بوسـطه القلـب هتفـت :

- إنـه خاتـم أمـي مـن أيـن أحضرتـه وأيـن العنـوان أنـا أريـد أن أعـرف لمـاذا فعلـت أمـي ذلـك؟

ضحك بسخرية قائلًا:

- هل تعرفين قيمة الخاتم يا فتاة ..

ردت بتوتر :

- لا أعرف ؟؟

يعطي مالكه كل شيء القوة والمال والسلطة، ولقد فضلت أمك أختك عليك فهل ستتركين أختك تتمتع بكل هذا بمفردها ؟

- رددت بتعجب :

- القوة والمال والسلطة ...

وهنا شعرت بالألم الشديد في ذراعها الأيسر ونظرت بتوتر إلى الوشم على ذراعها فلقد كان يؤلمها كثيرًا وينزف دمًا

شهقت بفزع فلقد اختفى المخلوق الأخير من ذراعها وأخذ مكانه ينزف الدماء، أخذت تنظر برعب إلى مكانه وكان يؤلمها بشدة وشعرت وكأن أحدهم اقتطع جزءًا من جسدها

أخذت كلماته تتردد في أذنها :

- القوة والمال والسلطة هل ستتركين أختك تتمتع بكل هذا بمفردها ؟؟؟

زاد ألم ذراعها بقوة فلم تستطع أن تتحمل كل هذا فلقد شعرت بأن هناك من يضغط عليه بقوة فصرخت بألم :

- لااااااا ذراعي اتركه..

وهنا سمعت صوت نيرمين يقول بقلق :

- ناردين ماذا هناك يا أختي وماذا حدث لذراعك اهدئي بالله عليك ؟؟؟

فتحت عينيها ببطء وألم ونظرت إلى ذراعها الأيسر بألم فكان الوشم كما هو ومازال المخلوق يضحك ساخرًا

فنظرت حولها يمينًا ويسارًا كان الركاب ينزلون حقائبهم ويستعدون لمغادرة القطار.

التفتت إلى أختها بقلق:

- ماذا حدث نيرمين ؟؟

لقد نمت يا نardين وحاولت أن أوقظك ولكنك أخذت تصرخين بألم وتقولين ذراعي، فلقد وصلنا القاهرة وسيتوقف القطار هيا لننزل الحقائب وقامت وأنزلت الحقائب من الرف فوقها وهنا نظرت ناردين بغضب إلى يد أختها وخصوصًا إلى إصبعها البنصر بيدها اليمين فلقد كانت تلبس الخاتم التي أعطته لها الأم قبل موتها وهنا تردد كلام المخلوق في أذنيها :

- القوة والمال والسلطة ...فهل ستتركين أختك تتمتع بكل هذا بمفردها .؟؟

- صرخت بغضب بصوت عالٍ :

- لا لن أفعل ولن أتركها ..

نظرت نيرمين لها بدهشة :

- ماذا هناك يا ناردين وما الذي لن تفعليه؟؟ لم ترد عليها بل أدارت وجهها عنها ثم زفرت بغضب قائلة:

- لماذا ارتديت الخاتم يا نيرمين؟؟هل تشعرين بالراحة الآن بعد أن حقق لك ما تريدين؟؟

- أي خاتم يا أختي أنا لا أفهم شيئًا؟؟

- الخاتم الذي أعطتك إياه أمي؟؟

- الخاتـم لقـد خفـت أن يضيـع منـي ففضلـت أن أرتديـه إلى أن أعطيـه لصديقـة أمـي رحمهـا الله ونعـرف الحقيقـة بعـد الأربعـين .

- هكذا إذًا لا يهم ؟؟

- ناردين أنا لا أفهم شيئًا وماذا تقصدين ؟

لم تـرد بـل أخـذت حقيبتهـا وعلقتهـا عـلى ظهرهـا ونظـرت إلى أختهـا بغضـب وغـادرت القطـار الـذي توقـف في محطـة رمسـيس.

نظـرت نيرمـين بحـيرة وحـزن إلى أختهـا فـماذا حـدث لهـا وغيرهـا لتلـك الدرجـة فمنـذ مـوت الأم ومـا أخبرتهـما بـه وهـي ليسـت بخـير أبـدًا فـماذا تفعـل همسـت بحـزن:

- ربـما عندمـا نذهـب إلى أبينـا سـتتغير وتشـعر بالأمـان وتعـود كـما كانـت مـن قبـل مـن يـدري؟؟؟

****

استـقلا سـيارة أجـرة مـن أمـام المحطـة إلى منطقـة شـبرا والى العنوان التـي أعطتـه لهـما الأم قبـل موتها.

جلسـا بالسـيارة متباعدتـين عـلى الكنبـة الخلفيـة وكل واحـدة أخـذت تنظـر مـن النافـذة بجوارهـا إلى الشـوارع

الواسـعة والنـاس بتعجـب كانـت النـاس كثـيرة وفي كل مـكان وزحمـة وكبـاري وسـيارات لم تحـب نيرمـين القاهـرة والزحـام.

وتذكـرت الإسـكندرية والبحـر والهـدوء ومنطقـة أبـو قـير فهـي منطقـة بهـا عـدد قليـل مـن السـكان وليسـت مزدحمـة .

فتمنت أن تعود وهنا رن تليفونها المحمول فقطع حبل ذكرياتها

لقـد كان محمـود زميلهـا ويريـد الاطمئنـان عليهـا فأخبرتـه بأنهـما وصلتـا بسـلام وفي طريقهـما إلى منـزل الأب وأغلقـت التليفـون.

هـي تعـرف بأنـه يحبهـا ويريـد الارتبـاط بهـا ولكـن مـرض الأم ومـا حـدث أجـل كل شيء

لا تعـرف هـل تحبـه حقًّـا أم لا ولكنـه عريـس جيـد ومناسـب عـلى كل حـال وربـما أتـى الحـب في المسـتقبل، مـن يـدري؟

وكانــت نارديــن تنظــر مــن نافــذة السـيارة الأخــرى إلى النــاس الكثـيرة والزحـام بفـرح شـديد وتفكـر أن رسـم هـؤلاء النـاس جميعًـا الوشـم عـلى أذرعتهـما وصدورهـم فسـوف تجمـع الكثـير مـن المـال وسـتصبح مليونـيرة .

وهنا قطع السائق حبل أفكارهما قائلًا :

- لقد وصلنا يا آنسات ها هو شارع عرابي بشبرا الخيمة.

شـكرته نيرمـين وأعطتـه مـا طلـب مـن أمـوال وبعدهـا غـادرت السـيارة هـي وأختهـا وحملـت كل منهـما حقيبتهـا.

ونظـرا إلى الشـارع الكبـير المـليء بالسـيارات وهنـا وجـدا أحـد المحـلات الجانبيـة المفتوحـة ورجـل مسـن يجلـس أمـام بـاب المحـل عـلى مقعـد خشـبي يسـتمع إلى صـوت أم كلثـوم في راديـو صغـير فذهبـا إليـه وسـألاه عـن العنـوان بالورقـة فنظـر لهـما الرجـل بتعجـب قائـلًا :

- مـن تريـدان هنـاك يـا آنسـات بالحـارة فأنـا أعـرف معظم السـكان فأنـا أسـكن في نفس الحـارة؟؟

فردت نيرمين بتوتر:

- حارة ولكن العنوان مكتوب شارع

- نعـم يـا ابنتـي إنهـا حـارة الدرويـش ..وهـي شـارع ضيـق نطلـق عليـه نحـن حـارة .

- ولكن يا عمي مكتوب اسم الشارع شارع مصطفى محمود.

- نعـم يـا ابنتـي هـو شـارع مصطفـى محمـود قديـمًا ولكـن النـاس تسـميه الآن حـارة الدرويـش واشـتهر بالاسـم

- هـل أنـت متأكـد بـالله عليـك فنحـن أغـراب ولسـنا مـن هنـا. كانـت تعـرف بـأن أهـل القاهـرة لا يقولـون أبـدًا لا نعـرف حتـى إن كانـوا لايعرفـون كـما أخبرتهـا صديقتهـا يومـا عندمـا كانـت بالقاهـرة لزيـارة خالتهـا وتوههـا النـاس هنـاك فـكل واحـد أعطاهـا عنوانًـا مختلفًـا ووصـف مختلـف ولم يقـل لهـا لا أعـرف

- ضحك الرجل :

- لا تخـافي يـا ابنتـي فأنـا أسـكن بالحـارة ولكـن قـولي لي مـن تريـدان بالحارة؟

- نريد منزل درويش السيد إمام هل تعرفه يا عمي؟؟

نظر لها الرجل بفزع قائلًا :

- من ؟؟

- درويش السيد إمام يا عمي ؟؟

لم يرد الرجل بل نظر إليهما بفزع ثم قال بتوتر:

- اذهبـا في هـذا الشـارع الضيـق وفي نهايتـه اكـسرا يسـارًا سـوف تجـدون شـارع أضيـق منـه فهـذه هـي حـارة الدرويـش هيـا ارحـلا.. وأشـار عـلى شـارع ضيـق يمينـه ...كانـت لا تريانـه ..

وبعدها قام الرجل وهو ينظر لهما بفزع ودخل إلى متجره وهو يحمل مقعده.

نظرت ناردين إلى الرجل بغضب ونظر لها هو بفزع حتى كاد يسقط على الأرض.

فقالت نيرمين بتوتر وهي تنظر إلى عيون أختها :

- ما هذا يا أختي وماذا حدث للرجل؟؟

- لا تهتمي فمازالت البلد مليئة بالمجانين والمرضى النفسين يا نيرمين فلا تشغلي بالك .

وسارا معًا في الشارع الضيق حتى نهايته وبعدها دخلا حارة الدرويش يسارًا كما أخبرهما الرجل .

كانت نظرات أهل الحارة تراقبهم بحقائب سفرهما التي يحملانها ..وثيابهما السوداء .

كانت الحارة ضيقة لدرجة مثيرة للأعصاب والبيوت متقاربة لدرجة غريبة حتى إنه تستطيع مد يدك من أحد النوافذ لتدخلها شقة جارك بالبيت الذي أمامك، كان هناك بعض الأطفال يلعبون البلي أمام أحد البيوت وبعض السيدات افترشن الأرض وجلسن على إحدى الحصائر أمام بيت آخر وهنا قامت إحدى النساء وكانت ترتدي عباءة سوداء وتربط رأسها بمنديل اسود فأوقفت الأختين بفضول قائلة:

- من تريدان أيتها الفتاتان بالحارة فشكلكما غريب عن المنطقة؟

قالت نيرمين بتوتر :

- نريد بيت درويش السيد إمام من فضلك هل تدلينا عليه؟؟

وهنا شهقت المرأة فزعا وبسملت برعب مرددة:

- تريدان منزل الدرويش لماذا فمازلتما صغيرتين يا فتاة على تلك الأمور..؟؟

- لا ... لا نحن نريد منزل درويش السيد إمام أبونا فهل هذه حارة الدرويش؟؟

شهقت المرأة فزعًا واتسعت عيناها :

- أباكم هل أنتم من نسل الدرويش ؟؟

وهنا نظرت نيرمين بحيرة إلى أختها فهي لا تفهم لماذا المرأة تعاملها بتلك الطريقة الغريبة وتخاف منها، أسرعت المرأة من أمامهم تركض حيث النساء يجلسن وهنا سمعا شهقت النساء العالية ونظراتهم المريبة إليهما التي تتهمهم بشيء ولكنهم لا يفهمان شيئًا.

وهنا تقدمت ناردين بغضب من إحدى النساء وقالت بقوة وبصوت عالي :

- أين بيت درويش السيد إمام فأنا ابنته ناردين؟؟

وهنا نظرت لها المرأة برعب ونظرت إلى عيونها ورأت فيهما عيون أبيها وقوته ولمحت الكائن المرسم على ذراعها وهو يبتسم بسخرية .

فصرخت متوسلة :

- سامحيني لم أكن أعرف بأنكم من نسل الدرويش ورفعت يديها وأشارت أنه آخر منزل بالحارة على الناصية المنزل الأخضر سامحيني يا فتاة على جهلي وعدم معرفتي ولا تؤذيني أرجوك.

وهنا نظرت لها ناردين بغضب ولم ترد بل ذهبت إلى أختها قائلة بحزم :

- هيا يا نيرمين لنذهب من هنا

نظرت نيرمين بتوتر إلى أختها و إلى المرأة التي كانت تقف مكانها مصدومة ولم تتحرك فقالت:

- ماذا قلت لها يا أختي فالمرأة تبكي فزعًا وكأنها رأت الشيطان ذاته ؟؟

- لا تهتمي فهذه حارة شعبية و لابد أن تتعاملي بحزم مع الغرباء والمتطفلين وإلا لن يحترمك أحد ولا تنسي بأننا غرباء هنا ولا نعرف أحدًا

هزت نيرمين رأسها بقوة ولم ترد ولكنها لم تشعر بالارتياح لهذا المكان الضيق كريه الرائحة وهمست لنفسها لكم أتمنى أن أذهب إلى الإسكندرية و إلى منزلي الآن فلقد اشتقت إليهما.

ذهبتا إلى المنزل بنهاية الحارة وكانت عيون النساء تراقبهما بفزع وسمعت همساتهن وهن يرددن :

- لقد عاد نسل الدرويش ..

لم تفهم أي منهما همهمت وهمسات النساء الغير مفهومة ولم تعلق أي منهما عليها، وقفت ناردين أمام أحد المنازل المكون من ثلاث طوابق ولونه أخضر وباب مدخله مدهون بالأسود ورسم عليه علامة كبيرة بالأحمر الدموي و لافتة صغيرة باللون الأحمر كتب عليها « منزل الدرويش » وتحتها تلك الجملة :

« يـا ابـن آدم لا تتلفـظ وتقـول مـا لا تعلـم حتـى لا تنـدم وتمـوت لتلـك الكلـمات التـي قلتهـا... وأنـت جاهـل لا تفهـم معناهـا»

قرأت الفتاة العبارة بحيرة ثم قالت :

- إنه المنزل يا أختي؟؟

- وكيف عرفت يا ناردين ؟

- مـن اللافتـة يـا أيتهـا الذكيـة ووصـف المـرأة ...انظـري وأشـارت بإصبعهـا إلى اللافتـة المعلقـة عـلى البـاب بالاسـم ، وبعدهـا رنـت جـرس البـاب المعلـق عـلى الجـدار بجـوار بـاب المنـزل الخارجي؟؟

قـرأت نيرمـين الجملـة وشـعرت بانقبـاض الصـدر والتوتـر فقالـت بخـوف:

- نارديـن أنـا خائفـة ولا أشـعر بالارتيـاح لذلـك البيـت ؟؟ ومـا هـذا الـكلام الغريـب المكتـوب عـلى البـاب ؟؟

- لا تخـافي مـن شيء يـا نيرمـين، وهـي مجـرد عبـارة حكمـة فـلا تقلقـي فـالآن سـنرى أبانـا الـذي حرمنـا منـه مـن سـنين ولا نعـرف السـبب الآن سـنعرف الحقيقـة يـا أختـي اهدئـي وتمالكـي نفسـك ؟؟

- وماذا إن لم يصدقنا أحد وطردونا شر طرده؟؟

- لا تكـوني غبيـة يـا نيرمـين فمعنـا أثبـات شـخصية وبطاقـة تحقيـق شـخصية تثبـت بأننـا ابنتـا الرجـل فـلا تتفوهـي بالغبـاء مـن فضلـك وبعدهـا أخـذت تـرن الجـرس كثـيرًا ولكـن لم يـرد أحـد ..أو يجيبهـم فيبـدو أن المنـزل فـارغ ولا يسـكنه أحـد

فتعجبت قائلة :

- هـل المنـزل خـالٍ ولا يوجـد أحـد الآن فهـل قطعنـا كل تلـك المسـافة حتـى لا نجـد أحـدًا فـما هـذا الحـظ السـيئ يـا أختـي ؟؟؟

- ردت نيرمين :

- لا يـا أختـي هنـاك امـرأة نظـرت مـن النافـذة الآن ودخلـت مسرعـة أعتقـد بأنهـا سـتفتح البـاب انتظـري .

وفي اللحظـة التاليـة فتـح بـاب مدخـل المنـزل ، ليجـدوا أمامهـم امـرأة في منتصـف الأربعينـات مـن عمرهـا بشرتهـا بيضـاء كالبـن وتظهر الكثير مـن العـروق الرفيعـة الزرقـاء عـلى وجههـا تغطـي رأسـها بغطـاء أخـضر اللـون وترتـدي عبـاءة سـوداء اللـون نظـرت لهـم بدهشـة فقالـت نيرمـين بتوتـر:

- نحـن نريـد أبانـا درويـش السـيد إمـام فنحـن « نيرمـين ونارديـن » ابنتـاه التـوأم وأخرجتـا بطاقتهـما الشـخصية التـي تثبـت صحـة كلامهـما وهنـا اتسـعت عـين المـرأة عـن آخرهـا ولم تـرد عليهـما أو تدعوهـما للدخـول وهنـا سـمعا صـوت امـرأة أخـر مـن الأعـلى يتسـاءل بقلـق :

- من على الباب هناك؟

فلـم تـرد المـرأة عليهـا ..ولكنهـا أفسـحت الطريـق لهـما فدخلـت نارديـن وهـي تنظـر إلى المـرأة بتحفـز ونظـرت إلى أعـلى الـدور العلـوي مـن تحـت السـلم فقالـت بصـوت عـالٍ :

ــ نحن ابنتا الدرويش نيرمين وناردين هل أبونا موجود ؟

- فهتفت المرأة بفرح قائلة :

- بنـات ولـدي اصعـدا يـا فتيـات وأخـيرًا عدتمـا يـا حبيبتـي..إلى

منزلكما وحضني من جديد بعد ما فعلته أمكما سامحها الله من سنين.

وهنا نظرت نيرمين بدهشة إلى أختها و إلى البيت و إلى المرأة وحاولت الرجوع فلم تكن تشعر بالارتياح فقالت لها أختها :

- اصعدي يا أختي فلم نأتِ كل تلك المسافة لنعود دون أن نرى أبانا ونعلم الحقيقة ؟

صعدت نيرمين بخوف واتبعتها ناردين التي سمعت من يهمس باسمها :

- نارررررررررر ديييييييييييييييييين

التفتت بتوتر إلى مصدر الصوت فكان صادر من تلك الشقة جهة اليسار المقفولة تحت السلم كانت الشقة مبنية بطريقة غريبة فبابها الأسود القاتم جهة اليسار يخرج عن الجدار خلفه بطريقة غريبة وعليها أقفال كثيرة من الخارج وكأنها سجن وتلك هي القضبان الحديدية عليه لتمنع هروب أحد من داخله...

شعرت بأن هناك من يناديها من خلف القضبان والأقفال الحديدية لتلك الشقة المغلقة فاختلط اسمها بصوت صفير الرياح وشعرت بالبرودة تسري في جسدها وشعرت برعشة تسري في أوصالها لا تدري ماذا حدث لها ولكنها شعرت بشيء غريب؟؟

همت للذهاب للشقة مأخوذة وكأنها منومة مغنطيسيًّا لا تدري ما تفعله فكل ما كان يشغل عقلها بتلك اللحظة هو تلبية النداء الذي مازال يتردد ويهمس باسمها :

- ناررر دييييييين اقتربي

أخـذ الاسـم يـتردد بقـوة تلـك المـرة وبصـوت عـالٍ فشـعرت وكأن أحدهـم أيقظهـا مـن نـوم عميـق وحلـم لذيـذ لا تريـد أن تسـتيقظ منـه الآن .. ولكنهـا سـمعت مـن ينـادي عليهـا بقـوة تلـك المـرة ولكنـه مـن أعـلى السـلم تلـك المـرة فرفعـت رأسـها بحـيرة فـرأت أختهـا تقـف أعـلى السـلم تنـادي عليهـا:

- ناردين ماذا تفعلين هيا اصعدي فجدتك تنتظرك...؟؟؟

صعـدت وهـي تنظـر إلى بـاب الشـقة المغلـق بفضول....وتتسـاءل مـن الـذي نـادي عليهـا وهمـس باسـمها مـن الداخـل يـا تـرى؟؟؟

هـزت رأسـها بحـيرة وبعدهـا صعـدت الـدرج إلى أختهـا وجدتهـا حيـث ينتظرانهـا في الأعـلى وكانـت المفاجـأة والصدمـة.



الفصل الرابع

الصدمة

كانـت الصدمـة شـديدة لـكلا الفتاتـين عندمـا رأيـا الجـدة فلقـد كانـت مشـلولة لا تتحـرك تجلـس عـلى مقعـد متحـرك جلـس الثلاثـة يتحدثـن في الصالـة التـي كانـت تحـوي صالـون قديـم عفـا عليـه الزمـن وكانـت تطـل عـلى الصالـة ثـلاث غـرف مغلقـة وطرقـة طويلـة يبـدو بـأن بنهايتهـا دورة الميـاه والمطبـخ منعـزلان عـن باقـي الغـرف والصالـة.

نظـرت نارديـن إلى الشـقة وأثاثهـا المتواضـع بحـيرة فهـل تركـت الأم الأب لضيـق حالـه وظروفـه هـي لا تفهـم ..

وهـل كل امـرأة يضيـق حـال زوجهـا تأخـذ أطفالهـا وتفـر هاربـة مـن المنـزل وهنـا قالـت الجـدة:

– مرحبًـا بكـما يـا بنـاتي لقـد عـادت الشـمس لتـشرق في المنـزل وتنـير البيـت بوجودكـما فيـه بعـد أن كان مظلـمًا لسـنين طويلـة بعدمـا أخذتكـما أمكـما سـامحها الله وتركـت المنـزل، لقـد بحثنـا عنكـما كثـيرًا، ولكـن بـلا جـدوى فرضينا بقضـاء الله ورفـض والدكـما أن يتـزوج وكان متأكـدًا بأنكـما سـتعودان يومًـا إلى المنـزل .

فرحـت نيرمـين بالتعبـير وبطيبـة قلـب الجدة،كانـت امـرأة عجـوز تجـاوزت السـبعين مـن عمرهـا ووجهـا تمـلأه التجاعيـد ووجههـا

أبيض ناصع، وعيونها بنيه وجسدها ممتلئ كانت قعيدة تجلس على كرسي متحرك .

قالت ناردين :

- أين أبي يا جدتي هل هو بالمنزل ؟

لم ترد الجدة بل نظرت إلى المرأة التي كانت تقف أمام طرقة الصالة تستمع لهما ولكنها لم تنطق بكلمة منذ أن حضرت الفتيات إلى المنزل ولم ترحب حتى بيهما أو يعرفان من تكون وتلاقت عيونهما وهزت المرأة رأسها بمعنى لا

فقالت الجدة وهي تحاول رسم الابتسامة على شفتيها :

- لم تتعرفا بعمتكما جليلة وهنا أشارت على المرأة لكي تأتي قائلة :

- تعالي يا جليلة اجلسي يا ابنتي وتعرفي على بنات أخيك.

تحركت المرأة ببطء وجلست بالية على المقعد الفارغ بالصالون ولم تقل شيئًا للفتيات بل كانت تنظر إلى ناردين بخوف وعيون مذعورة ولم ترفع عينيها من على ذراع الفتاة وعلى الوشم الذي لم يظهر منه سوى جزء بسيط وهو المخلوق الأخير بشكله المريع وهو يبتسم ساخرًا

نظرت الأختان كلا منهما لعين الأخرى بتوتر فيبدو بأن العمة لم يعجبها رجوع الفتيات إلى المنزل

وهنا قالت نيرمين بترحاب:

- مرحبا يا عمتي كيف حالك ؟؟

لم ترد المرأة على الفتاة بل كانت مشغولة بالنظر إلى ذراع أختها

برعب وهنا شعرت نيرمين بالتوتر والحرج فقالت ناردين بقسوة وهي تنظر إلى الجدة:

- يبدو أن أحدًا لم يعجبه رجوعنا يا جدتي ؟؟فهل نعود أدراجنا؟؟ و كفى الله المؤمنين شر القتال؟؟

فقالت الجدة بحزن ودموعها تتساقط :

- ماذا تقولين يا ابنتي فلقد أرسلكما الله لي رحمة بحالي وما أعانية من الوحدة في آخر أيامي وما حدث لعمتكم وأبيكم ، فعمتكما خرساء لا تتكلم فلقد فقدت القدرة على الكلام منذ أكثر من شهرين بعد تلك الحادثة

فرددت ناردين :

- خرساء وحادثة أرجوك وضحي كلامك يا جدتي وأين هو أبي الآن ؟؟

نظرت الجدة إلى عيونهم بحزن ثم قالت من بين دموعها المتساقطة:

- لا أحد يعرف مكانه إلا الله عز وجل يا حفيداتي

صاحت ناردين بغيظ :

- ماذا تقولين فهل هرب أبي من المنزل هو الأخر كما فعلت أمي؟؟

- لا يا ابنتي أبوك لم يهرب أو يغادر المنزل ولكنه اختفى فيه ؟؟

- ما هذا الهراء الذي تقولينه وكيف اختفى بالمنزل أنا لا أفهم هذا التخريف وهذا الكلام الغريب؟؟

- رددت العجوز الكلمة بحزن تخاريف سامحك الله يا ناردين وهنا نظرت نيرمين بغضب إلى أختها ثم اعتذرت للجدة قائلة :

- لم تقصد أختي شيئًا يا جدتي ولكننا لا نفهم شيئًا فهل شرحت الأمر بهدوء ومن البداية من فضلك فلم نقطع كل تلك المسافة إلا من أجل معرفة الحقيقة ونرى أبانا ؟؟

- حاضر يا حبيبتي سأشرح لكما كل شيء من البداية ، منذ شهرين ونصف تقريبًا كان والدكما يمارس عمله بالشقة السفلية كالمعتاد ويومها تأخر حتى منتصف الليل فأرسلت عمتك جليلة لتناديه ليأكل شيئًا فلم يضع لقمة في فمه منذ الصباح وكان عنده عمل كثير ومرضى أتوا من محافظات عديدة، فكان صيته كبير في جميع المحافظات ..

وهنا تذكرت نادين من كان يهمس باسمها من داخل الشقة فهل هو والدها ..فقاطعت الجدة قائلة :

- مرضى وحالات وماذا كان يعمل أبي بالشقة هل هو طبيب فأنا لا أفهم ؟؟

- نعم كان أبوك طبيبًا يا بنيتي ويشفي الناس ويعالجهم مما هم فيه، ولكنه طبيب من نوع أخر فهو معالج روحاني بالرقية الشرعية والقرآن الكريم يا نادين فكان درويش كابية وأجداده رحمهما الله فلقد توارث المهنة من دراويش العائلة السابقين رحمهما الله جميعًا.

وهنا صاحت نادين بغضب غير مصدقة ما تسمع من تلك المخرفة :

- دجال ونصاب هل أبي كان يعمل دجالًا يا للمصيبة؟؟

- صاحت الجدة في وجهها بغضب:

- اخرسي أيتها الجاهلة ولا تخرفين فأبوك رجل تقي وكان

يتعامل بالرقية الشرعية والقران الكريم ليعالج المرضى وليس بالسحر والشعوذة كالدجالين ....وهنا قاطعتها نيرمين وهي لا تفهم شيئًا ولكن يبدو بأن المرأة مريضة ضغط فلقد انتفخت أوردتها واحمر وجهها غضبًا ..

و إن أكملت نقاشها مع أختها وأسلوبها المستفز ربما أصابتها جلطة في الحال فقالت نيرمين بهدوء:

- اهدئي يا جدتي بالله عليك فأختي لم تكن تقصد شيئًا ولكنها تستفهم الأمر فقط هل أحضر لك كوب من الماء أو أي دواء تأخذينه ؟ نظرت لها الجدة وأغمضت عينيها لتحاول أن تهدأ قليلًا وتسترخى فهي لا تتحمل أن يهان الدرويش وهي مازالت على قيد الحياة فلن تسمح بذلك فتحت عينيها ثم قالت بهدوء:

- لا يا نيرمين يا حبيبتي لا أريد شيئًا ولكني لن أتحمل أي كلمة على الدرويش هل تفهمان ثم ألقت نظرة على الفتاة الأخرى التي كانت تجلس بلامبالاة لا تصدق أي حرف تنطق به العجوز وتعتقد بأنها تخرف .

ابتسمت ناردين بهدوء قائلة وهي تشجع الجدة على الاستمرار بالحديث :

- أكملي يا جدتي فلم أكن أقصد ؟؟

نظرت لها الجدة بغضب وأخذت نفس عميق ثم قالت :

- لا تقاطعاني وإلا لن أكمل شيئًا هل تفهمان ونظرت إلى عين ناردين التي كانت تنظر بتحفز إلى الجدة و إلى التخاريف التي تقولها:

- أرسلت عمتكم جليلة لتنادي عليه ليأكل ولكنها عادت لتخبرني بأن الباب مغلق من الداخل ورائحة البخور القوية تملأ المكان فطلبت منها أن تدق الباب ربما نام ونسى نفسه كعادته و إن لم يفتح تدخل من باب المطبخ الذي يطل على المنور ويدخل إلى الشقة في نفس الوقت وبعدها بنصف ساعة سمعت الصراخ المتواصل لابنتي جليلة من داخل الشقة ولم أستطع النزول لمعرفة ماذا حدث لابنتي وللدرويش فكما تريان أنا مشلولة من زمن و اجلس على مقعد متحرك

أخذت أنادي على جليلة وأبيكم ولكنهما لم يردا مرت ساعة وأنا لا أسمع لهما صوتا فذهبت إلى النافذة وأخذت أصرخ و أطلب المساعدة وتجمع الجيران أمام باب المنزل وقذفت لهم مفتاح بوابة المنزل فدخلوا وطلبت منهم إنقاذ ابنتي والدرويش من الشقة كانوا ينظرون لي برعب ولم يجرؤ أي منهم على كسر باب الشقة على الدرويش خوفًا من بطشه وانتقامه إن لم يكن هناك شيء سيء

فأخبرتهم بالباب الأخر للشقة من المطبخ فدخلوا جميعًا وفتحوا الباب الرئيس للشقة و أخرجوا عمتكما وكانت فاقدة الوعي على الأرض وعندما استفاقت كانت تنظر للجميع برعب ولم تنطق بأي حرف من يومها وعندما سألتهم عن الدرويش قالوا بأنه لم يكن هناك أحد بالشقة غير الفتاة فأخذت أصرخ وأنادي على ابني ومن يومها لم يرَ أحد الدرويش بالشقة أو الحارة ولا أحد يعرف كيف اختفى الرجل من الشقة وأين ذهب ولم يعد من يومها ؟؟

قالت ناردين بدهشة:

- ما هذا الكلام الغريب اختفى ولا تعرفون له طريق؟؟

ردت الجدة وهي تنظر إلى عيونها قائلة :

- نعم يا حفيدتي اختفى ولكني أعرف أين هو ؟ ويومًا ما سيعود حتمًا بعد أن ينجز ما ذهب من أجله ؟؟

نظرت لها الفتاتان بتوتر ثم قالتا بصوت واحد :

- أين هو يا جدتي ؟؟

- لقد اختطفوه يا ابنتي لأنه كان يحاربهم بآيات الله ويحرقهم فيحولهم لرماد كان قويًا ولا يهاب أحدًا كأبيه الروحي الشيخ عرفان رحمه الله الذي رباه وعلمه كيف يكن محاربًا شجاعًا لا يخاف من أذيتهم أو بطشهم فلم يقف أحد في وجهه منهم يومًا؟

فقالت نيرمين بقلق وهي تنظر إلى عيون جدتها الواسعة :

- من هم يا جدتي؟؟

- إنهم الجن يا ابنتي فلقد كان أبوكم يحاربهم من سنين وهم يحاولون أذيته فسخرهم وأذلهم وانتصر عليهم، كما كان يحاربهم الشيخ عرفان رحمه الله من قبل فهو أحد جنود الله المكلفون على الأرض

بسملت نيرمين وحوقلت وهي تنظر إلى عيون جدتها الواسعة فيبدو أن المرأة تهذي وتخرف فما هذا الكلام الغريب الذي ليس له طعم أو رائحة ومن هو الشيخ عرفان هذا ..

ونظرت إلى عمتها التي كانت مازالت تنظر إلى ذراع أختها بطريقة غريبة لم يعجبها الوضع وكل ما يحدث في هذا المنزل الغريب ولكن لفت نظرها شيء هام فلقد قالت الجدة بأن الحادثة حدثت منذ شهرين ونصف وهو الوقت نفسه الذي بدأت أمها تمرض،

وأصابها المرض بشدة وتدهورت حالتها بطريقة غريبة أمام حيرة وعجز الأطباء بعد أن بدأت تتعافى بعد استئصال الورم وبعدها ماتت ..فهل أبوها هو السبب فيما حدث لها؟ فلقد كانت الأم تراودها الكوابيس في تلك الفترة بطريقة غريبة وتستيقظ من النوم تصرخ وتردد كلمة الدرويش سيعذبني فهل كانت تقصد أباها ؟؟

نظرت إلى الخاتم في إصبعها وهمست لنفسها:

- لولا الوصية والأمانة يا أمي لكنت ذهبت إلى أم نوفل هذه وعرفت الحقيقة كاملة فأنا لا أشعر بالارتياح لكل هذا و أريد الرحيل إلى الإسكندرية ولكنها وصية أمي رحمها الله ولن أخالفها مهما حدث ولماذا تريد أن نجلس في هذا المنزل أربعين يومًا ؟؟.

قاطعتها ناردين وهي تقول للجدة بتعب :

- أريد ان أستريح فأين حجرتي من فضلك فأنا أريد أن أستريح من عناء السفر و أشعر بالصداع ؟

ردت الجدة بصوت هادئ رصين قائلة :

- ليست لك حجرة يا ابنتي أنتِ وأختك في المنزل

فشهقت الفتاتان في نفس اللحظة فهل تطردهما الجدة بعد كل هذا الترحيب والاستقبال الحار..فيا لها من امرأة .. .وهنا ابتسمت بحزن وهي تكمل:

- ليس لكم حجرة بشقتي لأنه لكما شقة كاملة لتسكنا بها وتأخذا راحتكما فيها إنها شقتكم ولم يدخلها أحد منذ هربت أمكم بكما عندما كنتما رضيعتين رفض الدرويش دخولها وقال لن يدخلها غيركم ولن يسكن بها أحد غير بناته عندما تعودان كان يعرف بأنكما ستعودان يومًا، وكان ينتظركما فكان ينظف الشقة

كل أسبوع بنفسه ويرفض أن تساعده جليلة فلم يدخلها أحد منذ اختفائه ..اصعدا بدلا ملابسكما وخذا راحتكما حتى تعد عمتكما الطعام ..فطعام جليلة شهي ولا ينافسها فيه أحد ثقا في ذلك .

أعطت الجدة المفتاح لنيرمين وصعدت الفتاتان بقلق إلى الطابق الثالث حيث شقتهما وكانت كل واحدة تفكر في كل ما حدث وفي تلك القصة الغريبة التي قصتها الجدة عليهما وهل الجدة تخرف أم أن القصة حقيقية؟؟ و إن كانت حقيقية فماذا سيفعلان في تلك المصيبة وهل ستبقيان أربعين

يومًا بذلك المنزل الكئيب ؟؟

****

وضعت نيرمين المفتاح في ثقب الباب وحاولت أن تحركه ولكنها لم تستطع، وسمعت صوت صفير الرياح في أذنيها فشعرت بالتوتر فقالت لأختها بقلق:

- لا أستطيع فتحة ناردين فهو عالق..

- أعطني المفتاح وهنا تحرك المفتاح بسهولة بين يدا ناردين فقالت بسخرية:

- يبدو أن قصة تلك المخرفة أثرت على أعصابك يا أختي المرضة رقيقة القلب والمشاعر.

نظرت نيرمين بتعجب إلى الباب المفتوح فلقد حاولت كثيرًا فتحه فلم يتحرك المفتاح من مكانه وكان عالقًا فماذا فعلت أختها لتفتحه بسهولة ؟؟

سمعت ناردين تهتف بفرح من داخل الشقة:

- ادخلي يا نيرمين لتري هذا بسرعة لن تصدقي ما أرى أبدًا؟؟

دخلت الفتاة إلى الشقة متعجبة لماذا تصرخ أختها فشهقت :

- ما هذا ؟؟

فكانت الشقة أمامها تختلف تمامًا عن شقة الجدة البسيطة الباليه فكانت شقة راقية بأساس فخم وديكور رائع يدل صاحبها على ذوقه العالي وثرائه الفاحش كانت صالة كبيرة يبدو أن أحد الحجرات انضمت مع الصالة فأصبحت الصالة واسعة بها انتريه فخم وسفرة ضخمة وصالون صغير ومنضدة كبيرة وضع عليها حوض سمك كبير به العديد من الأسماك الملونة الجميلة بجوار باب الشقة .

كانت كالشقق الفاخرة التي تراها على شاشة التلفاز مليئة بالنباتات الخضراء موزعة بطريقة جميلة ومريحة للعين وحجرتان كبيرتان حجرة بها سريران ودولاب كبير وتسريحة وبجوار كل سرير كرسي هزاز من نفس اللون وستائر شفافة من نفس اللون كانت الغرفة جميلة وهادئة وغرفة نوم كاملة وبها مكتبة كبيرة وكرسي هزاز ومكتب اصطفت عليه الكثير من الكتب

شعرت ناردين بالراحة للمكان وفخامته فقالت :

- يبدو أن أبانا رجل ثري وكان يحبنا كثيرًا يا نيرمين فهل ترين الشقة وجمالها وأثاثها الفاخر فلماذا تترك أمي تلك الشقة وتهرب ..فيا لها من امرأة تحب الفقر؟؟

لم ترد نيرمين على أختها بل كان يشغل تفكيرها شيء أخر لقد قالت الجدة بأن الشقة لم يدخلها أحد منذ اختفاء أبيهم الدرويش ولكن الشقة مليئة بالنباتات الخضراء وهذه الأسماك بذلك الحوض

الكبير فمن كان يهتم بهم في تلك الفترة اقتربت من أحد النباتات فوجدت تربته مبلولة بالماء يبدو أن أحدهم قام بسقيها قريبًا والاعتناء بها كما أن الأسماك حية ترزق وتعوم والحوض نظيف وليس هناك أي سمكة ميتة بالحوض.

همست لنفسها:

- هناك من يهتم بتلك الأسماك ويطعمها فلن تتحمل الأسماك كل تلك الفترة بدون طعام ولا النباتات ستتحمل العطش كانت ستذبل وتموت فهل كذبت علينا الجدة عندما أخبرتنا بأن أحد لم يدخل الشقة منذ فترة اختفاء الأب أم أنها تكذب ولم يختفي الأب أصلًا ؟؟ زفرت نيرمين بغضب ثم قالت بصوت عالٍ:

- لا أرتاح لكل هذا ولا لتلك الشقة وهنا التفتت إلى غرفة النوم الرئيسة وكانت التسريحة بمرآتها الكبيرة مواجهة للباب فرات انعكاس المقعد الهزاز يهتز لوحدة ويرتفع إلى أعلى وينزل للأسفل، وكأن هناك من يجلس عليه ويحركه فصرخت نيرمين فزعًا وهي تشير إلى المرآة ..وهنا أتت أختها مسرعة من دورة المياه فلقد كانت تبدل ثيابها فقالت وهي تضع الفوطة على كتفها :

- ماذا حدث يا نيرمين ولماذا تصرخين؟

لم ترد الفتاة ولكنها أشارت إلى المرآة بالغرفة وهنا نظرت ناردين إلى الغرفة فلم تجد شيئًا يثير الفزع فهزت رأسها بحيرة ثم قالت :

-ماذا هناك فليس هناك شيء بالحجرة يا أختي ماذا بك ؟

قالت نيرمين بصوت مهزوز خرج بصعوبة من حلقها الجاف :

- المقعد الهزاز كان يتحرك وكأن هناك من كان يجلس عليه يا أختي اقسم لكِ.

ضحكت ناردين بعنف وهي تقول :

- يبدو أن تخاريف تلك المرأة العجوز وقصتها عن اختفاء أبينا قد أثرت على عقلك الباطن فجعلك تتوهمين الأشياء يا أختي العزيزة تعالي ..

وأخذتها من يديها وأجلستها على أقرب مقعد ثم أكملت حديثها وتصنعت الجدية:

- نيرمين ماذا سنفعل وهل هرب أبي من المنزل كأمي ولكن لماذا الآن ؟

- ولكن جدتك قالت إن الباب كان مغلقًا من الداخل يا ناردين فكيف هرب؟؟ولماذا؟

- ولكن تلك المخرفة قالت أيضًا إن هناك باب أخر يطل على منور المنزل وعلى مطبخ الشقة في نفس الوقت فربما خرج أبي منه ولم يره أحد أو يشعر به ولكن السؤال المهم الآن هو لماذا هرب؟؟؟

- ربما ذهب ليبحث عنا ؟

- يبدو أنك بدأت تخرفين أنت الأخرى ولماذا يهرب يا ذكية ويقوم بعمل كل تلك التمثيلية الهابطة ؟وهل تذكرنا الآن فجاءة بعد مرور أكثر من عشرين عامًا لا أعتقد ..هناك شيء أخر مريب في الأمر ولابد من اكتشافه

- ناردين أختي ما رأيك بأن نعود من حيث أتينا إلى الإسكندرية وحياتنا ونترك عنواننا للجدة وعند عودة الأب يتصل هو بنا ويبحث عنا .؟؟

- نظرت ناردين إلى الخاتم في إصبع أختها قائلة :

- وهـل سـتخلفين وصيـة أمـك رحمهـا الله ولا تعرفـين الحقيقـة فنحـن حتـى الآن لا نفهـم شـيئًا ومـا الـذي جعـل أمـك تـترك أبانـا وتفـر مـن المنـزل ويبـدو أن أبي كان كريـمًا ولم يبخـل عليهـا بـشيء وأثـاث الشـقة أكبر دليـل عـلى كلامي؟؟كـما أنني أشـعر بالارتيـاح هنـا وكأننـي كنـت مغتربـة في بلـد أخـر وأخـيرًا عـدت لموطنـي يـا أختـي لا أدري إنـه شـعور غريـب بالراحـة والطمأنينـة هنـا فلـن أرحـل الآن مهـما فعلـت ؟؟وتركتهـا وقامـت لتمشـط شـعرها هـي لا تـدري مـاذا حـدث لهـا حقًّـا لقـد كانـت غاضبـة ناقمـة عـلى أمهـا وأختهـا وكل شيء، ولكنهـا الآن تشـعر بالراحـة وكأنهـا وجـدت المـلاذ والأمـان هنـا فلـن تتخـلى عنهـم بسـهولة مهـما حـدث.

وهنا أمسكت نيرمين الخاتم بين يديها وقالت بحزن:

- لمـاذا يـا أمـي فعلـت ذلـك بنـا يـا ليتـك لم تفعـلي وتركـت الأمـور كـما كانـت مـن قبـل ؟؟

في تلـك اللحظـة رن جـرس البـاب كثـيرًا وكأن أحدهـم وضـع يـده ولم يرفعـه عـن الجـرس فأخـذ يـرن بإزعـاج دون توقـف نظـرت الفتاتـان إلى عيـون بعضهـما البعـض فقالـت ناردين بغضـب :

- من على الباب ؟؟

لم تسمع أي إجابة ومازال الجرس يرن فقالت نيرمين :

- افتحـي يـا أختـي ربـما كانـت عمتـك جليلـة فهـي لا تتكلـم كـما تعرفـين؟؟

فتحـت ناردين بـاب الشـقة لتجـد أمامهـا عمتهـا تضـع إصبعهـا عـلى جـرس البـاب ولا تتكلـم.

أخـذت جليلـة تنظـر إلى ذراعهـا بفـزع فلقـد كانـت الفتـاة ترتـدي قميصًـا بـدون أكـمام وبنطلونـًا قصـير فظهـر الوشـم كامـلًا عـلى ذراعهـا

ابتسمت ناردين بسخرية قائلة:

- هـل تريديـن أن أرسـم لـكِ وشـمًا مثلـه عـلى لسـانك أيتهـا الخرسـاء ربـما جعلـك تنطقـين نظـرت لهـا العمـة

بغضب ولم ترد وهنا صاحت نيرمين بغضب في وجهها :

- عيـب عليـك يـا ناردين إنهـا عمتـك كـما أنهـا مريضـة ...وبعدهـا نظـرت إلى العمـة بحـرج قائلـة:

- اعتـذر منـك يـا عمتـي فهـي لا تقصـد ولكنهـا تحـب المـزاح هـل الطعـام جاهـز فهـزت رأسـها بنعـم فقالـت نيرمـين:

- حـاضر سـننزل خلفـك وشـكرًا لتعبـك يـا عمتـي رحلـت جليلـة وهـي تبتسـم بحـزن .

قالت ناردين بعد أن أغلقت الباب خلفها :

- إن تلـك المـرأة تثـير فزعـي وتوتـري وتنظـر إلى ذراعـي بطريقـة غريبـة وتثـير اشـمئزازي يـا أختـي لا أدري لمـاذا ؟؟

- اتقـي الله يـا ناردين فهـي مريضـة ولا أحـد يعـرف شـعورها الآن وربـما لم تـرَ وشـمًا مـن قبـل لذلـك تنظـر إلى ذراعـك بفضـول فكـما تريـن أيـن تسـكن في منطقـة شـعبية ولا أعتقـد بأنهـا تعـرف معنـى وشـم أصـلًا؟؟

- تركـت لـك الحنـان يـا مـلاك الرحمـة كـما يلقبونكـم ، هيـا لنـأكل فأنـا أتضـور جوعـا

- انزلي أنت سأتوضأ و أصلي المغرب وبعدها أحصلك أختي

- هل ستجمعين وتقصرين صلاة المغرب مع العشاء كما فعلت مع الظهر والعصر في القطار

- لا يا أختي إنها رخصة رخصها الله للمسافر ولكننا وصلنا إلى منزلنا ويبدو بأننا سنزيد عن ثلاث ليالٍ فلا يعلم إلا الله كم سنبقى في هذا الكابوس؟!

نظرت ناردين إليها وهي لا تفهم شيئًا ولكنها تعلم أن أختها تحب القراءة في الفقه والسنة وأمور الدين :

- افعلي ما تريدين أيتها القديسة ولكني سأنزل لأتناول الطعام فأنا جائعة

- ناردين تعالي لنصلي معًا جماعة ما رأيك

- لا .. سأصلي في وقت آخر فأنا جائعة الآن وفتحت باب الشقة ونزلت مسرعة

وتركت أختها تقف حائرة من تصرفاتها وتدعو الله لها بحزن :

- ربنا يهديك يا أختي ويصلح حالك فهو يهدي من يشاء.

كانت تعرف أن أختها لا تصلي ولا تركع ولكم أخبرتها بضرورة الصلاة فهي فرض على كل مسلم ولكنها لا تستمع إلى كلام أحد إلا كلام عقلها وتفعل ما تشاء.



الفصل الخامس

الشقة السفلية

على مائدة الطعام وضع العديد من أصناف الطعام الشهي واللحوم الكثيرة ، أخذت ناردين تأكل بنهم وشهية كبيرة ولكن نيرمين كانت تلوك الطعام في فمها ببطء شديد ولا تستطيع بلعه فنظرت لها الجدة قائلة :

- لماذا لا تأكلين يا نيرمين يا ابنتي؟؟ فوجهك أصفر كالليمون ويبدو عليك الإرهاق والتعب فتناولي غداءك يا حفيدتي

- إني آكل يا جدتي لا تقلقي أشكرك لاهتمامك

- هل هناك ما يضايقك في المنزل يا حبيبتي؟؟

ردت بحزن وتأثر :

- نعم يا جدتي أفكر في أبي فأين هو الآن يا ترى وماذا يفعل؟؟

- لا أحد يعرف مكانه إلا الله وحده سبحانه وتعالى

ردت نيرمين بحيرة وتعجب:

- وكيف تكملون حياتكم وكأن شيئًا لم يحدث وكأنه لم يختفِ أو يهرب من المنزل ولا تعرفون له طريق لا أدري؟؟

ابتسمت الجدة بخبث فبانت أسنانها الصفراء:

- لقد أكملنا حياتنا عندما هربت أمك وكنتما مازلتما صغارًا وتسببت في فضيحتنا بالمنطقة يا نيرمين ولم نمت واعتبرناكم أمواتًا ولن تعودوا مرة أخرى ولكنكم عدتما لنا برغم مرور السنوات .

- هل تعنين أن أبي لن يعود يا جدتي؟؟

لم تتكلم الجدة أو ترد عليها بل نظرت إلى عيونها بغضب وبعدها أدارت كرسيها المتحرك من على مائدة الطعام ورحلت دون قول شيء .

فهمست ناردين بغيظ وهي تنظر إلى جدتها الغاضبة:

- ماذا فعلت يا ملاك الرحمة ؟ هل جننت ألا تعرفين كيف تتكلمين لقد أزعجت الجدة بكلامك وربما طردتنا قبل أن نعرف الحقيقة ونأخذ إرثنا فيبدو أن أباك كان ثريًا يا لك من غبية.؟؟؟

- يا ليتها تطردنا ونعود إلى حياتنا السابقة يا أختي فهذا سيكون أفضل لنا ولن أخلف وصية أمي في تلك الحالة أبدًا.

سمعت الفتاتان صوت الجدة من الداخل وهي تقول بصوت عالٍ غاضب :

- لن أطرد أحدًا من منزله يا فتاة فهذا منزلكم و إرثكم ..وأنتم أخر نسل الدرويش.

نظرت ناردين بتعجب وحيرة إلى أختها فلقد كانت تهمس بصوت منخفض فكيف سمعتها الجدة بالغرفة

فهمست لنفسها :

- إن تلك المرأة وراءها سر ولابد من معرفته...

وهنا أتت جليلة لترفع أطباق الطعام من على المائدة من أمام الفتاتان وكانت ناردين مازالت تأكل بنهم فالطعام لذيذ بطريقة مثيرة لم تأكل مثله منذ مرض أمها فصاحت ناردين في عمتها قائلة:

- هل أنتِ خرساء وعمياء ألا ترين أنني مازلت أتناول الطعام ولكن العمة لم تنظر إليها بل رفعت الأطباق وكان شيئًا لم يحدث.

وهنا صاحت الجدة العجوز من داخل الغرفة بصوت عالٍ:

- إياك والغلط في ابنتي يا فتاة فهذه قوانين وأعراف المنزل عندما أقوم من على مائدة الطعام يرفع الطعام من على المائدة فهذا قانون عمار المنزل يا فتاة.

رددت ناردين بتعجب:

- عمار المنزل ..ماذا تقولين أنا لا أفهم شيئًا؟؟

- خذي ما تريدين من الطعام معك واصعدا إلى شقتكما وغدًا نتحدث في الأمر ..وإياك والسخرية من جليلة فاتقي شرها يا ناردين حتى لا تندمين هل تفهمين ؟؟

هزت ناردين رأسها بحيرة من كلام جدتها الغريب فماذا تعني بأن أتقي شرها وماذا ستفعل لها تلك الخرساء؟؟

ألتفتت حولها تبحث عن أختها ولكنها كانت قد سبقتها وصعدت إلى الشقة من زمن ..وهي تبكي بحزن فلماذا تغيرت الجدة في معاملتها بدون سبب يا ترى؟؟

خرجت من شقة الجدة ولم تأخذ أي طعام معها بل كانت تشعر بالحيرة من تغير معاملة الجدة مرة واحدة...

وهنــا أغلــق البــاب بعنــف في وجههــا، فنظــرت نارديــن بغضــب صائحــة :

- يا لك من غبية تغلقين الباب بوجهي أيتها الخرساء.

وقفــت أمــام بــاب الشــقة تنظــر بغضــب إلى بــاب الشــقة المغلــق وهنــا ســمعت اســمها يــتردد مــن جديــد:

- نارررررررديييبين اقتربي أنا انتظرك منذ زمن ...

كان الصــوت صــادرًا مــن أســفل الســلم، نزلــت نارديــن إلى أســفل الــدرج ومازالــت تســمع اســمها يــتردد بهمــس

وأنــه ينتظرهــا فوجــدت نفســها أمــام بــاب الشــقة بالطابــق الأرضي وكان الاســم يــتردد مــن داخلهــا وضعــت أذنهــا عــلى البــاب فلــم تســمع شــيئًا إلا صــوت صفــير الريــاح وشــعرت بالــبرودة الشــديدة تــسري في أوصالهــا.

وهنــا نظــرت إلى الأقفــال الكثــيرة الموضوعــة عــلى البــاب كانــت الأقفــال شــكلها غريــب وكبــيرة لدرجــة كبــيرة فلــن تســتطيع فتحهــا مهــما فعلــت وحاولــت وهنــا نظــرت إلى بــاب المنــور وكان مفتوحًــا ففكــرت هــل مــازال بــاب المطبــخ الموصــل للشــقة مفتوحًــا ..

نظـرت إلى المنـور وكان مظلـمًا كالقبـور ومعتـمًا فشـعرت بالكآبـة مـن منظــره ولكنهــا اتخــذت قرارهــا ســتدخل وتعــرف مــن الــذي يهمــس باســمها مــن داخــل الشــقة وينــادي عليهــا فربــما كان أبوهــا .

فأضــاءت كشــاف تليفونهــا المحمــول وهمــت بوضــع قدميهــا داخــل المنــور لتدخــل الشــقة مــن البــاب الموصــل للمطبــخ كــما أخبرتهــا الجــدة فســمعت الــصراخ المريــع .....

فهتفت بفزع :

- نيرميين ماذا حدث ؟؟

****

صعـدت نيرمـين إلى شـقتها وكانـت حزينـة غاضبـة حائـرة لا تـدري لمـاذا تغـيرت الجـدة في معاملتهـا فهـي لم تقـل شـيئًا وأيـن أبوهـا ذهـب يا تـرى وكيـف يختفـي أو يرحـل الآن فـما هـذا الحـظ السـيئ؟؟

وهـل مـازال عـلى قيـد الحيـاة أم مـات فهـي لا تصـدق موضـوع اختفائـه هـذا أبـدًا ...دخلـت الشـقة و إلى غرفتهـا وجلسـت عـلى الكـرسي الهـزاز بالغرفـة وأخـذت تتحـرك بـه وتحـاول أن تهـدئ مـن أعصابهـا وهنـا رن جـرس تليفونهـا وكان محمـود:

- هل وصلتي يا نيرمين إلى بيت والدكم؟؟

- نعم يا محمود وصلنا ولكني لست مستريحة؟

- ماذا حدث عندك هل لم يرحبوا بكما؟؟

- لا لقد رحبت بنا الجدة ولكن أبي لم نره فليس هنا؟

- هل هو في العمل ؟؟

- لا

- أين ذهب إذا؟

- لقد قالت جدتي لا أحد يعرف طريقه لقد اختفى؟

- اختفى ؟؟كيف؟؟

- لا أحـد يعـرف يـا محمـود وأنـا لا أفهـم شـيئًا وأريـد الرجـوع إلى الإسـكندرية و منـزلي فأنـا لا أشـعر بالارتيـاح هنـا؟؟

وهنا صاح محمود بفزع:

- نيرمين ما هذا الصوت والصراخ من عندك ؟؟

- أي صوت أنا لا أسمع شيئًا؟

- صراخ مريع يا نيرمين وخوار غريب يصم الآذان يأتي من عندك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أين أنت يا وبعدها أغلق الخط ولم يكمل الجملة..

نظرت نيرمين إلى التليفون بحيرة و إلى الغرفة من حولها فليس هناك أي صوت غريب أو شوشرة تسمعها فهزت رأسها ربما كان عيب في الشبكة ..

أغمضت عينيها وأخذت تهز نفسها لأسفل وأعلى بالمقعد الهزاز وتفكر بكل شيء، فشعرت بتلك الحركة وكان أحدهم مرر ريشة على أصابع قدميها، فشهقت بفزع وفتحت عينيها بتوتر ونظرت إلى قدميها بتعجب فوجدت ريشه سوداء كبيرة على قدميها ونهاية طرفها تنزف دم ، وكأن أحدهم قام بنزعها من جناح الطائر في تلك اللحظة.

صرخت الفتاة وظلت تصرخ بفزع وهي تنتظر إلى الريشة بتعجب وشعرت بالفزع وبانقباض صدرها فمن أحضر تلك الريشة ووضعها على قدميها ولمن تكون، إنها أكبر بكثير من أن تكون ريشة نعامة، فريش النعام ليس بذلك السواد الشديد، وهذا الحجم الضخم الكبير ربما كان طائرًا جديدًا عملاقًا لم يكتشفه أحد من قبل من يدري فالكون مليء بالأسرار من حولنا؟؟؟ ولكن من الذي وضعها على قدميها ولم يكن أحد معها بالغرفة ؟

وفي تلك اللحظة فصل التيار الكهربائي وعم الظلام وكان هذا أخر ما ينقص الفتاة ريشة عملاقة سوداء على قدميها لا تعرف مصدرها وظلام دامس يحيط بها من كل جانب فيا لسخرية الحياة ولطفها؟؟

أخذت نيرمين تصرخ بفزع وشعرت بمن يمرر الريشة على قدميها الأخرى وهنا لم تعد تتحمل ولم تستطع أضاءت التليفون لترى ماذا يحدث عند قدميها ؟

فليحدث ما يحدث فلن يهم الأمر الآن، فلتهرب من ذلك الموقف وهذا المكان اللعين فلن يتحمل قلبها ولا عقلها استيعاب ما يحدث معها فسقطت الفتاة فاقدة الوعي فلم تتحمل الموقف؟؟

****

فتحت نيرمين عينيها ببطء فوجدت نفسها تنام على رمال حمراء دموية ليست صفراء أو بنية كما تعرفها كانت الرمال حمراء قرمزية وكأنها في صحراء واسعة تمتد إلى مالا نهاية أغمضت عينيها وفتحتها لعلها تحلم وستستفيق من حلمها الكريه، ولكن الصورة ظلت كما هي ولم تتغير وقفت حائرة لا تدري ماذا تفعل فرفعت عينيها إلى السماء لتدعو الله أن ينجيها مما هي فيه ..فماذا فعلت هي ليحدث لها هذا؟؟

كانت السماء مليئة بالكائنات السوداء الضخمة كانت تحوم وتطير فنظرت لهم نيرمين برعب متسائلة :

- ما هذا الشيء العملاق ؟

لم ترَ إلا أجنحتهم الضخمة وأرجلهم فلقد كانوا يطيرون على مسافة عالية ولكنها لمحت عيونهم الحمراء الدموية التي كانوا

ينظـرون لهـا بهـا أغمضـت عينيهـا واسـتعاذت بـالله مـن الشـيطان الرجيـم، حاولـت الـصراخ ولكـن أبـت الصرخـة أن تخـرج مـن حلقهـا الجـاف، حاولـت السير والابتعـاد ولكنهـا شـعرت بمـن يثبـت أقدامهـا بالمـكان ..

لقـد شـعورا بوجودهـا فلقـد بـدأوا يهبطـون مـن السـماء باتجاههـا، كانـت عيونهـم مرعبـة بلونهـا الأحمـر الدمـوي وتأخـذ نصـف وجههـم ولهـم فـم كبـير مـن الأذن إلى الأذن بأسـنان حـادة رفيعـة مدببـة، كانـت هيئتهـم كالبـشر فلهـم ذراعـان وقدمـان ووجـه ولكـن أرجلهـم وأذرعهـم طويلـة ويزيـد عليهـم الجناحـان العملاقـان السـوداوان

حاولـت أن تغمـض عينيهـا فهـي لا تريـد رؤيـة ملامحهـم البشـعة المرعبـة، ولكنهـا لم تسـتطع إغـلاق عينيهـا لقـد شـعرت أن هنـاك مـن يتحكـم بإرادتهـا ويجبرهـا عـلى فعـل مـا لا تريـد ..

أخـذت تتـضرع إلى الله أن ينجيهـا ممـا هـي فيـه تحـاول أن تقـرأ مـا تحفظـه مـن آيـات الذكـر الحكيـم ، فـرددت آيـة الكـرسي وأخـذت ترددهـا بقـوة وهنـا سـمعت الـصراخ والمـواء ..الخـوار وكأن هنـاك مـن يذبح..سـمعت صـوت النـار عندمـا تلقـى عـلى نـيران مشـتعلة لتطفئهـا..

أغمضـت عينيهـا أخـيرًا بقـوة ووضعـت يديهـا عـلى أذنهـا حتـى لا تسـمع صراخهـم وأخـذت تـردد القـرآن ومـا تحفظـه مـن كلام الله فلقـد كانـت تحفـظ خمسـة أجـزاء مـن القـرآن الكريـم .

وهنـا شـعرت بالهـدوء والسـكينة ففتحـت عينيهـا ببطء فوجدتـه أمامهـا يبتسـم لهـا بـود شـيخ كبـير ووجهـه يشـع نـورًا ولـه لحيـة بيضـاء كبـيرة تصـل إلى أسـفل سرتـه و شـعرٌ أبيـض طويـل يصـل إلى أسـفل ركبتيـه.

شعرت بالراحة وهي تنظر إلى وجه الشيخ الطيب فقالت له :

- أين أنا أيها الشيخ الجليل وما هذه الأشياء المرعبة؟

لم يجيب على سؤالها ولكنه قال لها بصوت قوي:

- ارحلي من هنا وعودي من حيث أتيت !

وتمسكي بكتاب الله ستنجيك كلمات الله من بطشهم

و أذاهم، فهذا ليس مكانك يا ابنتي ؟؟ فلن يدعوك وشأنك وأنت من نفس النسل يا فتاة ؟؟

نظرت إليه بتعجب:

- لن يدعوني وشأني ؟؟ ونفس النسل أنا لا أفهم شيئًا، أيها الشيخ ..من هم بالله عليك...؟؟

- ارحلي يا بنيتي و ادعو الله أن يغفر لي فأنا من جلبت الشر دون قصد مني.

لم تفهم ما يقوله الشيخ فحاولت أن تسأله :

- أي شر يا جدي جلبته لا أفهم عما تتحدث .. ولكنها وجدت نفسها تهتز بقوة وكل شيء من حولها يتحرك بطريقة عكسية

أخذت تهتز بعنف فكل شيء كان يتحرك من حولها وشعرت بأنها تغرق بالرمال الحمراء من حولها، صرخت كثيرًا وكان صدي صرخاتها يبتعد ويبتعد ...

وهنا سمعت صوت أحدهم ينادي باسمها ..فأخذت تبحث عن مصدره وهي تغرق وسط الرمال وكأنه طوق النجاة الذي سيخرجها من هذا الكابوس كانت تعرف الصوت جيدًا ولكنها لم تميز من صاحبه

- نيرمين استفيقي بالله عليك..ماذا حدث ؟؟

فتحت نيرمين عينيها بفزع لتجد أختها تقف بجوارها وتهزها بقوة وهي تحاول أن تجعلها تستفيق ..قائلة:

- أخيرًا الحمد لله ..ماذا حدث يا أختي ولماذا كنت تصرخين؟ لقد أوقفت قلبي أيتها الغبية.

لم ترد نيرمين بل نظرت إلى أختها بفزع و إلى الغرفة من حولها تحاول استيعاب ما حدث وأين كانت هي منذ قليل ومن هذا الشيخ ولماذا نادته بجدي والأهم الآن هو لماذا تشعر بالألم في قدميها وهنا تذكرت الكائنات السوداء و الريشة السوداء على قدميها فنظرت إلى أقدامها فوجدتها تنزف وكأن أحدهم قام بخدشها بشيء حاد ..ولم تكن الريشة موجودة هناك

نظرت ناردين إلى ما تنظر إليه أختها بفزع فوجدت قدم أختها اليسرى تنزف الدماء فهتفت بفزع:

- ماذا فعلت بنفسك أيتها الغبية وكيف جرحت نفسك هذا الجرح العميق ؟

ذهبت بعدها وأحضرت مجموعة من المناديل وقامت بوضعها على الجرح والضغط عليه بقوة

وهي تتساءل :

- لماذا لا تنطقين ماذا حدث يا نيرمين وكيف جرحت نفسك بتلك الطريقة الغريبة؟؟

- كانت كلمات الشيخ تتردد في عقلها « ارحلي من هنا وعودي من حيث أتيت ؟؟ وتمسكي بكتاب الله ستنجيك كلمات الله من بطشهم و أذاهم، فهذا ليس مكانك يا ابنتي! فلن يدعوك وشأنك وأنت من نفس النسل يا فتاة!

- ناردين أريد أن استمع إلى القرآن الكريم افتحي التلفاز على أي قناة للقرآن الكريم من فضلك.

- حاضر سوف أفتحه لك ..فلا تبكي من فضلك

وهنا انقطعت الكهرباء وعم الظلام فصاحت ناردين :

يا إلهي هل هذا وقته ؟ انتظري سأنير الكشاف فهناك واحد بغرفة النوم الأخرى لا تخافين وتصرخين كالأطفال أغمضت نيرمين عينيها وأخذت تردد ما تحفظه من آيات الذكر الحكيم، وكانت تشعر بالاختناق ورائحة كريهة من حولها تشعرها بالغثيان، كانت تسمع صوت الرياح وصفيرها في أذنيها ..

هل تلك الخربشة صادرة من الغرفة أم من الشارع كانت تفكر ولا تدري حاولت إضاءة تليفونها

المحمول كانت البطارية ضعيفة وعلى ضوئه الباهت لمحت ذلك الشيء الأسود الذي جرى من أمامها مسرعًا صرخت بفزع وفي تلك اللحظة أتت ناردين وهي تنير الكشاف لتضيء الغرفة وتبدد الظلام فقالت:

- هل ستظلين جبانة طوال حياتك يا أختي وتخافين من ظلك ؟

لم ترد عليها نيرمين بل قالت بانهيار:

- نيرمين أريد العودة إلى الإسكندرية الآن ؟

- هل جننت هل تريدين العودة في هذا الوقت المتأخر يا مجنونة وماذا عن وصية أمي؟؟هل ستخلفينها؟ بسبب كابوس أزعجك يا نيرمين؟ اهدئي يا أختي ولا تتسرعين.

صمتت نيرمين وتساقطت دموعها بقهر فهي لا تريد البقاء في هذا المنزل اللعين تشعر بالكراهية والغربة بالمكان فهناك شيء خاطئ بالمكان ولكنها لا تدري ما هو ورغم ذلك هي مضطرة للبقاء مجبرة لتنفيذ الوصية.

« مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرءُ يُدْرِكُهُ... تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ »

قالت نيرمين من بين دموعها :

- ناردين لا تتركيني من فضلك فأنا خائفة ابقي بجواري حتى أنام ولا تطفئي الكشاف اعرف بأنك لا تخافين الظلام طوال حياتك وتعشقينه عن النور.

نظرت لها ناردين بسخرية:

- يا لك من غبية، إنه مجرد كابوس ما رأيته، ربما بسبب كلام جدتك الغريب لا أدري كيف تكوني أنتِ أيتها ألبسكوية الناعمة أختي والأسوأ توأمتي وعشنا معًا نتشارك الطعام والمأوى في رحم أمنا يا إلهي أشعر بأن بالأمر خدعة

ابتسمت نيرمين رغمًا عنها لدعابة أختها وقالت :

- تصبحين على خير

- انتظري لا تنامي الآن أريد أن أخبرك بشيء غريب يحدث بهذا المنزل الغريب.

- شيء غريب وما هو يا أختي؟؟

- إني أسمع صوتًا يهمس باسمي من الشقة بالدور الأرضي ويقول بأنه ينتظرني

- ماذا تقولين يا ناردين ومن هذا ؟؟

- أقسم لك فهذا ما حدث لقد سمعت أحدهم يهمس باسمي مرتين و أشعر بأن هناك أحد بالشقة وليست خالية كما قالت جدتي وأخبرتنا.

- ومن سيكون بالشقة يا ناردين ربما تتوهمين؟

- لا أنا لا أتوهم وأنت تعرفينني جيدًا ربما كان أبي يا نيرمين وكل ما قالته الجدة كذب وهو بالشقة السفلية الآن لسبب ما ولم يغادرها كما أخبرتنا منذ قليل؟

- لا أدري ولكني لا أعرف كيف تعيش الجدة حياتها عادي وكأن شيئًا لم يحدث، أشعر بعدم الارتياح أيضًا لما يحدث ولا أصدقه يا ناردين؟؟

- ماذا تعني نيرمين فهل تكذب الجدة علينا ؟؟

- ربما من يدري فربما كنت محقة وكان أبي بالشقة مادمت متأكدة بأنك سمعت صوت أحدهم ؟؟

- ولكن كيف عرف اسمي يا أختي ؟

- ربما عندما أخبرنا العمة جليلة والجدة فلقد كنا بالمدخل وبجوار باب الشقة وقتها ؟؟

- ولماذا لم ينادي عليك أنت يا نيرمين؟

- لا أعرف ربما لأني صعدت قبلك إلى جدتي وبقيت أنت بالمدخل فرأك من عين الباب السحرية أو شيء من هذا القبيل ؟

- يا لك من فتاة ذكية يا أختي وتصلحين للتحقيق مع الشرطة ..

ضحكت الأختان وهنا قالت ناردين باهتمام :

- لابد أن ندخل الشقة ونرى من بالداخل ؟؟

- وهل ستسمح لنا جدتك ؟

- لا أدري ولكن حتى و إن لم تسمح لنا بالأمر فمن سيهتم سندخل ونعرف الحقيقة بأنفسنا ما رأيك..

نظرت لها نيرمين بحيرة ولم ترد فهي لا تشعر بالارتياح لكل هذا فهزت رأسها بالموافقة ولم ترد.

وهنا قالت ناردين :

- يا ليت الكهرباء تعود لنستطع دخول الشقة..ولم تكمل جملتها فعادت الكهرباء لتنير الشقة ..

فهتفت بحماس لقد عادت الكهرباء يا أختي هيا بنا لنعرف من بالشقة ويهمس باسمي

- انتظري ناردين للصباح فنحن لا نعرف ماذا يوجد بالشقة والوقت متأخر فربما انقطعت الكهرباء مرة أخرى كما أنا النهار له عيون كما كانت أمي دائمًا تقول رحمها الله وغفر لها.

هزت رأسها بغضب فلقد كانت متحمسة ومتشوقة لدخول الشقة:

- عندك حق وربما شعرت بنا البومة الخرساء

صاحت نيرمين بغضب:

- ناردين بالله عليك لا تتسببين في مشاكل ولا تحتكي بعمتك جليلة أو تذكريها بسوء حتى لا تثيرين غضب جدتك اتفقنا

- سأحاول ولكنها مستفزة ونظراتها تشعرني بالغثيان

- هـي تنظـر للوشـم عـلى ذراعـك ويعجبهـا حـاولي ارتـداء شيء بأكـمام وحـلي المشـكلة مـن فضلـك.

- حـاضر يـا أختـي ولكنـي لـن أتحمـل ذلـك الحـر والجـو الجـاف فبـشرتي حساسـة للغايـة.

- اعتـبرى نفسـك محجبـة يـا أختـي ولابـد لـك مـن ارتـداء شيء بأكـمام وتغطيـة يديـك وشـعرك

وهنـا غـيرت ناردين الموضـوع حتـى لا تتكلـم أختهـا كثـيرًا وتأخـذ في وعظهـا وكلامهـا عـن الصـلاة والحجـاب وضرورتهـم لـكل فتـاة مسـلمة وفـرض ..وسـنة وهـي لا تريـد أن تتحـدث في الأمـر الآن .

- هل ستأتي معي غدًا وندخل الشقة لنرى من بالداخل .

- إن شـاء الله تصبحـين عـلى خـير فأنـا متعبـة ... نامـت نيرمـين وهـي تشـعر بالقلـق ...

****

وقـف هـو فـوق الرمـال الحمـراء يرتـدي جلبابًـا أبيـض فضفـاض وينظـر لهـا بغضـب ولـوم في نفس الوقـت، إنـه نفس الشـيخ شـعرت بغضبـه بحزنـه بلومـه لهـا فقالـت لـه بصـوت ضعيـف:

- لماذا أنت غاضب مني أيها الشيخ الجليل؟

- لأنـكِ لم تنفـذي مـا قلتـه لـك يـا نيرمـين فلـماذا تعصـين أمـري يـا ابنتـي؟؟

- لم أسـتطع أيهـا الشـيخ فلـن أخلـف وصيـة أمـي ولـن أسـتطع تـرك أختـي بمفردهـا بذلـك المنـزل؟؟

- لقد خدع أمك يا ابنتي وتسبب في موتها ؟؟

- خدع أمي وتسبب بموتها من هو أخبرني؟؟

- لا أستطيع إخبارك بشيء ولكني أدعو الله القدير العزيز الجبار خالق الإنس والجن أن ترحلي من هذا المكان قبل فوات الأوان فمازال قلبك نقيًا يملئه الإيمان لم تدنسه دمائه

- ماذا تقول فأنا لا أفهم شيئًا

- ارحلي من هذا الجحيم سريعًا فلم يعجبهم دمك عندما تذوقوه ولا تتكلمي كثيرًا أو تدخلين نفسك في أمور لا تفهمينها ...ارحلي وإلا ستهلكين كما ستهلك الأخرى..

شعرت بمن يهزها بعنف ففتحت عينيها لتجد عمتها جليلة فوق رأسها ..

فنظرت حولها تبحث عن أختها بعيونها فلم تجدها بالغرفة .... فصرخت بصوت عالٍ :

- نارديين أين أنت يا أختي...

ولكنها لم تسمع إجابة ...فقفزت من على الفراش مفزوعة وأخذت تلف الشقة تبحث عن أختها ولكنها لم تجدها.

كان صوت الشيخ مازال يتردد بعقلها:

- ارحلي وإلا ستهلكين كما هلكت الأخرى ...فلم يعجبهم دمك عندما تذوقوه ..

فصرخت بصوت عالٍ ....

- ناردددددددددددددددددين ..... لاااااااااااااااااااااا



الفصل السادس

القسم

جلس في الظلام إلا من شمعة صغيرة تبدد ظلام الغرفة قليلًا وتلقي ضوءها على وجهه من هو ...

إنه شيخٌ كبيرٌ تجاوز السبعين من عمره فالتجاعيد تملأ وجهه والشيب يغطى رأسه ولحيته الطويلة التي تغطى أسفل سرته وكانت رائحة البخور العطري ودخانه كثيف تتصاعد من مبخرة كبيرة وضعت على منضده قصيرة، وجلس هو على أحد المقاعد الصغيرة المحيطة حول المنضدة أخذ الرجل يردد بعض الكلمات بقوة وبصوت عالٍ وهو يمسك بأحد الأوراق بين يديه ويقرأ ما فيها بصوت عالٍ ثلاث و ثلاثين مرة :

(« أقسمت عليك « بسمائيل » بالله و عظمته و العرش و رفعته و الكرسي و سعته وجبرائيل وروحيته و إسرافيل و نفخته و ميكائيل و أمنته و عزرائيل و قبضته، أنكم لا تعصوا من دعاكم بأسمائه بحق العهد و الميثاق و بما عاهدكم به سيدنا سليمان بن داوود عليه السلام عند باب الهيكل الكبير ببابل، و ألا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، و قد جعلت الله عليكم كفيلًا ،و كان عهد الله مسئولًا، أينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعًا إن الله علي كل شيء قدير

الوحـا الوحـا العجـل العجـل السـاعة السـاعة بـارك الله فيكـم و عليكـم. »)

أخـذ الرجـل يـردد الكلـمات بقـوة وصـوت جهـوري مخيـف حتـى انتفخـت أوردتـه و احمـر وجهـه ومـن يـراه مـن بعيـد سـيعتقد أنـه سـيصاب بجلطـة أو ذبحـة صدريـة في أي لحظـة ..وسيسـقط عـلى الأرض صريعًــا.

كان الهـواء يتخلخـل حـول الرجـل بصـوت غريـب وكلـما خرجـت الكلـمات مـن حلقـه فـإن الهـواء يتخلخـل مـن حولـه.

أكثـر و أكثـر ... صـوت خربشـة عـلى الجـدار ونقـر خفيـف وكأن أحدهـم يسـتأذن بالدخول...مـن خلـف الجـدار..

وهنـا انشـق الجـدار أمامـه إلى نصفـين وشـعر الرجـل بالـبرودة، و انتصـب شـعر يديـه، وسـمع صفـير الريـاح القـوي مـن حولـه مختلـط بصـوت النـيران عندمـا تلقـي فيهـا شـيئًا وهـي مشـتعلة لتزيدهـا اشــتعالًا ..

وهنـا رأه عندمـا انشـق الجـدار مـن أمامـه إلى نصفـين وخـرج هـو مـن ذلـك الممـر الضيـق شـديد الظـلام كان طويـل القامـة لدرجـة مثـيرة للفـزع بشـع الخلقـة، لـه أذنـان طويلتـان و أنـف كبـير كالمنقـار وعيـون حمـراء دمويـه مشـقوقة طوليًـا تغطـي نصـف وجهـه وممـص طويـل يحـل محـل الفـم، يغطـي جسـده الشـعر الكثيـف كانـت هيئتـه مرعبـة مخيفـة تجمـد الدمـاء في العـروق نظـر طويـلًا إلى الشـيخ، ثـم قـال بصـوت قـوي حـاد :

- ماذا تريد مني يا رجل تكلم ؟

نظر له العجوز بتوتر كان يشعر بالتوتر ودقات قلبه تتسارع ولكنه حاول أن يكون قويًا متماسكًا، فقال بصوت حاول أن يجعله قويًا :

- أريدك « بسمائيل » أن تخدمني وتطيعني وتنفذ أوامري بحق القسم وعهد سليمان عليه السلام.

وهنا أصدر الجني زمجرة قوية وحرك يديه الطويلة فأسقط كل شيء على الطاولة أمام الرجل بغضب ثم قال بصوت عميق :

- ولكني لست جني مسلم ضعيف لأطيعك وأنفذ أوامرك بتلك الكلمات وهذا القسم أيها الإنسي فلماذا تدخل اسمي معك فأنا جني مجوسي و أعبد النار ولن يؤثر في القسم ولن أطيع وأنفذ أوامر إنسي مهما فعلت وبعدها أصدر ضحكة قوية أخذ صداها يتردد في المكان ..

وهنا أخذ الرجل يردد الكلمات والقسم بصوت عالٍ قوي :

(« أقسمت عليك « بسمائيل » بالله و عظمته و العرش و رفعته و الكرسي و سعته وجبرائيل وروحيته و إسرافيل و نفخته و ميكائيل و أمنته و عزرائيل و قبضته أنكم لا تعصوا من دعاكم بأسمائه بحق العهد و الميثاق و بما عاهدكم به سيدنا سليمان بن داوود عليه السلام عند باب الهيكل الكبير ببابل و ألا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، و قد جعلت الله عليكم كفيلًا و كان عهد الله مسئولًا، أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا إن الله علي كل شيء قدير.

الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة بارك الله فيكم و عليكم. »)

و أخذ الجني يزمجر بغضب وهو يصرخ ويشعر بالاحتراق :

- قلت لك توقف فلن أطيعك ولن أخدم إنسي مسلم مهما فعلت توقف ولا تتلفظ بها لا تفهم حتى لا تندم على ما تفعل وتقول وتكون نهايتك توقف ...

لم يتوقف الرجل بل أخذ يردد القسم واسم الجني الذي بدء يذوب وهنا ابتسم الرجل قائلًا :

- ماذا تقول أيها الجني بسمائيل هل مازلت ترفض أن تكون خادمي؟!

قال من بين غضبه وآلامه المبرحة وهو يئن ويصدر صوتًا كخوار الثور عند ذبحه :

- نعم أرفض ولن يؤثر بي القسم فهو لا يؤثر إلا على الجني المسلم ولكني خادم للنار وعابدها فلن يؤثر علي قسمك ولن أطيع أوامرك فلست خادمًا لأحد إلا النار هل تفهم فلا تذكر اسمي مجددًا .

- وان كان كلامك صحيح فلماذا حضرت إذا يا بسمائيل

- حضرت لأنك ذكرت اسمي أكثر من ٣٣ مرة دعني ارحل واصرفني من هنا ولن أؤذيك

ضحك العجوز بعنف حتى اهتز جسده كله ثم قال:

- لن أدعك ترحل وستكون خادمي بسمائيل وتنفذ ما أريد وإلا أحرقتك بالنار التي تعبدها هل تفهم وهنا أخذ يردد بصوت عالٍ

- (« أقسمت عليك « بسمائيل » بالله و عظمته و العرش و رفعته،

و الكـرسي و سـعته وجبرائيـل وروحيتـه و إسرافيـل و نفختـه و ميكائيـل و أمنتـه و عزرائيـل و قبضتـه أنكـم لا تعصـوا مـن دعاكـم بأسـمائه بحـق العهـد و الميثـاق و بـما عاهدكـم بـه سـيدنا سـليمان بـن داوود عليـه السـلام عنـد بـاب الهيـكل الكبـير ببابـل و ألا تنقضـوا الأيـمان بعـد توكيدهـا، و قـد جعلـت الله عليكـم كفيـلًا و كان عهـد الله مسـئولًا، أينـما تكونـوا يـأت بكـم الله جميعًـا إن الله عـلي كل شيء قديـر.

- الوحـا الوحـا العجـل العجـل السـاعة السـاعة بـارك الله فيكـم و عليكـم.»

أخـذ الجنـي يـصرخ وهـو يشـعر بالذوبـان وبـأن جسـده يسـيل ويتسـاقط عـلى الأرض:

- سـتندم أيهـا الإنـسي الفـاني عـلى مـا فعلـت ومـا قولـت فلـن أتـرك لـك نسـلًا أو ذريـة إلا وسـخرته ليكـون خادمـي وينفـذ مـا أريـد سـتموت أبشـع موتـة مـات بهـا بـشري عـلى أرضـك وسـأعود أنـا يومًـا لانتقـم منكـم جميعًـا معـشر البـشر النمـرود..لتعرفـوا مـع مـن تمزحـون ...

وهنـا أخـذ الرجـل يـردد بعـض الكلـمات بصـوت عـالٍ أمـام صـوت وخـوار الجنـي الـذي أخـذ يـذوب أمـام عينيـه

فقال بصوت عميق:

«-» بسـم الله الملـك الحـق المبـين الرحمـن الرحيـم لا إلـه إلا الله بينـي و بـين أعدائـي لا إلـه إلا الله بينـي و بـين خصمائـي جبـل حائـل و سـتر محجـوب و سـد منيـع و سـيف قاطـع و نـار محرقـة و مجـرى عميـق لا يصلـون إليَّ لا بقـول و لا بفعـل مـن اليـوم إلى الغـد و مـن الغـد إلى الأبـد فسـيكفيكهم الله و هـو السـميع العليـم، تحصنـت بالحصـن المنيـع الـذي

أساسه لا إله إلا الله، و سوره محمد رسول الله، و مفتاحه لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم همسًا لمسًا هونًا عونًا، أنا العبد الضعيف سهمي نفذ و ربي الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد، اللهم إن جاءوا إليَّ فردهم و إن جاروا علي فهدهم، فأنك أنت ربي و ربهم و رب الخلائق كلهم »

أنهى الشيخ العجوز الكلمات وهنا سمع الأصوات العالية والنفير المزعج العجيب وكأنه يأتي من قعر سقر أو من أسفل الجحيم وسمع صوت زيت مغلي يفور عندما تسكب عليه المياه البارده وفي تلك اللحظة أمره اللشيخ بصوت قوي زلزل المكان :

- ادخل إلى الصندوق بسمائيل ولا ستموت حرقًا فأنا أحذرك، نظر الجني إليه بغضب وعيون حمراء دموية كادت تخرج من مقلتيها من شدة الغضب فلقد كان ضعيفًا هشًا و أشار الشيخ إلى أحد الصناديق على الأرض و أخذ يحاصره ويردد الكلمات فلم يكن أمام بسمائيل إلا أن رضخ لأمر الرجل ودخل ذلك الصندوق الأسود الصغير غريب الشكل على الأرض وهو مازال يردد بصوت متقطع بأنه سيعود يومًا وسيتحرر ولن يوقفه إنسي مهما كان الثمن ...فقال بصوت مخيف :

- سأعود يومًا أيها الفاني ولن يوقفني أحد يومها و اعرف أن يوم عودتي هو يوم موتك ....وبعدها صرخ بألم وضاع صوته الغاضب وزمجرته في الفضاء ...

وبعدها وقف الشيخ وهو ينظر إلى الصندوق الصغير على الأرض و أغلقة بيديه و أخذ يردد بعض الكلمات الغريبة الغير مفهومة القادمة من هناك ..

من كتب الماضي السحيق وسحره العتيق وأسراره الكونية المخيفة وقام بوضع قفل غريب الشكل على الصندوق ووقف ينظر إلى الجدار المشقوق أمامه بتوتر

و إلى كل تلك العيون الحمراء التي ظهرت من خلفه مذعورة خائفة وكانت تراقب ما يفعل بذعر فنظر لهم الرجل قائلًا بصوت عال قوي :

- هل يأتي نفر منكم طوعًا ومتطوعًا لخدمتي بحق سيدنا سليمان وقوته ورب العرش وحكمته ..

وهنا تقدم ثلاثة من الجن قصار القامة ولهم أجنحة سوداء كبيرة وبشرتهم سوداء وعيونهم حمراء دموية مشقوقة طوليًّا لتأخذ نصف الوجه بالطول وأذنان صغيرتان وفم كبير من الأذن إلى الأذن ويغطي الشعر الأسود الكثيف أجسادهم يبدو أنهم من نفس القبيلة والعشيرة فانحنوا أمام الرجل قائلين بصوت واحد :

- نحن خدامك يا سيدي وسننفذ أوامرك ونخدمك ونخدم ذريتك ونسلك من بعدك حتى تأتينا المنية وتذهب روحنا إلى خالقها فلن نخلف العهد بحق القسم .

وهنا نظر الرجل لهم بانتصار بعيونه الواسعة المفتوحة على أخرها وأشار بيده، فعاد الجدار إلى ما كان عليه وأشار إلى الصندوق فقام الثلاثة برفعه من على الأرض ووضعه في ركن الغرفة فوق أحد المناضد العالية التي لا يستطع أحد الوصول إليها.

وهنا جلس الرجل على المنضدة الدائرية أمامه و أخذ يقرأ في الكتاب الذي أمامه بصوت عالٍ ..

فسمع الطرق على الباب العنيف بصوت مدوي فتراجع الثلاثة

إلى الخلف حيث الظلام وتواروا وصوت أنثوي يقول بحدة :

- الطعام جاهز يا شيخ إمام هل انتهيت من عملك و أتيت لتتناول غداءك معنا فالصبي يتضور جوعًا؟؟

فرد عليها الرجل بهدوء:

- تناولي طعامك أنت والصبي يا منيرة فلست جائعًا الآن.

- هل أرسل لك الطعام مع الصبي بالخلوة يا شيخ إمام

فصرخ العجوز قائلًا:

- لا إياك إن يقترب الفتى من تلك الشقة السفلية ومن خلوتي هل تفهمين يا منيرة وإلا ستندمين ولن أرحمك لا أنت ولا هو وربما دفنتكما أحياء هنا .

لم ترد المرأة عليه بل تنهدت بضيق وزفرت بغضب فيا له من رجل قاسي القلب فلا تدري كيف تزوجته وهو يكبرها بعشرين عامًا ولكنه والدها سامحه الله وبعدها رحلت مسرعة من أمام الباب وهي تسمع تلك الأصوات الغريبة التي تهمس باسمها وترى لونًا أزرق يخرج من أسفل باب الشقة أخذت تنظر برعب وهي ترجع بظهرها حتى كادت تسقط على وجهها ..من شدة فزعها

****

استيقظ الصبي والعرق يغطي وجهه ويتساقط من جبهته غزيرًا و أخذ يصرخ بعنف وهنا دخلت هي الغرفة وهي تقول بفزع:

- ماذا حدث يا ولدي ولماذا تصرخ هل رأيت نفس الكابوس ووضعت يدها على رأسه

- لم يـرد عليهـا بـل أخـذ يـصرخ وهنـا ضمتـه إلى صدرهـا ووضعت يدهـا اليمـين عـلى رأسـه وأخـذت تقـرأ مـا تيـسر لهـا مـن القـرآن الكريم و أخـذ هـو يهتـز بعنـف حتـى خـارت قـواه وسـقط هادئًـا بـين يديهـا وضعتـه عـلى فراشـه وهـي تنظـر لـه بقلـق فـلا تـدري مـاذا تفعـل؟! فحـرارة الصبـي مرتفعـة ..

فـإن أخـبرت أبيـه بـما فعـل ربـما عاقبـه عقابًـا شـديدًا وعاقبهـا هـي لأنهـا تركتـه يدخـل تلـك الشـقة الملعونـة ولـن يصـدق زوجهـا بأنهـا لم تـر الصبـي وهـو يدخـل مـن البـاب الخلفـي للمنـور دون أن تـراه وإن لم تخـبره سـيموت الصبـي مـن الهلـع فـكل يـوم يقـوم مـن النـوم في نفـس الموعـد ودرجـة حرارتـه عاليـة ويـصرخ فزعًـا ولا يريـد أن يخبرهـا مـاذا رأى بالمنـام

همست منيرة بحيرة وهي تنظر إلى أعلى:

- مـاذا افعـل يـا ربي فأنـا لا أريـد أن يضيـع ابنـي الوحيـد منـي الـذي أنجبتـه بعـد سـنوات طويلـة وبعـد أن كـبر سـني وفقـدت الأمـل في الإنجـاب وليـس لي غـيره فـماذا رأى سـيد بالغرفـة ؟؟فمنـذ أن رأيتـه فاقـد الوعـي بالغرفـة وهـذا حالـه يسـتيقظ وهـو حرارتـه مرتفعـة كالنار والعـرق يغـرق ثيابـه وبعـد أن تقـرأ لـه القـرآن يهـدأ وينـام.

وفي اليـوم التـالي حاولـت منيـرة اسـتدراج ابنهـا وحثـه عـلى الحديث وأخبارهـا مـاذا رأى بالشـقة عندمـا دخلهـا ولكنـه نظـر لهـا ببلاهة :

- أي شقة يا أمي فأنا لا أتذكر شيئًا ؟!

- شـقة والـدك السـفلى يـا سـيد مـاذا حـدث هنـاك يـا ولـدي قبـل أن تسـقط فاقـد الوعـي ومـاذا رأيـت بداخلهـا .

ردد بتعجب :

- شـقة والـدي وسـقطت فاقـد الوعـي لا أعـرف مـاذا تقولـين يـا أمـي؟ وبعدهـا التفـت إلى أمـه ونظـر لهـا بطريقـة غريبـة ورأت انعـكاس النـيران في عينيـه فشـهقت فزعًـا وابتسـم هـو بسـخرية قائـلًا :

- سـأذهب إلى المدرسـة لقـد تأخـرت وأصدقائـي ينتظروننـي بالأسـفل يـا أمـي وداعًـا..

وتركها وذهب سريعًا وهو ينظر لها بحيرة لا يعرف عما تتحدث..

نظـرت الأم إليـه بهلـع وهـي لا تـدري كيـف تتصرف ومـاذا حدث لابنهـا الوحيد ؟؟؟

وعـادت بذاكرتهـا لتلـك الليلـة المشـؤمة التـي وجدتـه فيهـا عـلى الأرض فاقـد الوعـي بداخـل الشـقة الملعونـة التـي يـمارس فيهـا زوجهـا عملـه ويحـرم عـلى أحـد دخولهـا ...

و ذلـك اللـون الأزرق الغريـب وهـذا الصـوت البشـع الـذي جعلهـا تشـعر بالغثيـان وكاد الـدم يتوقـف في عروقهـا صـوت خـوار ثـور يذبح..فمنـذ صغرهـا وهـي تكـره صـوت خـوار الحيوانـات عنـد الذبـح وتكـره مـن يذبحهـا.

فكانـت تكـره مهنـة والدهـا الجـزار وتكـره وتخـاف مـن منظـر الدمـاء الحمـراء ...

و عـادت بذاكرتهـا لتلـك اللحظـة وهـي تبحـث عـن ابنهـا الوحيـد « السـيد » الـذي لم يتجـاوز الثانيـة عـشرة

مـن عمـره فلقـد كانـت نائمـة وقتهـا ولكنهـا سـمعت صرختـه العاليـة وهـو يسـتغيث بهـا مناديًـا باسـمها هـل كانـت تحلـم .

- أميييييييييييييييي

****

أخـذت نيرمـين تـصرخ بهسـتريا تنـادي عـلى أختهـا نارديـن وهـي تنظـر إلى عمتهـا بخـوف:

- ناردين أين أنت يا أختي بالله عليك ؟

ولكنهـا لم تتلـقَ أي رد أو تسـمع صـوت أختهـا ففتحـت باب الشـقة بغضـب بعـد أن بحثـت عنهـا بـكل شـبر بالشـقة فلـم يكـن لهـا أثـر فأخـذت هاتفهـا المحمـول وأخـذت تـرن عليهـا ولكـن هاتـف أختهـا كان مغلقًـا، وهنـا سـمعت الجـدة صراخهـا المتواصـل فخرجـت لهـا بالكـرسي المتحـرك وهـي تقـول بقلـق:

- ماذا حدث يا نيرمين لماذا تصرخين يا حفيدتي ؟

- إن نارديـن يـا جـدتي ليسـت بالشـقة ولا أعـرف أيـن ذهبـت و أشـعر بالقلـق عليهـا.

ردت الجدة بقلق :

- لا تخـافي ربـما كانـت هنـا أو هنـاك فأيـن سـتذهب فبـاب العـمارة مغلـق بالمفتـاح ولـن تسـتطع الخـروج مـن المنـزل فـلا تخـافي وهنـا نظـرت لهـا نيرمـين بفـزع ثـم قالـت بعـد أن تذكـرت شـيئًا هامًـا :

- الشقة لابد أنها دخلت الشقة.

فصرخت الجدة بقلق قائلة:

- أي شقة يا ابنتي؟

- الشـقة السـفلية بالـدور الأرضي لقـد كانـت تريـد الدخـول وتقـول: إن هنـاك مـن يهمـس باسـمها مـن الداخـل وبعدهـا أسرعـت تنـزل الـدرج وتركـت خلفهـا الفـزع والهلـع في عيـون الجـدة المريضـة وعيـون العمـة الخرسـاء.

وهمست الجدة بهلع :

- يـا لـك مـن فتـاة حمقـاء إن فعلـت يـا ناريـن ودخلـت إلى الجحيـم بقدميـك فلـن تخرجـي منـه سـالمة أبـدًا مهـما فعلـت يـا حفيـدتي كـما فعـل جـدك رحمـة الله وسـامحه.

وقفـت نيرمـين بحـيرة أمـام بـاب الشـقة بالـدور الأرضي فلقـد كانـت الأقفـال كلهـا مفتوحـة ورأت ضـوءًا أزرق يخـرج مـن أسـفل بـاب الشـقة فهمسـت :

- مـاذا أفعـل هـل أدخـل ولكنـي لا أسـتطيع فقلبـي لا يطاوعنـي و أشـعر بالرهبـة والقشـعريرة مـن المـكان وهنـا تذكـرت صـوت أمهـا وهـي عـلى فـراش المـوت يـتردد بعقلهـا :

« إيـاك أن تتركـي أختـك يـا نيرمـين مهـما بعـدت الخلافـات بينكـما فليـس لكـما أحـد سـوى بعـض »

وهنا قالت من بين دموعها :

- حـاضر يـا أمـي لـن أتركهـا مهـما حـدث رحمـك الله وسـامحك لمـا فعلتيـه بنـا.

دفعـت البـاب فانفتـح أمامهـا بسـهولة ولم تـرَ أمامهـا إلا الظـلام الدامـس وسـمعت صـوت كخـوار الثـور عنـد ذبحـه فاسـتعاذت بـالله مـن الشـيطان الرجيـم وهـزت رأسـها بتعجـب فلقـد كانـت تـرى ضـوءًا أزرق مـن أسـفل البـاب.

من لحظات فأين اختفى نادت على أختها:

- ناريـن أختـي هـل أنـت هنـا بالداخـل ...لم تسـمع أي رد أو إجابـة فنـادت بصـوت عـالٍ عـلى أختهـا مـن جديـد ولكنهـا لم تسـمع إلا صـدى صوتهـا يـرد عليهـا.

وهنا همت بالدخول ووضع قدميها داخل الشقة ففوجئت بعمتها جليلة تدفعها للخلف وتمنعها من الدخول وهي تشير بيديها بمعنى لا ..لا تفعلى ..

وهنا نظرت نيرمين بغيظ إلى عمتها قائلة:

- ماذا تفعلين يا عمتي اتركيني بالله عليك أبحث عن أختي بالداخل ولكنها حالت بينها وبين الدخول بطريقة غريبة وإصرار عجيب .

فصرخت نيرمين في وجهها :

- ماذا حدث لك اتركيني أبحث عن أختي بالداخل و حاولت نيرمين دفعها ومحاولة الدخول ولكن جليلة لم تدعها تدخل وأخذت تهز رأسها بمعنى لا ..

وقفت نيرمين حائرة لا تدري ماذا حدث للعمة ومن أين أتت بتلك القوة الغريبة ...فأخذت تبكي بهستريا وهي تنادي باسم أختها :

- نارديييييييين أين أنت؟؟

وهنا فتح الباب مرة واحدة وأضيئت الغرفة بلون أزرق غريب قوي من مصباح في منتصف الصالة في وجوههم فأغمضت نيرمين وجليلة عينيهما رغمًا عنهما فلقد كان الضوء قوي فأعمى عيونهما

وعند فتحها خرجت ناردين من الداخل وهي تحمل صندوقًا أسود تحمله بين يديها

وهنا هتفت نيرمين بفرح :

- ناردين الحمد لله أنك بخير يا أختي وهنا حاولت إلقاء نفسها بين ذراعيها ولكن عمتها جليلة جذبتها للخلف لتمنعها وهي تهز رأسها بمعنى لا

و التفتت ناردين إليهما وتلاقت عيونهما ورأت نيرمين انعكاس النيران في عيون أختها ..فتراجعت جليلة للخلف خوفًا وهي تنظر إلى الصندوق بين يديها.

شهقت نيرمين فزعًا وأخذت تنظر إلى أختها التي صعدت الدرج دون أن تلتفت إليهما أو تعيرهما انتباهًا.

ووقفت نيرمين حائرة لا تدري ماذا حدث لأختها تنظر إلى عمتها برجاء لعلها تخبرها ماذا يحدث وماذا حدث لأختها بالداخل فيبدو أن العمة تعرف شيئًا ولكن كيف ستخبرها وهي خرساء ؟؟

فتمنت نيرمين من الله أن يعيد لعمتها القدرة على الكلام لتخبرها ماذا يحدث بالضبط

وهنا حدثت المعجزة ...

لا ..

لم تنطق جليلة فليست الأمور بتلك البساطة والسهولة ولكنها أخرجت ورقة وقلمًا وكتبت جملة واحدة بالورقة وأعطتها لابنة أخيها :

« إنها البداية ولن يوقفه أحد غادري المنزل نيرمين الآن فأنت من نفس النسل الملعون »

وهنا أخذت نيرمين تردد الكلمات بالورقة بحيرة وتعجب وهي تنظر إلى عيون عمتها بتعجب ثم قالت :

- ماذا تقصدين يا عمتي وهل تعرفين الكتابة ؟ولماذا لم تخبرينا من قبل؟؟

لم ترد عليها جليلة بل صعدت إلى أمها التي كانت تنادي عليها بفزع :

- جليلة أنقذيني يا ابنتي لقد عاد ولن يتركني يا ابنتي كنت أعرف بأنه سيعود لينتقم ...

الدروووييييش



الفصل السابع
انتقام الجني

سمعت منيرة صوت ابنها « السيد » يصرخ باسمها ومستغيثًا بها وكانت ما بين اليقظة والنوم ففزعت وهبت من على الفراش مسرعة تنظر حولها كانت الغرفة مظلمة فيبدو أنها نامت كثيرًا لقد دخلت غرفتها لترتاح قليلًا قبل العصر وتأخذ قيلولة فزوجها قد سافر إلى طنطا منذ الصباح ولن يعود اليوم فاليوم مولد السيد البدوي وسيبقى هناك بالموالية حتى فجر اليوم التالي في حلقة الذكر.

حاولت أن تستمع إلى أي صوت ولكنها لم تسمع شيئًا فنادت على ابنها بصوت عالٍ:

- سيد يا سيد .. أين أنت يا ولدي ولماذا تصرخ؟؟ماذا حدث؟؟بالله عليك لا تخلع قلبي عليك ؟؟

لم يرد عليها أو تسمع صوته فزاد قلقها فهبت عن الفراش وأخذت تنادي عليه من جديد ..

لم يرد عليها الصبي أيضًا ولكنها شعرت بانخفاض درجة الحرارة من حولها مرة واحدة بالرغم أنهم في منتصف شهر يوليو وصوت صفير الرياح بأذنيها يصم الآذان

صرخت بهستريا وهي تضع يديها على أذنيها بعنف و تبحث في كل شبر بالشقة فلم تجد ابنها لم يكن هناك سوى الشقة السفلية لم تبحث فيها بعد ولكن هل جن ابنها ليدخل الشقة السفلية فإن فعلها ولعب في أغراض أبيه سيقتله الأب لا محالة وسيقتلها هي أولًا، فزوجها قاسي القلب وخصوصًا بخصوص أغراضه وكتبه وما بداخل الشقة السفلية..

نزلت الدرج مسرعة كالمجنونة حتى كادت تسقط على وجهها، رأت الضوء الأزرق يخرج من أسفل باب الشقة المغلق كانت تعرف أن هذا الضوء لا يضيء إلا بوجود زوجها بخلوته فهل عاد وهي نائمة ؟؟

أخذت تدق الباب بعنف وتنادي:

- شيخ إمام ..شيخ إمام ...هل عدت من طنطا

لم يرد عليها أحد من الداخل بل سمعت صوت غريب كخوار الثور عند ذبحه أخذت تصرخ بهستريا وهي تضع يديها فوق أذنيها فهي تكره هذا الصوت البشع أخذت تصرح :

- سيد ..سيد ولدي أين أنت يا بني رد علي بالله عليك فقلبي مريض ولن يحتمل يا بني بالله عليك أجبني أين أنت وأرح قلبي؟؟

ازداد الخوار فلم تعد تتحمل فدفعت باب الشقة بقوة ففتح الباب مصدرًا صريرًا مزعجًا ودخلت هي بحذر وهي تنادي على ابنها

كان مصباح الصالة الأزرق القوي مضاء فأغمضت عينيها وفتحتها وكان باب غرفة الشيخ إمام مفتوحًا ومصباحها الأحمر

مضـاء وشـاهدت ابنهـا سـيد ملقـى عـلى الأرض وبجـواره صنـدوق أسـود.

صرخـت منـيرة فزعًـا وركضـت إلى ابنهـا وحاولـت أن تجعلـه يسـتفيق :

- سيد ماذا حدث يا ولدي ؟

أخـذت تضربـه عـلى وجهـه بالأقـلام وتهـزه بعنـف ولكنـه لم يسـتجب لهـا أسرعـت إلى المطبـخ فأحـضرت كـوب مـن المـاء ورشـته عـلى وجـه الصبـي وهـي تنـادي باسـمه بلوعـة ودموعهـا تتسـاقط

وهنـا سـمعت الخربشـة والـدق عـلى الجـدار أمامهـا وكأن هنـاك مـن يسـتأذن بالدخـول مـن داخـل لجـدار

شـعرت بالتوتـر والرعـب بالخـوف والفـزع فحملـت ابنهـا بصعوبـة وهـي تسـتعيذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم وغـادرت الشـقة بحملهـا الثقيـل وكأن شـياطين الجحيـم كلهـا تطاردهـا ..

صعـدت بـه إلى فراشـه ورشـت العطـر القـوي عـلى وجهـه وهنـا فتـح الصبـي عينيـه وأخـذ يتـأوه قائـلًا:

- أمي ماذا حدث أشعر بالصداع الشديد في رأسي وعيني ؟

نظـرت إليـه بحنـان ممتـزج بالفـزع والغضـب كانـت تريـد أن تأخذه في حضنهـا وتقبلـه حمـدًا لله عـلى سـلامته وفي نفـس الوقـت تريـد صفعـه عـلى وجهـه بقـوة لمـا فعلـه ودخـول شـقة أبيـه الـذي يمنعـه ويمنـع أي شـخص أخـر مـن دخولهـا فقالـت بغضـب:

- مـاذا كنـت تفعـل في شـقة أبيـك يـا سـيد هـل تريـد مـن أبيـك أن يقتلـك ويعاقبـك بشـدة يـا ولـدي فربـما أحرقـك بالنـار عـلى فعلتـك ودخولـك شـقته و أحرقنـي معـك ؟

نظر لها بحيرة وهو يقول بصوت غريب :

- لا أعـرف يـا أمـي ولكنـي سـمعت مـن يهمـس باسـمي مـن داخـل الشـقة ويقـول بأنـه ينتظـرني منـذ زمـن .

وهنـا نظـرت لـه الأم بتعجـب ورأت انعـكاس النـيران في عينيـه مخيـف مرعـب فانقبـض قلبهـا وتذكـرت الشـقة المفتوحـة والغرفـة فنزلـت إلى الـدور الأرضي والشـقة السـفلية لتتأكـد أن كل شيء عـلى مـا يـرام.

كان المصباح الأزرق مـازال مضـاء وغرفـة زوجهـا مفتوحـة دخلـت لتغلـق الأنـوار وهنـا لاحظـت شـيئًا فلـم يكـن الصنـدوق الأسـود مكانـه عـلى الأرض بـل كان فـوق منضـدة عاليـة

نظـرت إلى الصنـدوق بفـزع وشـعرت بالاختنـاق ورائحـة كريهـة مـن حولهـا وهـي تتسـاءل مـن الـذي رفـع الصنـدوق مـن عـلى الأرض ووضعـه عـلى المنضـدة وهنـا سـمعت مـن يهمـس باسـمها مـرددًا :

- منيرررررررررررررررررررررررة غادري الآن الغرفة

وهنـا صرخـت منـيرة واسـتعاذت بـالله مـن الشـيطان الرجيـم وخرجـت مـن الغرفـة مسرعـة وأغلقـت المصبـاح والبـاب وبعدهـا أغلقـت مصبـاح الصالـة الأزرق وهـي ترتعـد وأوصالهـا ترتجـف بشـدة ويديهـا بـاردة كالثلـج وأغلقـت خلفهـا بـاب الشـقة وصعـدت مسرعـة إلى ابنهـا سـيد وهـي تـردد آيـة الكـرسي ومـا تحفظـه مـن آيـات الذكـر الحكيـم وتبسـمل وتحوقـل ويعلـو صدرهـا ويهبـط بفـزع.

****

رن هاتفهـا المحمـول في تلـك اللحظـة ليفقهـا مـن الصدمـة وعـدم الفهـم لمـا حـدث أمامهـا منـذ لحظـات :

- محمود كيف حالك ؟؟

- بخـير يـا نيرمـين وأنـت كيـف حالـك ..حبيـب؟؟ولم يكمـل الكلمـة فلقـد قاطعتـه نيرمـين بحـدة قائلـة :

- الحمد لله يا محمود لا تقلق فلست صغيرة ؟؟

- بخـير ؟؟فلـماذا أشـعر بتغير صوتـك يـا نيرمـين وكأن هنـاك شـيئًا يقلقـك ؟مـا هـذا الصـوت الغريـب ؟

- أي صوت يا محمود لا أفهم؟؟

- صـوت غريـب أسـمعة كلـما اتصلـت بـك ولا أرتـاح لـه هـل أنـت بخـير نيرمـين حقًّـا أم أن هنـاك مشـكلة ؟

- ربـما كان التليفـون بـه شيء معطـل يـا محمـود لا تشـغل بالـك بتلـك الأمـور أنـا بخـير .

- هـل اتصـل بـك دكتـور كـمال وأخـبرك عـن القافلـة الطبيـة إلى غينيـا ؟؟

- قافلة طبية إلى غينيا لا أفهم يا محمود وما دخلي أنا بالأمر ؟

- إنهـا قافلـة طبيبـة وقائيـة ترسـلها وزارة الصحـة إلى دولـة غينيـا لتوعيـة والوقايـة مـن مـرض «ايبـولا »الـذي بـدء ينتـشر ويحصـد الكثـير مـن الأرواح في دول جنـوب أفريقيـا ولقـد وضـع دكتـور كـمال اسـمك فأنـت مـن فريقـه الطبـي وطاقمـه يـا نيرمـين هـل نسـيت يـا حبيـب...

ولكنه لم يكمل جملته للمرة الثانية فلقد قاطعته نيرمين قائلة:

- ولكنـي لا أسـتطيع تـرك أختـي هنـا بمفردهـا يـا محمـود وأبي لا أعـرف أيـن هـو ومـاذا حـدث لـه ؟؟

- نيرمين استمعي لي بإمكانك الاعتذار وسيتقبل الدكتور كمال ظروفك، ولكني أنصحك بالتفكير قليلًا وأريدك أن تبتعدى عن كل شيء وإعادة التفكير في كل ما يحدث حولك وإعادة تقييم الأمور من فضلك فأنا أشعر أن كل ما يحدث حولك خاطئ ...

وهنا عاد الصوت المزعج ليصم آذانه وشعر بصفير غريب جعله يبعد التليفون عن أذنه سريعًا ويلقي به على الأرض ..ويضع يديه على أذنيه حتى لا يسمع شيئًا فوجد يديه غارقة بالدماء فماذا حدث فهل أصيب بنزيف ..؟؟؟

لم يسمع نيرمين وهي تقول:

- سأفكر يا محمود في الأمر فأنا خائفة من هذا المنزل ومن كل شيء ....وهنا سمعت صراخ جدتها العالي فأغلقت الهاتف وصعدت لترى أي مصيبة حدثت ولماذا تصرخ الجدة بتلك الطريقة وكأن أحدهم يحرقها بالنار أو يقتلع أظافرها ؟؟؟

****

أخذت منيرة تلف الحجرة ذهابًا وإيابا فماذا تفعل فلقد تغير ولدها الوحيد بطريقة غريبة وتخاف أن تخبر أباه بالأمر فيعاقبه بشدة وهنا سمعت الطرق الشديد على بوابة المنزل من الخارج فوضعت الحجاب فوق رأسها وخرجت من النافذة لترى من الذي يدق الباب بتلك الطريقة وزوجها ليس هناك فمازال بمولد السيد البدوي بطنطا.

فرأت العديد من الناس يرتدون جلابيب بيضاء ويحملون زوجها الشيخ «إمام » فوق محفة كمحفة الأموات

ويغطونه بشيء أبيض غارق بالدماء صرخت بفزع :

- شيخ إمام ماذا حدث لك ؟؟؟ نزلت الدرج مسرعة وفتحت البوابة للرجال الذين كانوا يكبرون بصوت عالٍ فقالت بفزع :

- شيخ إمام ماذا حدث لك ؟؟

لم يرد عليها الرجل بل رأت تحرك يديه ، همست في نفسها :

- إنه مازال على قيد الحياة فلماذا يحملونه على المحفة كالأموات..ويغطونه بملاءة بيضاء غارقة بالدماء ويضعون القطن في أذنه و أنفه صرخت في وجوههم ماذا حدث لزوجي أجيبوا بالله عليكم ماذا حدث هل رحل؟؟

فرد عليها أحدهم :

- ابتعدي عنه ولا تلمسيه يا امرأة فلا أحد يعرف ماذا به لقد سقط في الموالية و أخذ الدم يخرج من كل فتحة بجسده ولا أحد يعرف السبب حتى الأطباء احتاروا في مرضه ولقد حذروا من الاقتراب منه أو لمسه فحملناه على المحفة وأمروا بوضعه في مكان منعزل لا يدخله أحد

فرددت بحيرة ودموعها تتساقط :

- مكان منعزل لا يدخله أحد وهنا نظر أحدهم إلى باب الشقة السفلية المغلق قائلًا :

- إنها تلك الشقة ومكان خلوته فلا يدخلها أحد غيرة أنا أعرف الشيخ إمام جيدًا فلا يسمح لأحد بدخول تلك الشقة المنعزلة وهنا أخرج الرجل مفاتيح الشقة فنظرت له الزوجة بصدمة قائلة:

- ومن أين أحضرت مفاتيح الشقة يا رجل

لقـد أعطـوني في المستشـفى كل أغـراض الشـيخ إمـام يـا أم السـيد لا تقلقـي وبعدهـا فتـح بـاب الشـقة ودخـل الرجـال حاملـين إمـام عـلى المحفـة تاركـين منـيرة تنظـر بذهـول فكيـف دخـل ابنهـا إلى الشـقة إن كانـت المفاتيـح مازالـت مـع أبيـه ...؟؟

****

صعـدت نيرمـين إلى شـقة جدتهـا لتعـرف مـاذا حـدث وكانـت الجـدة تـصرخ بهسـتريا فقالـت لجليلـة :

- مـاذا حـدث يـا عمتـي لكـن جليلـة نظـرت لهـا بعيـون مذعـورة ولم تـرد فكيـف سـترد وهـي خرسـاء لا تتكلـم

نظـرت لهـا نيرمـين بغيـظ وحاولـت تهدئـة جدتهـا وأحـضرت لهـا كوبًـا مـن المـاء البـارد وهـي تقـول :

- اهدئي يا جدتي بالله عليك فماذا حدث لكل هذا ؟

- نظرت لها الجدة بخوف ثم قالت :

- لقـد عـاد الدرويـش يـا نيرمـين لقـد عـاد وسـيقتلني لمـا فعلـت معـه؟؟

رددت نيرمين بتعجب :

- درويش ماذا تقولين فأنا لا أفهم هل تقصدين أبي يا جدتي؟؟

قالت وهي تبكي بحرقة:

- عـاد يـا نيرمـين لينتقـم منـي لمـا فعلتـه معـه؟؟ لقـد أقسـم بالانتقـام يـا ويـلي ..فـماذا أفعـل ؟؟

- اهدئي .. اهدئي بالله عليك ستصابين بنوبة قلبيه

- يـا ليتنـى أمـوت قبـل أن أراه و أرى عقابـه لي يا نيرمـين فالدرويش لا يرحـم أحـد فـلا أحـد يعـرف مـا فعلت .

- وماذا فعلت يا جدتي لتصابي بكل هذا الهلع أخبريني لعلك تستريحين ؟؟

وهنا قالت ناردين من خلفها :

- وهل ستستمعين إلى تلك المخرفة التي تهذي يا أختي فألتفت إليها نيرمين بغيظ وهي تقول:

- اتقي الله يا ناردين ولا تقولي هذا على جدتك فهي مريضة ولا أدري ماذا حدث لها ...

وهنا نظرت إلى عيونها ورأت انعكاس النيران المشتعلة في عيونها فنظرت أمامها فلم يكن هناك أي نار بالغرفة فقالت بحيرة :

- ناردين هل أنت بخير يا أختي فعيناك بها شيء غريب ؟؟

ولكنها لم ترد بل كانت تنظر إلى الجدة التي شهقت فزعًا وأخذت تنظر إليها بفزع ولم تنطق فرددت أختها بتوتر:

- هل أنت بخير يا ناردين وماذا يحدث لعينيك ؟؟

فالتفتت إليها قائلة :

- نعم بخير لا تشغلي بالك بما لا يخصك يا فتاة ؟؟

- فتاة ماذا تقولين ؟ هل فقدت عقلك يا أختي وكيف تكلمينني بتلك الطريقة؟؟

- لا لم أفقده ولكني أحذرك من الاقتراب مني وإلا أحرقتك نيراني ؟؟

وبعدها رحلت من أمامها صاعدة للأعلى وتركت أختها تقف بحيرة لا تدري ماذا حدث لأختها بالضبط وهنا تذكرت الصندوق الأسود، لقد خرجت من الغرفة وهي تحمل بين يديها صندوقًا

أسـود غريـب الشـكل فـلماذا يوجـد فيـه وهنـا قطـع حبـل أفكارهـا تلـك الورقـة التـي وجدتهـا في يديهـا مـن عمتهـا وكتـب

فيها أربع كلمات :

- ارحلي سريعًا فلقد عاد ..

نظرت نيرمين إليها بتوتر :

من هو الذي عاد يا عمتي أخبريني بالله عليك ؟؟

لم تـرد عليهـا بـل ذهبـت إلى أمهـا التـي كانـت في حالـة هلـع شـديد وفـزع وتبكـي ودفعتهـا أمامهـا بالكـرسي المتحـرك لتدخلهـا غرفتهـا وكانـت الأم تبكـي بهسـتريا وهـي تـردد :

- لقد عاد لينتقم مني على ما فعلته...عاد لينتقم ...

ووقفـت نيرمـين في منتصـف الصالـة لا تفهـم شـيئًا ممـا يحـدث حولهـا وتتسـاءل بحـيرة :

- من الذي عاد ؟وماذا حدث للجميع أنا لا أفهم شيئًا ؟؟؟

****

تـرك الرجـال الشـيخ إمـام عـلى المحفـة بعـد أن وضعـوه عـلى الأرض في غرفتـه التـي يحـرم عـلى أحـد دخولهـا إلا بعـض الحـالات التـي يعالجهـا ووقفـت زوجتـه عـلى بـاب الغرفـة تنظـر بقلـق إلى زوجهـا فهـل سـيموت ومـا الـذي حـدث لـه بالضبـط ؟

وهنا دخل هو الغرفة ودفعها برفق فنظرت له بإشفاق قائلة :

- تعـالى يـا سـيد فوالـدك مريـض يـا ولـدي لا تقـترب منـه فوقـف الصبـي ينظـر إلى والـده بسـخرية وقـال لأمـه :

- هاتى له الماء يا أمي ربما كان يريد الشراب

- حـاضر يـا سـيد ولكـن لا تقـترب منـه يـا ولـدي وإلا أصبـت مثلـه بـالله عليـك فأنـا لا أفهـم مـاذا أصابـه لقـد كانـت صحتـه جيـدة أمـس وقبـل خروجـه فـماذا حـدث في طنطـا يـا تـرى؟؟؟

- لا تقلقـي يـا امـي لـن أقـترب منـه ولـن أصـاب بـأي شيء ...نظـرت لـه بحـيرة ورأت انعـكاس النـيران في عينيـه فهـزت رأسـها وهـي تدعـو الله أن يكـون الصبـي بخير..فهـو أخـر أمـل لهـا فى الحيـاة .

خرجـت الأم مـن الشـقة وصعـدت إلى شـقتها لتحـضر كأس مـاء بـارد لزوجهـا مـن شـقتها بالـدور العلـوي..

وهنـا أغلـق بـاب الغرفـة خلفهـا بقـوة مصـدرًا صوتًـا عاليًـا ووقف الصبـي في منتصـف الغرفـة وهـو ينظـر إلى والـده الممـد عـلى الأرض فـوق المحفـة بسـخرية وهنـا قـام الصبـي بإنـزال الصنـدوق الأسـود عـلى الأرض وفتحـه أمـام أبيـه وهـو يقـول بصـوت غليـظ قـوي ثائـر:

- قلـت لـك سـتموت أبشـع موتـة ماتهـا إنـسي مـن جنسـك أيهـا الإنـسي عـلى وجـه الأرض يـا رجـل سـتظل تنـزف وتنـزف سـتخرج الدمـاء مـن كل فتحـة مـن فتحـات جسـدك البـالي وسـيحل محلهـا الـدود وبعدهـا أخـذ الصبـي يضحـك بعنـف واهتـز كل شيء بالغرفـة و أخـذ يتحـرك وكأن هنـاك زلـزالًا قويًـا يحـدث بالغرفـة ..فيسـقط كل شيء أرضًـا بصـوت مـدوٍ عـالٍ يصـم الآذان ..

وهنـا سـمع الـدق الشـديد عـلى البـاب وكانـت الأم تـصرخ بعنـف ولوعـة تنـادي باسـم ابنهـا الوحيـد تسـتحثه أن يـرد عليهـا :

- سيد افتح يا ولدي ماذا يحدث عندك وما تلك الأصوات؟؟

هـدأ كل شيء وأغلـق الصنـدوق بقـوة ثـم فتـح البـاب فـرأت منـيرة الصبـي ممـدد عـلى الأرض فاقـد الوعـي لا يتحـرك أخـذت الأم تهـزه بعنـف

وهـي تـصرخ بلوعـة مـرددة اسـم ابنهـا ومتسـائلة مـاذا حـدث وهنـا سـمعت صـوت زوجهـا يخـرج ضعيفًـا فالتفتـت إليـه قائلـة :

- انقـذني يـا شـيخ إمـام سـيضيع ابنـي مـن بـين يـدي ..رد عليهـا بصـوت ضعيـف:

- افتحـي الصنـدوق يـا منـيرة سريعًـا وقـصي شـعر الصبـي وضعيـه بالصنـدوق وإلا مـات ابنـك في الحـال.

- صرخت بهستريا ماذا تقول يا إمام هل جننت

- افعـلي بـالله عليـك قبـل أن يسـتيقظ ويسـتفيق الصبـي وضعـي الشـعر وبعـض أوراق السـدر مـن فـوق المنضـدة وهـاتي لي تلـك الورقـة هنـاك سريعًـا

أحـضرت مـا أمرهـا بـه زوجهـا و أخـذ هـو يرسـم بعـض النجـوم والعلامـات السداسـية ويـرص بعـض الكلـمات بالورقـة بيـد مرتجفـة عاجـزة وحاولـت هـي فتـح الصنـدوق كـما طلـب منهـا ولكنهـا لم تسـتطع فـكان ثقيـل بطريقـة غبيـة وثقيـل وكان عليـه طـن مـن الحديـد الصلـب فصرخـت بلوعـة مـن بـين دموعهـا

- لا أسـتطيع يـا شـيخ إمـام لا أسـتطيع مـاذا أفعـل فالصنـدوق ثقيـل ؟؟؟

- فنظر هو إلى الجدار خلفها قائلًا :

- مازلتم خدامي وخدام نسلي من بعدي فافتحوا الصندوق ...

وهنـا صرخـت منـيرة فزعًـا فلقـد رأت الصنـدوق يفتـح بمفـرده ولم تـر خـدام الشـيخ وهـم يقومـون بفتحـه وهـذا أفضـل لقلبهـا الضعيـف فلـن تحتمـل رؤيـة وجوههـم البشـعة وعيونهـم الحمـراء الدمويـة وهـم ينظـرون إليهـا.

فأخـذت ترتعـد ووضعـت شـعر ابنهـا بعـد أن قصتـه ووضعـت ورق السـدر وتلـك الورقـة التـي خـط فيهـا بعـض الكلـمات التـي لا تفهـم معناهـا كـما طلـب منهـا زوجهـا ولكـن لا يهـم المهـم الآن هـو ابنهـا الوحيـد وحياتـه ..

وحاولـت بعدهـا إغـلاق الصنـدوق فلـم تسـتطع وهنـا أشـار زوجهـا بيديـه فأغلـق الصنـدوق وهنـا فتـح الصبـي عينيـه وكانـت حمـراء دمويـه وقـال بصـوت جهـوري قـوي خشـن كصـوت رجـل بالـغ القـوة والجسـد :

- مـاذا فعلـت أيهـا الرجـل وكيـف تجـرؤ الم يكفيـك مـا فعلـت لعائلتـي وتدمـير حيـاتي ؟؟؟

- اخـرج مـن جسـده وارجـع مكانـك فلـن تسـتطع أذيتـه مهـما فعلـت بسـمائيل ثـق في فليـس لـك دخـل بـه ولا بجسـده

- لـن أخـرج وسـأبقى لأراك تمـوت وتخـرج الدمـاء مـن جسـدك نقطـة .. نقطـة لأنتقـم منـك وممـن تحـب يـا رجـل

- اخرج وإلا أحرقتك بالنار التي تعبدها ...

كان الشـيخ ضعيفًـا هشًّـا فلـن يقـدر عـلى قـوة الجنـي الغاضـب هـو يعـرف ذلـك فالجـن المجـوسي الكافـر مـن أقـوى أنـواع الجـن ويريـد رجـل قـوي وذو جسـد شـديد ولكنـه لـن يقـدر عليـه وهـو عـلى فـراش المـوت ..

- لـن أخـرج مهـما فعلـت و أدخـل الصنـدوق إلا بعـد أن تمـوت أمـام عينـي و أرى عذابـك وآلامـك و أنتقـم منـك أيهـا الإنـسي فلقـد عذبتنـي وعذبتنـي كلماتـك كثـيرًا وتسـببت في مقتـل مـن أحـب فلابـد أن يمـوت كل مـن تحـب.

- هــل ســترتاح عندمــا تــراني أمــوت أمــام عينيــك وأتعــذب وســتلتزم وقتهـا بالميثـاق والعهـد بيننـا وسـتخرج وتدخـل إلى الصنـدوق عنـد مـوتي بسـمائيل فلـن تسـتطيع أذيتـه وفعـل شيء بجسـد الصبـي فلقـد قصصـت مـا كان يربطـك بـه.

وبعدهـا أشـار إلى ثلاثـة مـن الجـن الذيـن يقفون حـول الصنـدوق.. ثم أكمــل قائلًا :

- فلــن يدعــوك تحيــى إن لم تفعــل ...فنظـر لهـم الصبـي بسـخرية قائــلًا :

- مـت أنـت بعـد أن تتعـذب كـما عذبتنـي و أراى آلامـك و بعدهـا سـترى سـأغادر جسـد الصبـي لأدخـل غـيره

مـن نسـلك فلـن يبقـى لـك نسـل أو ذريـة عـلى وجـه الأرض إلا وسـكنت جسـدها إلى أن أنتقـم منكـم ومـن بطشـكم أيهـا البـشر الأغبيـاء لمـا فعلتمـوه لي ولعائلتـي إن كنتـم تتخيلـون أنـه بإمكانكـم تسـخيرنا لنفعـل لكـم مـا تريـدون فأنتـم مخطئـون فنحن من سنسـخركم لخدمتنـا وسـتفعلون مـا نريـد وقتهـا وبعدهـا أطلـق زمجـرة عاليـة ورفـع يديـه ليسـقط كل شيء عـلى الجـدار إلى الأرض ويرفـع المقاعـد والأواني ليلقـي بهـا عـلى الأرض ..هـذا مـن أجـل ابنـي « سمسـائيل » وزوجتـي « سـيلا »

سـقطت منـيرة الأم مغشـيًّا عليهـا فلـم تتحمـل كل مـا يحـدث أمامهـا .. وتحطـم الأشـياء وتحـول ابنهـا وتغـير لـون عينيـه والطريقـة المخيفـة والصـوت الغريـب الـذي كان يتحـدث بـه فابنهـا ملبـوس ؟؟

حـاول الشـيخ إمـام أن يـصرف كل عـمار المـكان مـن الجـن الذيـن

أحضرهم فربما رحل بسمائيل معهم وترك جسد ابنه فأخذ يردد بوهن آخر كلامته ودموعه تتساقط بحسرة وألم وهو ينظر إلى جسد ابنه الملقى على الأرض :

- «أقسمت عليكم أيها الجن و العمار في هذا المكان أن تعزلوا و تنصرفوا أنتم و إخوانكم و كباركم و صغاركم و حريمكم لا فساد في عملي و لا في كتابي و لا في قراءتي و لا في دوائري بحق الملك طارش الحاكم عليكم طينة طينة مزاق مزاق ماقر ماقر حتى تحضروا الملوك و أعوانهم و أنتم تكونون مساعدين لى على قضاء حاجتي من غير ضرر و لا فساد و بحق طارش طارش مارش مارش مريش مريش مريوش مريوش بارش بارش ردش ردش لطمش لطمش بطش بطش و بحق الرحمن الرحيم الجليل صاحب الاسم الكبير الأرض بكم ترجف و الرياح بكم تقصف و الأودية بكم تقذف و أسماء الله محيطة بكم و السماء تمطر من فوقكم نارًا و شرارًا إن تأخرتم على الانصراف من هذا المكان أنتم وأعوانكم و كباركم و صغاركم وحريمكم حتى أقضي حاجتي فترجعوا آمنين انصرفوا الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة الطاعة الطاعة»

ولكن كلماته لم تنجح في صرفهم نهائيًا فلقد رحلوا بضع أيام فلقد جعلتهم الكلمات يرحلون أيامًا قليلة وبعدها يعودون بحق القسم والعهد بينهم وبين الرجل فلقد أخذ العهد ولن يتركوه وبعد شهر من العذاب والمعاناة والنزف الشديد وخوف أحد من الاقتراب من الشيخ إمام أو تحريكه وتقليبه على الأرض حتى تقرح ظهره وتعفن جسده فلقد كان يقضي حاجته بثيابه فبدء الدود يخرج من جسده

مـات الشـيخ إمـام تـاركًا زوجتـه وابنـه الوحيـد «السـيد» الملبـوس مـن الجنـي بسـمائيل الـذي قـرر أن ينتقـم لمـا حـدث معـه ولتدمـير حياته وعالمـه كلـه فلـماذا هـو ؟؟

و وقـت مـوت الأب وخـروج روحـه مـن جسـده وقـف الصبـي يبتسـم بسـخرية وقـد تغير لـون عينيـه ليصبـح أحمـر دمـوي وهـو يقـول:

- هـا قـد حانـت لحظتـك أيهـا الإنـسي الفـاني وسـترحل بعـد قليـل فأنـا أشـعر بملـك المـوت يطـوف بالمـكان سـترحل بعـد أن تعذبـت وعانيـت كثـيرًا وسـتموت أبشـع موتـة ماتهـا مـن هـو مـن نفـس جنسـك كـما كنـت أريـد أن أراك تمـوت تعذبـت كثـيرًا وسـيتعذب كل مـن يحمـل نفـس دمـك أعـدك يـا رجـل فلـن أدع أحـدًا مـن نسـلك يحيـى بسـلام فلقـد مـات ابنـي الوحيـد «سمسـائيل» بسـببك أنـت وبسـبب جبروتـك، قلـت لـك دعنـي أرحـل و اصرفنـي فلسـت جنـي مسـلم ليؤثـر بي قسـمك ولكنـك غبـي و لقـد قتلـت ابنـي الوحيـد و أخـذ يقـذف بـكل شيء أمامـه عـلى الأرض بغضـب وهـو يكمـل قائـلًا بغضـب:

- لقـد مـات ولـدي الصغـير حـسرة عـلي عندمـا حبسـتني بالصنـدوق و اعتقـد الصغـير أنـه لـن يـراني مـن جديـد مـات ابنـي الوحيـد يـا رجـل و رحـل عـن عالمنـا وماتـت بعـده حبيبتـي و رفيقـة دربي وزوجتـي «سـيلا» بعـده حـسرة عـلى ولدنـا الوحيـد «سمسـائيل» وعـلي لقـد اعتقـدت بأننـي لـن أعـود يومـا إليهـا

لقـد دمـرت حيـاتي وقتلـت مـن أحـب مـن عائلتـي وأحرقـت قلبـي لقـد ذهبـت إلى عالمـي عندمـا حـررني ابنـك مـن صندوقـك اللعـين وعرفـت بموتهـم لم أجـد أحـدًا ينتظـر عـودتي هنـاك

فعدت إليك لأنتقم منك ومن نسلك ولن أدعك أو أدع نسلك يحيا بسلام من أجل سمسائيل وسيلا إلا بعد أن أنتقم و أعذب كل من هو من نفس دمك لن أعود إلا بعد أن يمتلئ صندوق الخطايا الذي حبستني فيه لسنين طويلة وعذبتني بداخله لأنني رفضت تنفيذ أوامرك بالدماء..

نعم صندوق الخطايا ..خطايا وجبروت البشر الذين يريدون التحكم في كل شيء ويدمرون كل عالم وكل كائن من أجل تحقيق ما يريدون من غايتهم وأهدافهم القذرة وما يرغبون فيه أغبياء قساة القلوب ومالكم أنتم وما دخلكم بنا لتجبرونا على طاعتكم وفعل ما لا نريد فنحن مخلوقات لنا حياتنا وبيوتنا لنا من نحيا من أجلهم ولكنكم أغبياء وستدفعون الثمن، والثمن غالٍ يا إمام، أغلى مما تتصور فالثمن هو الدماء ..

لا أريد دماء نسلك فنسلك أقذر من أن أجمع دماءه لأقدمها قربانًا لعائلتي ولكن بدماء نقية وليست مختلطة بالدنس والخطايا لأطفال صغار لم يبلغوا الحلم منكم يا معشر البشر لأضعها على قبر سيلا وسمسائيل، فبحق سمسائيل وسيلا لن أعود إلى عالمي إلا بعد أن يجمع لي نسلك الدماء فأقدمه قربانًا لزوجتي وابني ليستريحا، سأسخرهم لخدمتي، وسيكونون خدامي كما كنت أنت تريد أن تسخرني لخدمتك يا رجل

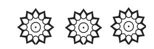
و لكي أحل العهد والميثاق الذي بيني وبينك فمن يجمع لي الدماء ويملئ الصندوق من نسلك تركته يعيش بسلام

نظر الشيخ إمام إلى ولده الوحيد و إلى عينيه الحمراوين الدموية،

وحـاول أن يسـتغفر الله عـلى مـا فعـل ومـا فعلـه بـه ولكنـه لم يسـتطع فأغمضـت عينـاه وهـو ينظـر بحسـرة وألم ورحـل .....عـن العـالم ..

وهنـا اقـترب الصبـي مـن والـده ووضـع يـده بدمائـه التـي مازالـت تنــزف وصبــغ كفــه وبعدهــا فتــح الصنــدوق وقــام بوضــع الدمــاء بداخـل الصنـدوق عـلى شـعره بالداخـل وأغلـق الصنـدوق و وضعـه مكانــه فــوق المنضــدة ونظــر إلى الجــدار إلى الثلاثــة الذيــن وقفــوا لا يتحركــون متواريــن بالظــلام فهــم أضعــف مــن التصــدي لبســمائيل وقوتـه فقـال لهـم :

- ارحلـوا فلقـد مـات مـن كنتـم تخدمونـه وتطيعونـه أيهـا الخـدام ولم يعـد لكـم وجـود بذلـك العـالم عـودوا إلى عالمكـم وعائلاتكـم نظروا إليـه ولم يتحـرك أي منهـم مـن مكانـه فلقـد أخـذ عليهـم الشـيخ إمـام العهـد والميثـاق لحمايـة نسـله مـن بعـده .



الفصل الثامن

القافلة الطبية

حاولــت نيرمــين دخــول غرفــة جدتهــا للاطمئنــان عليهــا ولكــن العمــة جليلــة كانــت قــد أغلقــت بــاب الغرفــة مــن الداخــل بالمفتــاح و كانــت الجــدة مازالــت تــصرخ بهســتريا مــرددة:

- لقد عاد وسيقتلني يا جليلة بعد كل تلك السنوات..

وقفــت نيرمــين تشــعر بالحــيرة وعــدم الفهــم فــماذا تقصــد جدتهــا و مــن الــذي عــاد؟

وهنا رن هاتفها المحمول وكان دكتور كمال :

- مرحبًا دكتور كمال كيف حالك؟؟

- بخــير يــا نيرمــين كيــف حالــك أنــت يــا ابنتــي وهــل قابلــت والــدك ؟

- لا يــا دكتــور كــمال لم أقابلــه ولكنــي قابلــت جــدتي وعمتــي ولم أجــده .

- هل هو مسافر يا نيرمين ومتى سيعود؟

- لا أعرف يا دكتور صدقني متى سيعود ولا أحد يعرف .

- ومــاذا ســتفعلين إلى أن يــأتي هــل ســتبقي عنــدك وتتركــين عملــك يــا نيرمــين وتوقفــين حياتــك؟

- وماذا أفعل يا دكتور فهي وصية أمي رحمها الله ولكني لست مستريحة لكل ما يحدث من حولي؟؟

- وصية أمك يا نيرمين أن تعيشي في كنف والدك ولكنه ليس موجود فعودي إلى حياتك إلى أن يعود ولكن وجودك هناك ليس له أي فائدة وأنا أشعر من صوتك أن الأمور ليست بخير عندك فهل أنا مخطئ؟؟

- لا فعلًا أشعر بالتوتر والحيرة والاختناق من هذا المكان وأريد الابتعاد ولكنها وصية أمي.

- لا أدري لماذا اشعر بالقلق عليك يا ابنتي، نيرمين استمعي إلي هناك قافلة طبية إلى غينيا ستسافر بعد عشرة أيام وستظل هناك أسبوعين ولقد سجلت اسمك فيها يا نيرمين إنها قافلة طبية وقائية عن مرض إيبولا أريدك اليوم بالإسكندرية لإنهاء الإجراءات والدورة التدريبية قبل السفر ، فاستقلي أول قطار وعودي إلى الإسكندرية اليوم يا نيرمين سأنتظرك

- وماذا عن أبي الذي لا أعرف طريقة وأختي يا دكتور كمال كيف أتركها بمفردها هنا؟؟

- نيرمين استمعي لي جيدًا وتواصلي مع أختك و إن جد جديد وعاد والدك اتصلي به إلى أن تعودي إلى مصر

وأختك لن تتركيها بالشارع إنك ستتركينها مع جدتها وعمتها في بيتها يا ابنتي

- لا أريدها أن تعود معي فأنا أشعر بالقلق عليها وعلى ما يحدث..لم تكمل جملتها بل سمعت دكتور كمال يصرخ في التليفون قائلًا :

- ما هذا الصوت يا نيرمين عندك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أين أنتِ يا ابنتي؟؟؟

- أي صوت يا دكتور فليس هناك أي صوت بجواري؟

- صوت غريب يا نيرمين كخوار الثور ممتزج بمواء القطط عند تعذيبها يا إلهي لا أستطيع التحمل تلك البشاعة يا ...

وهنا انقطع الخط ووقفت نيرمين حائرة وهي تمسك المحمول بين يديها لا تفهم شيء وماذا حدث لتليفونها وما هو الصوت الذي يتحدثون عنه فهي لا تسمع شيئًا فهل هي مشكلة الشبكة ؟

وهنا ألقت نظرة سريعة على غرفة جدتها التي بدأت تهدأ فلقد توقفت عن الصراخ ولم تعد تسمع لها صوتًا فخرجت هي من الشقة متجهة إلى شقتهم بالأعلى لتأخذ رأي أختها ..وتدعوها لترحل معها إلى الإسكندرية.

دفعت نيرمين باب الشقة وكان مفتوحًا ونادت على أختها :

- ناردين أين أنتِ؟

لم تسمع ردًا ولكن غرفتهم بالشقة كانت مغلقة وكان يخرج من أسفل باب الغرفة ضوء أزرق غريب، نظرت نيرمين بحيرة إلى تلك الأضواء الزرقاء التي تخرج من أسفل باب الغرفة وهزت رأسها بحيرة واقتربت من الباب ببطء ودقت على الباب بتوتر :

- ناردين هل أنت هنا؟؟ لم تسمع ردًا من أختها وازداد الضوء سطوعًا، وسمعت صوتًا غريبًا صادرًا من داخل الغرفة هل هو خوار ثور يذبح ؟؟هل مواء قط يصرخ ألمًا لا تدري ؟؟ ولكن الصوت أشعرها بالغثيان والتوتر وجعل دقات قلبها تتسارع وصدرها يعلو و يهبط مسرعًا..

نـادت عـلى أختهـا مـن جديـد ولكنهـا لم تسـمع ردًا وهنـا فتحـت بـاب الغرفـة مـرة واحـدة ولكـن البـاب أبـى أن يفتـح تحـت ضغـط يديهـا حاولـت نيرمـين فتـح البـاب بالقـوة ولكنهـا لم تسـتطع أخـذت تنـادي عـلى أختهـا ولكـن الأخـت لم تـرد عليهـا فشـعرت نيرمـين بالقلـق فصرخـت وهـي تدفـع البـاب بعنـف :

- ناردين هل أنت بخير يا أختي؟؟

أخـذت تـصرخ بهسـتريا وهـي تدفـع البـاب وهنـا فتـح البـاب ووجـدت نيرمـين أختهـا ناردين تقـف أمامهـا وهـي تنظـر لهـا بطريقـة غريبـة أشـعرتها بالتوتـر فقالـت بعنـف:

- مـاذا تريديـن منـي ؟؟ولمـاذا لم ترحـلي إلى الإسـكندرية ؟ ألم يطلـب منـك أن تسرعـي وتحضري اليـوم هيـا ارحـلي ؟

فتحـت نيرمـين فمهـا بدهشـة فكيـف عرفـت أختهـا بمكالمتهـا مـع دكتـور كـمال فقالـت بدهشـة:

- وكيف عرفت ؟؟

أطلقـت ناردين ضحكـة عاليـة ثـم نظـرت إليهـا نظـرة مخيفـة حتـى كاد قلـب نيرمـين يتوقـف مـن شـدة فزعهـا ومنظـر عينيهـا و انعـكاس النـيران والجحيـم فيهـا فقالـت :

- لقد سمعتك تتحدثن ارحلي يا نيرمين..

ردت بتوتر:

- وماذا عنك يا ناردين لماذا لا تأين معي وإن عاد أبي اتصل بنا؟

- وهـل تصدقـين بأنـه سـيعود أيتهـا الغبيـة، ارحـلي ولا تدخلـين في أمـوري فلـن أغـادر المنـزل الآن هـل تفهمـين وبعدهـا تركتهـا ورحلـت

من أمامها ...نظرت نيرمين بحيرة إلى مكان أختها الخالي أمام باب الغرفة وهنا لمحت الكرسي الهزاز وهو يعلو ويهبط وكأن أحدهم يجلس عليه ..

أغمضت عينيها ولم تفكر كثيرًا في الأمر فلقد اتخذت قرارها، فارتدت ملابسها على عجل وأخذت حقيبتها التي لم تفرغها بعد في الدولاب وغادرت الشقة، ولكنها مرت على شقة جدتها وكان الباب مغلقًا فرنت الجرس وبعدها أخذت تدق على الباب بعنف، ولكن لم يفتح لها أحد فهزت رأسها بغضب وقالت بصوت عالٍ :

عمتي جليلة كيف حال جدتي الآن، سأعود إلى الإسكندرية فلقد طلبوني في المستشفى التي أعمل فيها و أن حدث شيء وعاد أبي اتصلوا بي في الحال فهذا رقم تليفوني إنه في ورقة أسفل الباب .

لم يرد عليها أحد ولكنها كتبت أرقام تليفونها وأدخلت الورقة من أسفل الباب ونزلت الدرج مسرعة ..

إلى أن وصلت إلى مدخل المنزل فكان باب الشقة السفلية مفتوحًا والضوء الأزرق القوي في الصالة و أصوات غريبة تخرج من الشقة لم تحاول نيرمين الدخول لا تدري لماذا ولكنها كانت تشعر بعدم الارتياح للمكان نادت على أختها فكانت تعلم بأنها هي من بالشقة قالت بتوتر:

- ناردين إني راحلة يا أختي هل غيرت رأيك وستأتين معي ..

سمعت الصراخ المتواصل لأختها وهي تصيح من الداخل وتقول لها :

- ارحليييييييييييي أيتها الغبية ولا تنظرين خلفك ..فلن أغادر المكان الآن حتى أنهي عملي الذي خلقت من أجله ..

وهنا تساقطت دموع نيرمين ساخنة على خدها فأسرعت تركض للخارج وفتحت باب المنزل و رحلت و هنا سمعت الباب يغلق بقوة خلفها ..

استنشقت الهواء النقي وشعرت بالراحة النفسية والطمأنينة وهي تسمع آذان العصر فلقد كانت تشعر بالاختناق وهي بداخل المنزل، سارت في الحارة الضيقة وكانت عيون الناس تراقبها فلقد خرجت من بيت الدرويش ..

تنفست نيرمين الصعداء وهي تستقل سيارة الأجرة إلى محطة رمسيس، فلقد كانت العيون تراقبها بطريقة غريبة وتشعرها بالغثيان رن هاتفها المحمول وكان هو ومن غيره يهتم لأمرها، إنه محمود:

- أنا في الطريق إلى محطة رمسيس يا محمود سأعود اليوم إلى الإسكندرية إن شاء الله.

- وأخيرًا استطعت سماع صوتك يا نيرمين بدون تلك الأصوات المخيفة.

- إنه عيب شبكة يا محمود لا تشغل بالك.

- هل حجزت قطار

- لا لم أحجز تذكرة سأستقل أي شيء لا تشغل بالك.

- اتصلي بي عندما تصلين يا نيرمين.

- حاضر لا تقلق على فلم أعد طفلة صغيرة

أغلقت التليفون بغيظ فلقد كان محمود يوترها بخوفه الزائد عليها وحبه، فهي لا تشعر تجاهه بأي مشاعر ..

****

وصلـت نيرمـين إلى الإسـكندرية فاستنشـقت هـواء البحـر بارتيـاح لقـد اشـتاقت إلى أبي قـير و إلى شـارعها وجيرانهـا وكل شيء فجلسـت عـلى الكورنيـش بالرغـم مـن الوقـت المتأخـر وأخـذت تنظـر إلى البحـر الكبـير و إلى منظـره المظلـم المخيـف فـكان منزلهـا قريـب مـن الشـاطئ .

تنفسـت نيرمـين الصعـداء عندمـا وصلـت إلى الإسـكندرية والى أبـو قـير واستنشـقت هـواء البحـر بسـعادة وارتيـاح فلقـد كانـت تشـعر بالغربـة في ذلـك المنـزل وتلـك المدينـة المزدحمـة كـما أنهـا اشـتاقت إلى جيرانهـا وأصدقائهـا وعملهـا وكل شيء،كانـت قلقـة عـلى أختهـا وتوأمهـا الوحيـدة بالحيـاة فكيـف طاوعهـا قلبهـا عـلى تركهـا ولكنهـا كانـت خائفـة وتريـد إعـادة التفكـير في كل مـا حـدث منـذ مـوت أمهـا، نظـرت إلى الخاتـم بيديهـا بحـسرة فلقـد كانـت تريـد الذهـاب لصديقـة أمهـا ولكنهـا الوصيـة التـي منعتهـا وجعلتهـا تتراجـع ...

ولكنهـا لم تسـتطع البقـاء في ذلـك المنـزل الغريـب لأربعـين دقيقـة وليـس أربعـين يومًـا لـن تحتمـل، سـتذهب إلى تلـك البعثـة وبعـد أن تعـود سـيكون مـر الأربعـين يومًـا بعدهـا سـتذهب إلى أم نوفـل صديقـة أمهـا وتفهـم كل شيء..

فهـي لا تفهـم شـيئًا فكيـف يختفـي والدهـا وهـل الجـدة صادقـة ومـن الـذي عـاد و خافـت منـه ولمـاذا تغـيرت ناردين أختهـا وعاملتهـا بقسـوة وشراسـة ولمـا تـصر عـلى البقـاء وترفـض أن تـأتي معـي؟ وكيـف دخلـت تلـك الشـقة الملعونـة ولقـد كانـت مغلقـة وعليهـا مفاتيـح كثيرة وأقفـال غريبـة الشـكل؟

تنهدت بحرارة:

- لا أدري لا أدري ..وهنا قطع حبل أفكارها صوت التليفون فلقد رن هاتفها المحمول وكان هو ..

ومن غيره محمود ولكنها لم ترد عليه فكان عقلها مشغولًا في كل ما حدث منذ موت أمها إلى أن عادت اليوم مرة أخرى .

رن هاتفها من جديد وكان هو ..

لا ليس محمود من جديد فلقد مل الرجل من الاتصال، لقد كان الطبيب كمال وهنا ردت عليه بلهفة فلقد اشتاقت إلى سماع صوته الحنون فلقد كان الرجل يعوضها عن فقدان الأب منذ أن عملت معه بالمستشفى من سنين وكانت تحب اهتمامه بها وخوفه الزائد عليها .

- مرحبًا دكتور كمال كيف حالك ؟

- الحمد لله بخير يا نيرمين كيف حالك أنت يابنتي ؟

ـــ بخير لقد وصلت إلى الإسكندرية وأنا الآن في أبو قير.

- حقًّا حمدًا لله على سلامتك، وهل أتت ناردين معك؟

- لا لقد رفضت وأصرت على البقاء بالقاهرة في منزل جدتي حتى يعود أبي.

- تمام إن شاء الله يعود والدك قريبًا يا نيرمين.

- إن شاء الله يا دكتور كمال.

- نامي جيدًا سأنتظرك غدًا في تمام التاسعة بالمستشفى من أجل الدورة التدريبية و أحضري جواز سفرك وصورة من بطاقتك الشخصية لا تنسي.

- حاضر سأكون هناك قبل الموعد وهنا نظرت إلى الخاتم بإصبعها بحزن وهي تهمس لنفسها:

- لا أدري كيف سأستطيع النوم بالمنزل بمفردي بدون ناردين وأمي رحمها الله ..نظرت إلى البحر أمامها وتساقطت دموعها بهدوء.

فأغمضت عينيها دقيقة لتعيد تفكيرها وترتب الأمور في رأسها قبل الذهاب للمنزل وماذا ستفعل ...؟؟

وهنا شعرت بالبرودة الشديدة والضباب الكثيف من حولها يغطي كل شيء والهواء يضرب وجهها بقوة ففتحت عينيها فوجدت البحر أمامها هائجًا وارتفعت أمواجه عالية فشعرت بالتوتر والرهبة من تغير الحال في ثواني وقفت وهي تحاول أن تنزل ثيابها لأسفل وترفعها الرياح معاندة لأعلى كانت وحيدة خائفة مذعورة تشعر بالبرودة الشديدة وكأنها ريشة وقفت تتحدى الرياح فأخذت الرياح تحركها يمينًا ويسارًا تعلو بها وتهبط وهي لا تستطيع فعل شيء لإنقاذ نفسها فهي ريشة ضعيفة لا حول لها ولا قوة ..

وهنا ظهر هو من العدم كان يمشي فوق مياه البحر بانسيابية شديدة متحديًا كل قوانين الطبيعة والجاذبية ونيوتن ، أشعرتها رؤيته بالأمان والطمأنينة بثيابه البيضاء وذقنه الطويلة البيضاء لقد أحبت هيئته ووجهه الناصع البياض فقالت بلهفة :

- من أنت أيها الشيخ الجليل؟؟

ابتسم بود فظهرت أسنانه البيضاء فرد عليها قائلًا:

- وأخيرًا رحلتي يا بنتي من الجحيم ولكنه لن يتركك يا نيرمين فمازلت من نفس النسل وتحملين نفس الدماء.

رددت بحيرة:

- رحلت من الجحيم ومن الذي لن يتركني أيها الشيخ ؟

ابتسم بحزن ولم يرد بل رحل من أمامها مسرعًا وسار فوق الماء بانسيابية كما جاء واختفى في العدم والضباب الكثيف من حولها وهنا شعرت أن جسدها يرتجف ويهتز بقوة وكأنه يتعرض لزلزال شديد بقوة عشرة ريختر

فتحت عينيها بقوة :

فوجدت سيدة مسنة تهزها بقوة وتحاول أن توقظها من النوم وهي تقول:

- هل أنت بخير يا بنتي؟ولماذا تنامين بالشارع نظرت نيرمين للمرأة بدهشة ثم إلى البحر أمامها فهل كانت تحلم يبدو أنها غفت ولم تشعر نظرت إلى المرأة وقالت:

- أنا بخير يا أمي لا تقلقي سأرحل يبدو أنني غفوت وبعدها أخذت حقيبتها ورحلت أمام عيون المرأة التي لاحقتها بشك ودهشة فلماذا تحمل الفتاة حقيبتها وتنام في الشارع فهل هي هاربة من أسرتها ؟ ولكن الفتاة لم ترح قلبها وتقول لها الحقيقة ورحلت بسهولة؟

سارت في الشارع متجهة إلى شقتها وكان عقلها مشغولًا في كيفية البقاء بالمنزل بمفردها فلم تهتم لأمر المرأة التي كانت تلاحقها.

وصلت إلى المنزل وصعدت الدرج ووقفت أمام باب الشقة وهنا سمعت بصفير الرياح يخرج من أسفل باب الشقة فهل تتوهم الأمر لا تدري أخذت نيرمين نفسًا عميقًا وبعدها وضعت المفتاح في ثقب الباب ..

فتحت الباب وكان الظلام يعم المكان فأضأت المصباح القريب من الباب لتنير المكان ولكنه كان عالق فيبدو أنه معطل دخلت إلى

المفتاح الأخر بنهاية الصالة فضغطت عليه فأضاء الصالة بضوء خافت أخذ يهتز ويضيء ويغلق بمفرده شعرت بالتوتر أغلقت باب الشقة خلفها ودخلت إلى غرفتها قائلة :

- يبدو أن المصابيح معطلة ..وهنا لمحته بطرف عينيها يجري من أمامها مسرعًا شهقت فزعًا وهي تهز رأسها فلم تكن تعرف ما هذا الشيء الأسود كان كظل بلا ملامح فسقطت الحقيبة من يديها على الأرض ..وفي تلك اللحظة عم الظلام المكان وانطفأ المصباح ..

****

في حجرة الجدة بالقاهرة

كانت الجدة لا تتكلم أو تتحرك من مكانها بل جحظت عيناها وهي تنظر إلى سقف الحجرة برعب وكانت جليلة تقف بجوارها تحاول تهدئتها بجعلها تشرب كوبًا من الماء المثلج، ولكن الجدة رفضت ولم تغير من وضعها أو نظراتها فلم تلتفت إليها أو تعيرها انتباها وكأنها ليست بالغرفة .

****

- سأقتلك لأخلص الناس من شرك يا سيد لقد تزوجتك رغمًا عني ولم أكن أعرف أنك ملبوس..اقتربت ببطء وهي تحمل الوسادة بين يديها وتكمل قائلة :

- لم أكن أعرف أنك ممسوس أيها الشيطان اللعين سوف أجعلك تستريح وتريح من حولك سأخلص الناس من شرك وهنا وضعت الوسادة على وجهه وأخذت تصرخ بهستريا:

- سأقتلك لأخلص الناس من شرك يا سيد لقد زوجوني منك رغمًا عني ولم يخبرني أحد أنك ملبوس لقد عذبتني كثيرًا يا سيد

ويكفـي مـا عشـته معـك مـن عـذاب خـلال تلـك السـنوات فلترحـل فلـم أعـد أتحمـل تلـك الحيـاة إمـا أن تمـوت أنـت أو أمـوت أنـا ..

كانـت تضغـط عـلى الوسـادة بقـوة وهـي فـوق وجهـه وتكتـم أنفاسـه ثـم أكملـت وهـي تضحـك بهسـتريا :

- لقـد وضعـت لـك المنـوم في كـوب الشـاي والآن سـتموت لا محالـة ولـن يخلصـك مـن يـدي أحـد لكـم كرهتـك وكرهـت الهـواء الـذي تتنفسـه ...لكـم تمنيـت تلـك اللحظـة منـذ أول ليلـة دخلـت فيهـا إلى ذلـك المنـزل ومنـذ أن رأيـت وجهـك وانعـكاس النـيران بعينـك ...وهنـا دخـل هـو إلى الغرفـة قائـلًا:

- مـاذا تفعلـين يـا أمـي لأبي ولمـاذا تضعـين الوسـادة عـلى وجهـه فربـما شـعر بالضيـق فـأبي لا يحـب أن يغطـي وجهـه أحـد بتلـك الطريقـة

- هـذا ليـس أبـاك يـا درويـش يـا ولـدي فلقـد مـات أبـوك منـذ زمـن يـا ولـدي إنـه الشـيطان الرجيـم.

تعجب الصغير ونظر بذعر إلى عيون أمه مرددًا:

- الشـيطان الرجيـم ومـات أبي.... مـاذا تقولـين يـا أمـي أنـا لا أفهـم شـيئًا ؟

- أقـول الصـدق يـا ولـدي ..اسـتمع إلي فلـم تعـد صبيًـا صغـيرًا يـا درويـش لقـد صرت رجـلًا الآن ولابـد لـك مـن معرفـة الحقيقـة فوالـدك كان شـيطانًا رجيـمًا ويسـتحق القتـل والمـوت ولكـن لا تخـبر أحـدًا بسرنـا يـا ولـدي.

نظـر الصغـير بـبراءة إلى عيـون أمـه و إلى جسـد والـده الممـد عـلى الفـراش لا يتحـرك أو يتنفـس، يبـدو بأنـه مـات حقًّـا كـما تقـول أمـه.. هـو لا يفهـم شـيئًا، ولكـن أمـه لـن تكـذب عليـه أبـدًا ولقـد كان والـده

قـاسي القلـب معـه يعاملـه بعنـف وكان يخيفـه دائـمًا بنظراتـه وعيونـه التـي يراهـا أحيانًـا حمـراء دموية..فلـماذا سـتكذب عليـه أمـه ..

فرد الصبي الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره :

-أبي كان شـيطانًا يـا أمـي وكـما قـال الشـيخ عرفـان لابـد مـن محاربة الشـياطين وقتلهـم فهـل سـتتركينني أقتلهـم مثلـك يـا أمي؟

نظرت له الأم وهزت رأسها بنعم ولم ترد

- أمي هل ستتزوجين برجل أخر غير أبي؟

- ألم أخـبرك يـا درويـش أن أبـاك مـات منـذ زمـن و أن هـذا الرجـل الـذي كان يعيـش معنـا كان شـيطانًا رجيـمًا ويسـتحق القتـل يـا ولـدي ثـق في.

- نعم أعرف ولكن هل أنا كوالدي وسأصبح شيطانًا يا أمي؟

صرخت بلوعة في وجهه :

- لا يا درويش، إنك ولدي وكل شيء لي بالحياة

- ولماذا تتزوجين من ذلك الرجل الغريب.

- سـأتزوج يـا درويـش لأنـه لابـد لـكل امـرأة أن تتـزوج وتكـن في حمايـة رجـل ولا تعيـش بمفردهـا هـل تفهـم يـا درويـش؟

- ولكنــي أكـره هــذا الرجـل يـا أمــي، ويخيفنــي كثـيرًا، فعيونــه واسـعة وسـوداء وأحيانًـا أرهـا كلهـا بيضـاء مرعبـة فـلا أعـرف هـل هــي بيضــاء أم سـوداء؟؟

- لا تقـل هـذا يـا ولـدى فالشـيخ عرفـان رجـل صالـح ويحبـك يـا درويـش وهـو يحـارب الشـياطين ويقتلهـم وسـيعلمك كيـف تحاربهـم يـا ولـدي وتقـضي عليهـم ؟

- هتف الصبي الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره فرحًا :

- صدقًـا يـا أمـي سـيدعني الشـيخ عرفـان أحـارب الشـياطين وأقاتلهـم مثلـه؟

- نعـم يـا ولـدي فهـو مـن عالـج والـدك مما كان فيـه فهـو معالـج روحـاني وأحـد جنـود الله المختاريـن عـلى الأرض.

هـز الصبـي رأسـه فهـو لا يفهـم شـيئًا مـن هـذا الـكلام العجيـب ولكنـه قـال بـبراءة:

- ولكنك قتلت أبي يا أمي هل تذكرين يومها

زفرت بضيق في وجهه قائلة:

- إيـاك أن تـردد ذلـك الـكلام أمـام أحـد فلقـد أخبرتـك مـن قبـل أن أبـاك قـد مـات مـن سـنين طويلـة أنـا لم أقتـل إلا الشـيطان الرجيـم يـا ولـدي هـل تفهـم ؟

نظـر إلى أمـه بفسـتان زفافهـا الأبيـض وهـو يشـعر بالحزن والدهشـة فهـل سـتتزوج أمـه حقًّـا مـن ذلـك الرجـل المخيـف وهـل سـيعلمه حقًّا كيـف يحـارب الشـياطين مثله ؟

ولكـن مـاذا إن كانـت أمـه أيضًـا شـيطانًا رجيـمًا فهـل سـيقتلها كـما قتلـت والـده ؟هـز رأسـه بحـيرة ولم يـرد ..

****

أخـذت تـصرخ وتولـول وهـم يحملـون الطفـل عـلى تلـك المحفـة البيضـاء .

- يـا ويـلي مـاذا حـدث لابنـي يـا شـيخ عرفـان ؟ درويـش ولـدي

رد علي ...ولكن الطفل كان فاقد الوعي فلم يرد عليها أو يريح قلبها ولكن الشيخ عرفان صرخ في وجهها :

- اصمتي يا امرأة إن ابنك قلبه ضعيف لم يتحمل خروج الجني من جسد الرجل فسقط فاقد الوعي لابد أن يجمد قلبه ليستطيع العيش ومحاربتهم ولكنه كالخبز الجاف يسهل تكسيره .

صرخت بلوعة وهي تمسك يد ابنها وتقبلها :

- بالله عليك يا شيخ عرفان اترك ابني ولا تجعله يعمل معك فسيموت الصبي إن لم تتركه.

- اصمتي يا أم درويش ولا تتفوهي بنصف كلمة واهتمي بابنتك جليلة فهي تصرخ واتركي لي الصبي فهو ملكي هو ومن يسكنه سأعلمه ليأخذ مكاني بالحياة فلابد أن يكون قويًّا ويعرف كيف يتعامل معهم ويواجههم، فابنك دماؤه ملعونة كابية وسيموت إن لم تتركيه وتجعليني أساعده، صرخت بلوعة .

- لا ولدي درويش ...بالله عليك ساعده يا عرفان وخلصه مما فيه.

- إذًا اذهبي لابنتك جليلة فهي تصرخ جوعًا ودعي لي الصبي لأخلصه فهو ملكي وما بداخله لي هل تفهمين نظرت الأم بقلق إلى ولدها الذي بدء يستفيق ورأت انعكاس النيران في عينيه كما كانت تراها في عيون والده فشهقت فزعًا ...

****

حاولـت جليلـة بشـتى الطـرق أن تجعـل أمهـا تتنـاول كـوب المـاء أو أي شيء أخـر ولكنهـا لم توافـق ولم تتحـرك قيـد أنملـة مـن مكانهـا بـل كانـت تحملـق في سـقف الحجـرة بعيـون خاويـة.

كانــت في عــالم أخــر وزمــان أخــر فمنــذ أن رأت نارديــن وهــي تحمـل الصنـدوق بـين يديهـا وتبتسـم بمكـر وأمهـا عـلى تلـك الحالـة هـزت جليلـة رأسـها بحـيرة فهـي لا تـدري كيـف تتـصرف ؟

فكـرت فى نيرمـين فهـل ترسـل لهـا رسـالة تخبرهـا بـكل شيء وبحال أمهـا، خرجـت مـن الغرفـة وهـي تمسـك بالورقـة التـي سـجلت فيهـا نيرمـين أرقامهـا فلقـد كانـت تقـف خلـف البـاب وسـمعت مـا قالتـه ..

وشـعرت بالارتيـاح عندمـا رحلـت الفتـاة فنيرمـين لا تسـتحق مـا سـيحدث لهـا فهـي فتـاة طيبـة القلـب وبعكـس أختهـا التـي تسـتحق كل شيء سـيحدث لهـا فهـي مـن نفـس النسـل وهـو لـن يتركهـا مهـما فعلـت.

لقـد تركهـا هـي يومهـا لأنهـا لا تحمـل دماءهـم القـذرة كـما أخبرها، ولكنـه ابتلـع لسـانها حتـى لا تتكلـم وتخـبر أحـدًا بـما حـدث يومهـا هـي لـن تتكلـم أو تقـول شـيئًا، فهـي كانـت تكـره أخيهـا درويـش وتتمنـى موتـه منـذ زمـن فمـن قـال إنهـا سـتحزن عليـه أو إنهـا سـتحاول مسـاعدته ...

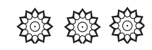
إنهـم أغبيـاء إن اعتقـدوا ذلـك فبعـد مـا عاشـته مـن ذل و إهانـة مـن ذلـك المختـل عقليًّـا الـذي يقولـون عنـه إنـه أخيهـا والـذي حرمهـا مـن الـزواج و أخـذ يرفـض كل عريـس يتقـدم لطلـب يدهـا حتـى كبر سـنها وأصبحـت عانسًـا فهـو يعتقـد نفسـه المتحكـم في مصيرهـا ويمنعهـا مـن الـزواج والخـروج مـن ذلـك المنـزل الملعـون ومـن تلـك الحيـاة التـي

تحياها معهم كان يريدها أن تظل كما هي عذراء لم يمسسها أحد لتساعده في عمله القذر، لكم تمنت الموت مرات ومرات وهي ترى قريناتها من نفس السن وأصبحن أمهات وعندهن أطفال.

ولكنه درويش فلابد أن تكون مساعدته لم يمسسها أحد من البشر وعذراء فمن سيثق في غير أخته التي ربها وحبسها بالمنزل ولا ترى الشارع إلا من نافذة حجرتها ليلًا

همست بغل لنفسها:

كنت تعتقد نفسك محاربًا للشياطين والجن ومخلصًا الأرض يا أخي .. فتستحق ما حدث لك يومها يا درويش المجاذيب صدقني..



الفصل التاسع

موت العجوز

شعرت نيرمين بالضيق وعدم القدرة على التنفس الطبيعي كانت تشعر وكأن هناك من وضع شيئًا ثقيلًا على صدرها حاولت اختراق ظلام الحجرة بعينيها ولكنها لم ترَ شيئًا، وهنا أفزعها ذلك الصوت العالي وأضاء لها الغرفة قليلًا إنه هاتفها المحمول وهنا رأت الاسم وكان هو محمود فشعرت بالارتياح والسعادة لأنه اتصل في الوقت المناسب حقًّا ...فضغطت زر التشغيل وقالت بلهفة حقيقية :

- محمود الحمد لله أنك اتصلت الآن فأنا خائفة بشدة.

- ماذا حدث يا نيرمين ولماذا صوتك مذعور بتلك الطريقة الغريبة ؟؟

- محمود، إن الكهرباء معطلة ولا يوجد نور بالمنزل وأشعر أن هناك أحدًا معي بالمنزل وأنا خائفة ويكاد قلبي يتوقف من شدة الرعب والتوتر.

- استعيذي بالله من الشيطان الرجيم يا نيرمين وابحثي عن شيء لينير لك الغرفة شمعة أو كشاف أي شيء إنها تهيئات بسبب الظلام.

- لا يا محمود ليست تهيئات صدقني فلقد لمحت شيئًا أسود يجري إلى داخل غرفة أمي يا محمود وأنا مرعوبة بالله عليك تعال وانجدني قبل أن أصاب بأزمة قلبية.

- نيرمين استمعي لي اذهبي إلى باب الشقة الآن وأنا معك على التليفون لا تغلقين الخط ..هل ذهبت ..؟؟؟

- نعم يا محمود أنا أمام الباب الآن

- حسنًا افتحي الباب ..بهدوء

- فتحته الآن يا محمود

- اخرجي من الشقة واذهبي لأحد الجيران وانتظريني حتى أتي إليك لن أتأخر لا تتحركي من عندك هل تفهمين نيرمين ؟؟؟

- ردت من بين دموعها حاضر يا محمود لن أفعل فلم تعد قدماي تتحملان حملي على الأرض ..

وهنا سمعها وهي تدق باب الجارة المقابلة لها وسمع الجارة وهي تقول لها :

- من نيرمين كيف حالك يا ابنتي....ومتى عدتي وأين هي ناردين ؟؟

وهنا أغلق الخط وأسرع إليها راكضًا وهو يفكر فيما يحدث لحبيبته فلقد سمع نفس الشوشرة مرة أخرى وهي تتحدث بالتليفون حتى خرجت من الشقة ...ولكنه لم يخبرها حتى لا يزيد من توترها وخوفها

فهو يشعر أن هناك شيئًا غير صحيح في كل ما يحدث..؟؟؟

****

« نيرمــين البقــاء لله لقــد ماتــت جدتــك اليــوم صباحًــا عمتــك جليلــة»

أخــذت تنظــر إلى الرســالة عــلى هاتفهــا المحمــول غــير مصدقــة فلقــد كانــت مــن رقــم غريــب لا تســجله عــلى هاتفهــا الجــوال ولكــن مــا هــذا فهــل حقًّــا ماتــت جدتهــا وكيــف ؟؟

تســاقطت العــبرات عــلى خدهــا ببــطء غــير مصدقــة وهنــا رأتهــا هــي تبكــي إنهــا أم محمــود فلقــد كانــت خائفــة ومذعــورة مــن البقــاء بالمنــزل بمفردهــا أمــس فــأصر محمــود عــلى أن تــأتي لتقــضي الليــل مــع أمــه ونــام هــو عنــد أخــاه بنفــس البنايــة فهــو منــزل عائلــة ولقــد كانــت أمــه تحبهــا بشــدة فرحبــت بالفتــاة نظــرت لهــا الأم بدهشــة قائلــة:

- ماذا حدث يا حبيبتي لماذا تبكين نيرمين ؟؟

- لقــد ماتــت جــدتي اليــوم يــا أمــي كانــت تناديهــا بأمــي وتنــادي كل امــرأة كبــيرة بالســن بأمــي وأي رجــل كبــير بالســن بــأبي

- لا حــول ولا قــوة إلا بــالله البقــاء لله يــا نيرمــين ومــن أخــبرك بالأمــر يــا ابنتــي ؟؟؟

لم تــرد عليهــا بــل جعلتهــا تــرى الرســالة عــلى الهاتــف ..فهــزت الأم رأســها بحــيرة وحــزن عــلى حــال تلــك الفتــاة التــي لم يمــر أســبوع عــلى مــوت أمهــا فتكتشــف أن أبيهــا عــلى قيــد الحيــاة ولكــن لا يعلــم أحــد طريقــه هــل هــو مــن الأمــوات أم الأحيــاء وبعدهــا تمــوت الجــدة ويختفــي الأب للأبــد فحــال تلــك الفتــاة البائســة يصعــب عــلى الكافــر فهمســت لنفســها :

- مســكينة يــا ابنتــي وحظــك بالدنيــا قليــل ربي يعوضــك خــير أعــدك بــأني ســأكون أمــك وعائلتــك فأنــا أعــرف كــم يحبــك محمــود

ويتمنـاك .

قالت نيرمين بحزن وهي تبكي:

- لا أعـرف يـا أمـي مـاذا أفعـل أعـود القاهـرة مـن جديـد أم مـاذا أفعـل والمفـروض أن أنهـي ورقـي وتدريبـي هنـا بالمستشـفى اليـوم وأقـدم الأوراق .

- اسـتمعي لي يـا نيرمـين إن ذهبـت باكـرًا أم متأخـرة أو حتـى لم تذهبـي لـن يغـير مـن الأمـر شـيئًا فلقـد نفـذ أمـر الله يـا حبيبتـي اذهبـي الآن إلى المستشـفى وخلـصي ورقـك وبعدهـا اسـتقلي القطـار وسـافري مسـاء وعـودي غـدًا صباحًـا وأنـا سـافر معـك فلـن أتـركك تسـافرين بمفـردك أبـدًا ونعـود معًـا غـدًا مسـاء وهنـا احتضنتهـا نيرمـين بقـوة وأخـذت تبكـي بعنـف فلقـد عوضتهـا تلـك المـرأة عـن والدتهـا ..

وفي تلـك اللحظـة دخـل هـو الغرفـة وشـاهد أمـه وهـي تحتضـن حبيبتـه بحـب وتبكيـان بقهـر فشـعر بالقلـق وقـال :

- مـاذا هنـاك يـا أمـي لمـاذا تبكـين أنـت ونيرمـين هكـذا فهـل حـدث شيء؟؟

فردت نيرمين من بين دموعها :

- لقد ماتت جدتي يا محمود اليوم.

- البقاء لله يا نيرمين هذه سنة الحياة وماذا ستفعلين؟

ردت الأم بدلًا عنها وهي تمسح دموعها قائلة :

- سـتذهب إلى المستشـفى الآن لتخلـص أوراقهـا وسنسـافر أنـا وهـي مسـاء ونعـود غـدًا مسـاء بـإذن الله يـا ولـدي فلقـد نفـذ أمـر الله ولـن يسـتطيع أحـد أن يوقفـه

- سأذهب معكما يا أمي فلن أترككما تسافران ليلًا بمفردكما ..

نظرت إليه نيرمين ولم ترد ..فماذا ستقول له ؟

- كان المعزين من أهل الحارة يملئون المنزل وتصرخ النساء وتولول في منزل الجدة العجوز و كانت جليلة تجلس على المقعد وتبكي بصمت وهنا دخلت ناردين عليهن وكانت تفرد شعرها وتغطيه بطرحة شفافة سوداء وتضع كحلًا أسود كثيفًا حول عينيها فجعل عيونها تظهر بصورة مخيفة مثيرة للفزع ..كانت ترتدي فستانًا أسود واسعًا طويلًا بأكمام طويلة و عقد طويل من الجماجم الصغيرة معلق حول رقبتها.

كانت هيئتها غريبة ومخيفة في نفس الوقت مما أثارت الفزع في نفوس الحاضرين اقتربت من إحداهن وكانت تجلس في زاوية الغرفة وهمست في أذنيها :

- لا تقلقي سترحل وتبتعد عنه ولكن نفذي لها ما تريد...

- نظرت المرأة إليها بدهشة قائلة :

- من هي ؟؟

- ساااااااااااااااااارة

وهنا نظرت لها المرأة برعب وشهقت بفزع وبعدها قامت مفزوعة تغادر المنزل وكأن شياطين الجحيم تطاردها بالداخل أمام عيون النساء الحائرات المستفسرة ..ماذا قالت لها ابنة الدرويش وجعلتها تفر هاربة من المنزل وقت العزاء.

وهنا نظرت إليها جليلة بحقد وغل فيبدو أن الفتاة لن تهدأ حتى تأخذ مكان والدها الدرويش ووقتها

ستصبح « الدرويشة»

همست جليلة لنفسها قائلة :

- يا ليتك تنالين نفس النهاية يا ناردين فأنت تستحقين .

وهنا دخلت نيرمين ومعها أم محمود ومحمود وبحثت في وجوه الحاضرين حتى وجدت عمتها فذهبت إليها واحتضنتها بقوة وهي تقول :

- البقاء لله يا عمتي جليلة ماذا حدث وكيف ماتت؟؟

لم ترد بل نظرت لها طويلًا وأخذت تبكي ..

وهنا تقدمت أم محمود فقالت نيرمين وهي تشير إليها :

- إنها أم محمود خطيبي يا عمتي وهذا محمود وكان يقف خلف الأم ..هزت رأسها ولم ترد فقالت نيرمين:

- إن عمتي خرساء يا أمي ولا تتكلم فاعذريها وأجلستها وأخذت تبحث عن أختها ناردين فلمحتها وهي تغادر الغرفة فأسرعت خلفها وأخذت تنادي عليها ولكنها لم تلتفت إليها وذهبت إلى أعلى إلى شقتهم صعدت نيرمين خلفها وكان باب الشقة مفتوحًا فدخلت وهي تنادي عليها:

- ناردين انتظري يا أختي من فضلك

دخلت ناردين حجرة نومها وجلست على الفراش وكانت تضع ذلك الصندوق الأسود الغريب بجوارها فقالت دون أن تنظر إليها :

- هل أخبرتك الخرساء بموت الجدة؟

- اتقي الله يا أختي فهي لن تحتمل فيكفي ما هي فيه

- ماذا تريدين مني ولماذا عدتي ؟؟

- عدت من أجلك يا أختي فلن أتركك وحيدة بذلك المنزل الغريب أبدًا وما هذا الذي تفعلينه بنفسك وما هذه الثياب الغريبة التي ترتدينها يا أختي وهذا العقد فهل فقدت عقلك يا ناردين؟؟

أخذت تنظر إلى الصندوق بتأمل شديد وعيون متألقة براقة طويلًا ثم قالت :

- لبسي وثيابي وهيئتي لا تهمك في شيء فأنت لم تعودي من أجل أحد إلا من أجلك نفسك ...أيتها الفتاة فهل تسخرين مني عدت من أجلي ولذلك ستعودين غدًا مع حماتك وخطيبك إلى الإسكندرية وتتركينني هنا لأنك ستغادرين مصر قريبًا إلي غينيا

- ماذا تقولين يا ناردين ومن أخبرك بأنني سأعود غدًا..

هل كلامي خطأ أم صواب يا أختي العزيزة أجيبي؟

- نعم كلامك صحيح وأنا لا أكذبك ولكن حتى إن كنت سأعود من أجل العمل فكنت سآخذك معي أنتِ وعمتي ولن أترككما بذلك المنزل بمفردكما أبدًا فأنا أخاف عليك

لم ترد ناردين بل كانت تتأمل الصندوق بهيام شديد مما أثار دهشة أختها فرفعت الصندوق تتأمله بغضب وهي تقول:

- ما هذا الصندوق يا أختي الذي يشغلك عني كانت رائحته كريهة كجثة متعفنة نظرت بداخله فكان به دماء جافة فقالت بتأفف:

- ما هذا يا ناردين ومن أين حصلت على ذلك الصندوق فيبدو أنه كان مليء بالدماء وجفت فيه.

صرخت في وجهها بعنف وأبعدت الصندوق عنها قائلة :

- إنهـا دمـاؤه هـو يـا عزيـزتي وليـس مـن شـأنك أنـت دمـاء مـن هـذه ؟؟

- دمـاء مـن مـاذا تقولـين فأنـا لا أفهـم منـك شـيئًا، فـماذا حـدث لـكِ فربـما جلـب لـك ذلـك الصنـدوق ومـا فيـه الأمـراض يـا ناردين أبعديـه عنـك أختـي بـالله عليـك؟

- اخرسي يا فتاة ولا تتدخلي واهتمي لشئونك أفضل يا نيرمين

دمعـت نيرمـين وهـي تنظـر إلى أختهـا الوحيـدة بتعجـب وحـزن فـماذا حـدث لهـا يـا تـرى؟

- هل ستأتين معي إلى الإسكندرية يا أختي أرجوك؟؟

- لا لـن أرحـل مـن هنـا ولـن ترحـل الخرسـاء مهـما فعلـت، ولـن تغـادر المنـزل فهـي مسـاعدتي هـل تفهمـين ؟؟

- مسـاعدتك في أي شيء يـا ناردين أنـا لا أفهـم مـاذا حـدث لـك هنـا ؟

- مساعدتي في مليء الصندوق وإرضائه يا ليعطيني ما أريد.

- ملئـه بـأي شيء وعـن مـن تتحدثـين أنـا لا أفهـم شـيئًا يـا ناردين مـن كلامـك. فهـل فقـدت عقلـك وصوابـك تكلمـي فلـم أتـرك إلا يومًـا واحـدًا أيتهـا الغبيـة ليحـدث لـك كل هـذا التغـير؟

- ارحـلي الآن وغـدًا تعرفـين يـا نيرمـين كل شيء وتعرفـين مـن هـي ناردين ومـن سـتكون في المسـتقبل ولكـن فقـط تذكـري بأننـي مخلصتـك مـن العـذاب أيتهـا الشـقية الفانيـة ..فجسـدك فـاني وروحـك باقيـة سـيأكل الـدود جسـدك وتبقـى الـروح عالقـة ..

وبعدهـا أطلقـت ضحكـة عاليـة كضحكـة سـاحرات الأفـلام ونظـرت لهـا نيرمـين بخـوف وتوتـر و عـدم فهـم فرجعـت بتوتـر وفـزع للخلـف وعـادت عـدة خطـوات إلى الخلـف حتـى كادت تصطـدم بذلـك المقعـد الهـزاز الـذي كان يعلـو يهبـط لأعـلى وأسـفل وهـي تنظـر إليهـا بدهشـة غـير مصدقـة ...

فـماذا تقـول تلـك المعتوهـة ومـا هـذا الـكلام الغريـب ومـا هـذه الضحكـة الغريبـة فهـل جنـت أختهـا وفقـدت عقلهـا ؟

ولكـن يبـدو بأنهـا ستستسـلم و سـتعود إلى الإسـكندرية وحيـدة وبـدون أختهـا وعمتهـا ولكنهـا عنـد عودتهـا مـن غينيـا ومـن تلـك القافلـة الطبيـة سـتذهب إلى صديقـة أمهـا أم نوفـل وتعـرف الحقيقـة كاملـة ووقتهـا سـتأخذها معهـا بالقـوة وتعـود أدراجهـا إلى منزلهـا وحياتهـا السـابقة .

فلـن تسـمح لهـا بالبقـاء بذلـك المنـزل الملعـون أبـدًا وربـما وقتهـا يكـون قـد عـاد الأب وفهمـت كل شيء منـه هـو ..

****

في منزل نيرمين :

وقـف هـو في الشـارع أسـفل المنـزل يحدثهـا في الهاتـف المحمـول بضيـق:

- هيـا يـا نيرمـين سـنتأخر عـن ميعـاد الطائـرة فلـم يبـقَ إلا ثـلاث سـاعات ومـازال المشـوار طويـلًا إلى المطـار.

- حـاضر يـا محمـود إني جاهـزة دقائـق و أنـزل لـك هـل أحـضرت سـيارة أجـرة؟

- نعم فالرجل ينتظر منذ زمن وبدء يشعر بالضجر

- ابتسمت بحزن وهي تقول لن أتأخر ثلاث دقائق وتجدني أمامك لا تقلق.

ذهبت نيرمين ومحمود بعد أن ودعت أم محمود التي كانت تجلس معها بشقتها فلقد أصرت الأم على مرافقتها إلى شقة أسرتها و البقاء معها حتى السفر بعد إن رفضت نيرمين البقاء بمنزل محمود خوفًا من كلام الناس الكثير الذي لا يرحم ولا يترك أحدًا في حالة أبدًا، نزلت الأم معها لتودع ابنها وتدعو لهما بالرجوع سالمين ..

وبعدها صعدت إلى شقة نيرمين لترتبها وتغلقها وتعود إلى شقتها وهنا دخلت الشقة فشعرت بعدم الارتياح، هي كانت لا تشعر بالارتياح منذ دخلت الشقة وتشعر بأن هناك شيئًا خاطئ وكانت تشغل القرآن الكريم باستمرار بالمنزل وتضع البخور ولكن دائمًا الكهرباء تفصل ويعم الظلام كما أنها تشم رائحة كريهة دائمًا بالمكان وكان هناك شيء متعفن ورائحة نتنه كالبيض الفاسد..

كانت تشعر أن هناك أشياء تتحرك بالشقة ليلًا وكانت لا تريد أن تخبر الفتاة حتى لا تثير فزعها واليوم رأته لقد جرى من أمامها عندما فتحت باب الشقة ودخل إلى غرفة الأم المغلقة وأغلق الباب خلفه بعنف .

أخذ قلبها يعلو يهبط وشعرت بالتوتر و الخوف أخذت تتلوى ما تحفظه من آيات الذكر الحكيم واقتربت ببطيء من الغرفة . وفتحت الباب وهي تبسمل وتحوقل وهنا رأته معلق في سقف الحجرة من رقبته ويخرج لسانه من فمه بطريقة بشعة فصرخت المرأة فزعًا وهي ترى هذا المنظر البشع ومن هذا الرجل المشنوق وسقطت فاقدة الوعي ....

ـــ استيقظي يا أم محمود ماذا حدث لك يا أختي استيقظي بالله عليك ؟

ـــ فتحت عينيها لترى أمامها الجارة التي تسكن بالشقة المجاورة لقد تعرفت عليها وكانت تأتي لزيارتها هي ونيرمين باستمرار وتسأل عنهما ويجلسان سويا الأيام الماضية.

ـــ حمدًا لله على سلامتك لقد أرعبتني يا أم محمود كثيرًا. ماذا حدث لقد كنت ذاهبة للتسوق وسمعتك تصرخين وباب الشقة مفتوح وأنت فاقدة الوعي على الأرض ؟

وهنا تذكرت فهزت رأسها ونظرت بخوف إلى باب الغرفة المغلق وقالت: إنه بالغرفة، إنه بالغرفة مشنوق

مشنوق من هو ..يبدو أنك كنت تحلمين يا حبيبتي لا تقلقي واهدئي.

لا لا لقد رأيته بعيني معلقًا في سقف الغرفة مشنوق بثعبان كبير شكله مخيف يا أم مجدي صدقيني.

وهنا دخلت المرأة الغرفة وفتحت الباب أمامها قائلة :

انظري يا أم محمود فليس هناك أحد بالغرفة فيبدو بأنك كنت تحلمين واعتقدت الأمر حقيقة.

لا أعرف ربما ولكني لابد أن أعود إلى شقتي فهل انتظرني معي حتى أجمع ثيابي من فضلك أم مجدي.

طبعًا تفضلي سأساعدك في جمع الأغراض فيبدو بأنك مرهقة و متعبة.

وهنا ذهبت المرأة إلى غرفة الفتاة لتجمع ثيابها ووقفت على

باب الشقة وبعدها تذكرت شيئًا فقالت للمرأة انتظريني حتى أدخل غرفة نيرمين أتأكد بأنها أغلقت النافذة من فضلك ...

تفضلي يا أم محمود وتأكدي من غلق الغاز جيدًا ونافذة المطبخ فهي تطل على منور

دخلت المرأة إلى غرفة نيرمين وكانت النافذة مغلقة وهمت بالخروج من الغرفة عندما شهقت فزعًا فلقد رأت صورته معلقة بالجدار بجوار الباب وكان نفس الرجل الذي رأته مشنوقًا بالغرفة فصرخت المرأة فزعًا وأسرعت تغادر الشقة وكأن شياطين الجحيم تطاردها بالداخل...

وهي تسأل هل هذا الرجل والد الفتاة و إن لم يكن أباها فلماذا تعلق صورته بالغرفة؟؟؟

كانت نظرات الجارة تطاردها لتسألها ماذا حدث بالداخل ولما تهربين من الغرفة وكأنك تهربين من الجحيم ؟

ولكنها لم ترد ولم تنطق بكلمة فكانت الصدمة قوية وكبيرة عليها فأخذت حقيبتها ورحلت في صمت دون أن تودع الجارة التي كانت تنظر لها بفضول شديد وشك..فماذا حدث بداخل الغرفة فلقد ألقت نظرة سريعة فلم ترَ شيئًا غريبًا بالغرفة يثير الفزع والتوتر لتلك الدرجة .



الفصل العاشر

سارة

- أمـي لقـد أخـذت منـى سـارة الحقيبـة وألقتهـا بسـلة المهمـلات وبعدهـا ضربتنـي اقتليهـا يـا أمـي مـن أجـلي.

- أمي أريد أن أقتل سارة بالليزر و أحرقها بالنار

- أمي ستنفجر القنبلة في وجه سارة وتصبح فطيرة حمراء.

- لقـد أخـذت سـارة لعبتـي يـا أمـي اقتـلي سـارة وأغرقيهـا بالمركب في البحـر يـا أمي.

- يـا سـمكة القـرش اقتـلي سـارة ..يـا سـمكة الكهربـاء كهـربي سـارة و اقتليهـا مـن أجـلي

- سـارة مـوتي يـا سـارة مـن أجـلي ..وسـيأكلك الشـيطان الأسـود والأشـباح ..

لقـد تعبـت أعصـابي مـن سـماع اسـم سـارة يـتردد في المنـزل أكثـر مـن مائـة مـرة باليـوم الواحـد ..

يـا إلهـي إنـه ابنـي الصغـير الـذي لم يتجـاوز الخمسـة أعـوام «حسـام«..مازال يـردد ذلـك الاسـم البغيـض إلى قلبـي الكريـه مـن نفـسي اسـم» سـارة»

- نعم أكره ذلك الاسم منذ كنت صغيرة، أتمنى موت صاحبته ولكنني لم أجرؤ أن أنطق بذلك و أخبر أحد سري و أمنيتي بالحياة ولا حتى أمي التي كانت تحب الفتاة بشدة يا إلهي لماذا يا بني تذكرني بتلك الأيام السوداء التي عشتها منذ طفولتي و حتى مراهقتي وشبابي فلسوء حظي ظلت سارة ترافقني منذ الروضة وحتى أنهينا المرحلة الجامعية بنفس الجامعة يا إلهي لكم أكره تلك الحياة وأيام الدراسة حتى لا أقابلها فتسخر مني أمام الجميع وتعذبني وفي النهاية تضحك باستمتاع و هي تراني مذلولة لها يا إلهي لكم أكرهك يا سارة وحتى أموت سأظل أتذكر مواقفك البشعة معي وضعفي وذلي لك أيتها الحقيرة ..

- اقتلي سارة يا أمي من أجلي فهي شريرة..تستحق الحرق والموت اقتليها من أجلي.

أخذ الصغير يصرخ بهستريا أفقدتني عقلي وصوابي فصرخت في وجهه بغضب :

- اخرس أيها الصبي و أغلق فمك ولا تردد ذلك الاسم ثانية...

وهنا نظر لي ابني بحزن و أخذ يبكي بهستريا وألم وهو يردد :

- و لكن سارة تستحق الموت يا أمي فهي تؤذيني...

جعلتني كلماته أتذكر الماضي وأعود بذاكرتي لأيام طفولتي وعذابي مع سارة زميلتي بالصف كانت تؤذيني بشدة وتأخذ مصروفي وطعامي ..كانت تضربني وتهينني ولكني كنت جبانة ..فلم أخبر أمي يومًا عما تفعله معي؛ لأنني كنت أعرف بأنها لن تصدقني ولم تقتنع بما أقول وستقول أنني أغار من سارة لأنها فتاة

متفوقـة دائـمًا وجميلة..ولكنـي لا أرهـا جميلـة بـل هـي قبيحـة مغـرورة تـؤذي الآخرين...قطـع صوتـه حبـل ذكريـاتي وهـو يـصرخ :

- هل ستقتلين سارة يا أمي؟؟

صرخت في وجهه بعنف:

- ارحـل إلى غرفتـك يـا حسـام وغـدًا سـأذهب معـك إلى الحضانـة لأعاقبهـا بنفـسي .

- هـل سـتقتلينها وتجعليهـا تنـزف حتـى الموت...نظـرت لـه بحـيرة فهـذا مـا كنـت أتمنـى فعلـه بصديقتـي السـابقة سـارة عندمـا كنـت صغـيرة ..هـززت رأسي ولم أرد عليـه ورحـل هـو إلى غرفتـه سـعيدًا مـسرورًا معتقـدًا أننـي سـأقطع رقبـة الطفلـة غـدًا و أنتقـم لـه لما فعلتـه معـه فحتـى بعـد أن تخرجـت مـن الجامعـة وابتعـدت عـن تلـك البغيضة سـارة التـي عذبتنـي لسـنين طويلـة كنـت أتجنـب التعامـل مـع أي فتـاة اسـمها سـارة واعتقـد أنهـن جميعًـا أشرار ..

وهـا هـو ابنـي الصغـير الـذي لم يتجاوز الخامسـة مـن عمره يشـتكي لي مـن زميلتـه بالروضـة وتدعـى سـارة تعذبـه وتهينـه أمـام الأطفـال وجعلتـه يكـره حياتـه ويكـره الحضانـة ويذهـب إليهـا مجبرًا كل يـوم و الدمـوع تملـئ عينيـه .

- فـماذا تفعـل لـه تلـك الطفلـة الصغـيرة؟ لتجعلـه يتمنـى موتهـا بتلـك الطـرق البشـعة ومـن أيـن عـرف ولـدي تلـك الطـرق للقتـل؟ كل هـذا مـن أفـلام الكرتـون التـي يشـاهدها ؟ سـوف أمنعـه مـن مشـاهدة التلفزيـون.

ولكـن مهـلًا فأنـا لا أجعلـه يشـاهد التلفزيـون منـذ أكثـر مـن سـنة، فحسـام ابنـي مريـض ومتأخـر في كل شيء لقـد تأخـر في المشي في

النطـق في الفهـم في الكتابـة وعرضتـه عـلى أخصائيـين أمـراض عصبيـة وأكـدوا لي أنـه سـليم ولكنـه يحتـاج معاملـة خاصـة ويمنـع مـن مشـاهدة الكرتـون ومـن يومهـا منـذ أكثـر مـن سـنة لم يشـاهد التلفزيـون فمـن أيـن عـرف تلـك الطـرق للمـوت؟

- غريبــة حقًّــا تلــك المسـألة ســوف أذهــب غــدًا لأرى تلــك الشــيطانة الصغــيرة التــي تعــذب ابنــي و أعــرف الســبب؟

فبعـد أن بـدء الطفـل يتحسـن تراجعـت حالتـه كثـيرًا في الأيـام الأخـيرة، كان يخـبرني بتلـك الطفلـة التـي تضايقـه بالحضانـة سـارة، و كنـت أخشـى مواجهتهـا يالسـخافتي أخشـى وأخـاف مـن مواجهـة طفلـة صغـيرة لم تكمـل عامهـا الخامـس لابـد أن أتغلـب عـلى مخـاوفي مـن الاسـم و أذهـب غـدًا أشـتكي لمدرسـة الفصـل بالحضانـة أو المديرة؛ لتـضرب تلـك الصغـيرة .

- ماذا بكي يا عفاف ولماذا تبكين بتلك الطريقة يا أختي ؟؟

- أخـاف عـلى حسـام يـا أختـي فلقـد سـاءت حالتـه اليـوم كثـيرًا كنـت في منـزل الدرويـش لأعـزي في أمـه فقالـت لي ابنتـه « الدرويشـة» بأنهـا لـن تـترك ابنـي ..وعندمـا سـألتها مـن ؟؟

قالـت لي : سـارة أنـا لا أفهـم شـيئًا يـا أختـي و أخـاف عـلى ولـدي الوحيـد، فـماذا فعلـت أنـا ليحـدث لي كل هـذا ولمـاذا تطـارده الطفلـة ؟

- هل ذهبت إلى الحضانة وعرفت من هي يا أختي؟؟

- نعــم يــا ســعاد ويــا ليتنــي مــا ذهبــت وعرفــت ؟ فمنــذ أن عـدت وأنـا أبكـي و أشـعر بالخـوف الشـديد والقهـر ولا أعـرف كيـف أتــصرف؟

- اهدئي و أخبريني ماذا حدث هناك بالحضانة.؟؟؟

- لقـد ذهبـت مـع حسـام ابنـي إلي الحضانـة اليـوم صباحًـا وقابلـت المعلمـة وأخبرتهـا أن هنـاك طفلـة تدعـى سـارة تعـذب ابنـي وتكرهـه بالحضانـة وتأخـذ طعامـه وحلوياتـه ..وهنـا نظـرت لي المشرفـة بحـيرة يشـوبها القلـق قائلـة:

- ولكـن ليـس هنـاك أي فتـاة بالحضانـة كلهـا اسـمها سـارة يـا مـدام.

- ماذا تقولين ومن سارة التي يتحدث عنها حسام؟

هزت رأسها بحيرة وقلق قائلة:

- لا أعرف يا مدام صدقيني...

نظـرت إلى عيونهـا طويـلًا فوجدتهـا تخفـي شـيئًا نعـم فهـي تحـاول أن تـداري عينيهـا عنـي أكثـر مـن مـرة وتهـرش أنفهـا تلـك المشرفـة كاذبـة وهنـاك مـن تدعـى سـارة وتعـذب حسـام ابني؟؟وهـي تعـرف؟

أنـا أرى ذلـك في عينيهـا الكاذبـة لقـد غاظنـي الأمـر بشـدة فتركتهـا وذهبـت إلى المديـر لأشـكو لـه منها..فأكـد لي نفـس الـكلام لا توجـد فتـاة تدعـى سـارة ..بـل و أخـرج لي كشـوف الأسـماء بالأطفـال لأتأكـد وتأكـدت فلـم تكـن بينهـم اسـم سـارة.

خرجـت مـن مكتـب المديـر حائـرة فهـل انتكـس ابنـي وزاد مرضـه لا أدري ولكـن مـن سـارة تلـك التـي تعذبـه ...ربـما اختلـط عليـه الأمـر واخطـأ الاسـم سـأذهب إلى الفصـل و أجعلـه يرينـي سـارة التـي تؤذيـه ...لأعـرف مـن هـي بنفـسي ذهبـت إلى الفصـل وكان حسـام ابنـي يبكـي بهسـتريا ويمسـك يـده وعندمـا رأني ارتمـى في حضنـي وأخـذ يبكـي قائـلًا :

- اقتلي سارة يا أمي من أجلي لقد آذتني

وهنـا صرخـت في المشرفـة مـن الـذي أذى ابنـي أيتهـا المشرفـة ولكنهـا لم تـرد عـلي بـل أدارت وجههـا إلى السـبورة ولم تتكلـم فأخـذت ولـدي وأنـا أتوعدهـم بالعقـاب وسـوف أقـوم بتقديـم بـلاغ بأنهـم عذبـوا ابنـي واحرقـوه بالنـار وهنـا قالـت لي المشرفـة:

- انتظري سيدتي سأخبرك كل شيء

وهنا توقفت واستمعت لها...فقالت بجدية :

- تعـالي معـي فذهبنـا إلى غرفـة مغلقـة ففتحـت بابهـا وكان الـتراب يغطـي كل شيء فقالـت لي بحـزن:

- في هـذه الغرفـة ماتـت فتـاة منـذ ثـلاث سـنوات لقـد كانـت فتـاة شـقية جـدًّا ومؤذيـة تحـب الأذيـة للآخريـن فـأرادت أن تجعـل زميلهـا يقفـز مـن النافـذة ولكنـه رفـض فحاولـت بالقـوة إسـقاطه فسـقطت هـي عـلى وجههـا وماتـت ومـن يومهـا أغلقـت الغرفـة ولم نسـتخدمها قـط ولم يدخلهـا أحـد منـذ انتهـاء التحقيقـات ..فقمنـا بغلقهـا إلى أن قـام حسـام ابنـك بفتـح بـاب الغرفـة منـذ أسـبوع لقـد سـمح الصغـير للـشر أن يمـر إلى عالمنـا ..فهـل تعرفـين الفتـاة ؟ أنـا أعـرف أنهـا تؤذيـة.... ولكنهـا لا تـؤذي غـيره وكأنهـا تنتقـم منـه ...

- مـا هـذا الهـراء والـكلام الكثـير أيتهـا المربيـة الفاضلـة ..أهـذا مـا تعلمونـه للأطفـاك هنـا ..

- صدقينـي ابنـك في خطـر حـاولي أن تعـرفي مـاذا تريـد الفتـاة مـن ابنـك حسـام؟ ولمـاذا هـو بالـذات لترحـل بسـلام روحهـا وتغـادر وتكـف عـن أذيتـه؟

- يبدو أنك مجنونة سآخذ ابني من تلك الحضانة السيئة...

- صدقيني لن تتركه سارة إلا بعد أن تنفذين ما تريد ...

وهنـا سـمعت صرخـة حسـام عاليـة ..فركضـت بقـوة باتجاههـا وكان بداخـل الغرفـة فتحـت البـاب بالقـوة فوجـدت حسـام ابنـي معلقًـا في سـقف الحجـرة وهـو يـصرخ :

- اقتلي سارة يا أمي من أجلي اقتليها اقتليها ...

وهنا صرخت بفزع :

- حسام بني ..ماذا حدث يا ولدي؟؟؟

صرخت المشرفة بقوة:

- أنزليـه برفـق يـا سـارة الآن ...ولكنـه لم ينـزل بـل سـمعت صـوت ضحـكات عاليـة فصرخـت المعلمـة مـن جديد :

- أنزليه برفق يا سارة

وهنا سمعت صوت قوى لطفلة صغيرة:

- ولكنها ستغضب مني إن أنزلته برفق ..

صرخت المشرفة :

- أنزليه برفق أو عاقبتك يا سارة

- فنزل حسام إلى الأرض وهو يبكي قائلًا:

- أكرهك يا سارة أكرهك وستموتين قريبًا ..

وهنـا نظـرت إلى المشرفـة وعرفـت أنهـا تخـبرني الصدق فلـن تـترك سـارة ابنـي ولكـن لمَ؟ ألأننـي لا أحـب الاسـم ؟

ولكـن مـا المشـكلة فـكل البـشر يكرهـون أسـماء ويحبـون أسـماء فصرخـت بلوعـة:

- فأنـا لم أرتكـب جرمًـا بكرهـي لاسـمك يـا بنيتي..قلـت للمشرفـة بحماس :

- أعطيني عنوانها وسوف أذهب لأعرف ماذا تريد الفتاة مني ..وهنا صمتت المشرفة ولم ترد...

- ماذا هناك أين أهلها؟

- لم يكن للفتاة أي أهل سوى أمها الأستاذة سارة الأبصيري المعلمة ولقد انتحرت بعد موت ابنتها مباشرة فلم تتحمل فراق الصغيرة ورحيلها وهنا صرخت بفزع :

- سارة الأبصيري وكانت تسكن هناك في...

وهنا قاطعت المشرفة فالآن عرفت الحقيقة وفهمت أنها هي ابنه صديقتي سارة أو بمعني أدق شبحها هو من يعذب ابني الصغير ...

فلم يكفيها ما كانت تفعله معي ونحن صغار فأرادت أن تكمل ما بدأت معي وتعذب ابني وتعذبني ...

فصرخت بغضب:

- إني أكرهك يا سارة وأتمنى موتك من جديد فبعد كل تلك السنوات مازلت تعذبينني. فلماذا لم ترحلي بسلام أنت وابنتك؟ وماذا فعلت أنا لك يا سارة؟ وبعدها أخذت ابني الذي كان يصرخ بهستريا:

- اقتلي سارة اقتلي سارة يا أمي

فماذا أفعل يا سعاد في تلك المصيبة ومع شبح تلك اللعينة التي تعذب حسام ..

- اهدئي يا عفاف بالله عليك من أجل الطفل. وليس أمامك اختيار عودي إلى بيت الدرويش و اطلبي المساعدة من ابنته ناردين،

فيبدو أنها تعرف في تلك الأمور ..فهي الوحيدة القادرة على مساعدة ابنك ؟

- هل تعتقدين ذلك أختي ؟

أنا أؤمن بذلك فلقد أخبرتك أن سارة لن تترك ولدك اذهبي الآن ولا تتأخري فحياة حسام في خطر يا أختي حفظه الله ورعاه..

****

في منزل الدرويش

وبالشقة السفلية جلست عفاف ترتعد خوفًا من ذلك المكان المرعب الذي تجلس فيه.

وأمامها منضدة صغيرة وضع بداخلها البخور كان المكان به إضاءة خافتة زرقاء لقد أدخلتها جليلة أخت الدرويش إلى الحجرة بالشقة السفلية بالدور الأرضي شقة الدرويش التي كان يمارس فيها عمله هي كانت تعرف وكل أهل الحارة يعرفون فلقد كانت ترى الأضواء تخرج من فتحات النافذة التي لا تفتح وتسمع أصوات غريبة ليلًا تصدر من الشقة وتشم رائحة البخور دائمًا فمنزلها بالمنزل المقابل للدرويش .

فلقد كانت تسمع عن الدرويش وعن قدراته منذ زمن ولكنها لم تجرؤ يومًا على الذهاب إلى بيته إلا يوم العزاء فكل أهالي الحارة التي تسكن فيها ذهبوا إلى العزاء خوفًا من الدرويش وليس لأداء الواجب ففعلت مثلهم خوفًا على حياتها وحياة ابنها، وكما أخبرتها حماتها قبل الموت ووصتها بألا تؤذي الدرويش أو تذكره بسوء؛ حتى لا يؤذيها فهو يسخر جني في كل منزل من منازل أهالي الحارة

لمراقبتهـم ومعرفـة هـل يؤذونـه بالـكلام أم لا لم تصـدق هـذه التخاريـف ولكنهـا اليـوم آمنـت بهـا .

دخلـت نارديـن وهـي ترتـدي ثوبًـا أسـود اللـون فضفـاض واسـع وطرحـة سـوداء فـوق شـعرها المنكـوش أسـفلها وترسـم عيونهـا بالكحـل الأسـود الكثيـف فبـدت غريبـة الهيئـة كالمشـعوذين و السـحرة التـي تراهـم عـلى شاشـات التلفـاز وكانـت ترتـدي حـلي كثـيرة بهـا أسـنان أو أنيـاب هـي لا تعـرف ولكـن الحـلي أشـعرتها بالتوتـر وخصوصًـا ذلـك العقـد الطويـل برقبتهـا الـذي ينتهـي بجمجمـة صغـيرة هـل الجمجمـة حقيقيـة يـا تـرى ؟؟

لا تعـرف، نظـرت لهـا نارديـن بعيونهـا الواسـعة والتـي زادهـا الكحـل وسـعًا قائلـة :

- هل تحدثت معها اليوم ؟؟

- مع من ؟؟

- مـع سـارة يـا امـرأة أنـا لا أحـب الـكلام الكثـير واللف والـدوران أخبرينـي مـاذا حدث ؟

نظرت لها المرأة برعب وكادت دموعها تتساقط فقالت :

- نعـم بـالله عليـك...لم تكمـل جملتهـا فلقـد صرخـت نارديـن في وجههـا بعنـف:

- لا تذكري اسم الله هنا ثانية هل تفهمين؟؟

انكمشت في مقعدها بتوتر قائلة :

- كـما تطلبـين حـاضر سـأنفذ مـا تريديـن ولكـن أنقـذي حسـام وأبعديهـا عنـه ؟؟

****

- مـاذا حـدث يـا عفـاف في بيـت الدرويـش ولمـاذا لا تتكلمـي وتخبرينـي مـاذا قالـت لـك ابنتـه.

لم تـرد عليهـا بـل كانـت تفكـر فيـما طلبتـه منهـا «نارديـن» ابنـة الدرويـش وهـل ستسـتطيع تنفيـذ مـا تقـول لقـد طالبتهـا بإحضـار طفلـين مـن نفـس عمـر حسـام لأخـذ منهـم القليـل مـن الدمـاء لإبعـاد شـبح الطفلـة وأمهـا عـن طفلهـا للأبـد لقـد أخبرتهـا أن الطفلـين لـن يشـعروا بـشيء ولـن يتـأذوا أبـدًا، ولكـن إن لم تفعـل فسـوف يمـوت ابنهـا خـلال أيـام فلـن تتركـه سـارة وابنتهـا يحيـا وقـد ماتـت هـي وابنتهـا، وحرمـا مـن متـاع الحيـاة..

- لا شيء يـا أختـي لقـد أعطتنـي حجـاب لحمايتـه مـن روح سـارة وشـبح ابنتهـا.

نظرت لها أختها بشك فهي تشعر أن أختها تكذب :

- هل تقولين الصدق يا عفاف

ابتسمت رغمًا عنها حتى لا تشك أختها بأمرها قائلة :

- نعـم يـا أختـي أقـول الصـدق. لمـاذا سـأكذب عليـك فأنـت مـن اقترحـتِ عـليَّ الذهـاب إلى ابنـة الدرويـش السـاحرة ؟

هزت أختها رأسها بنعم ولكنها لم ترد عليها .

- سـعاد لمـا لا تقضـين اليـوم عنـدي أنـتِ والطفلتـان وتذهبـي صباحًـا ؟

- لا يا عفاف فأنت تعرفين زوجي لن يوافقك أبدًا

- فلـماذا لا تتركـي الصغيرتـين يلعبـان مـع حسـام اليـوم وتقضـين ليلـة الخميس مـع زوجـك بـدون إزعـاج الصغيرتـين وسـوف أحضرهـم لـك غـدًا صباحًـا ونقـضي اليـوم معًـا مـا رأيـك ؟؟

وهنـا أتـت الصغيرتـان وهمـا تلعبـان مـع حسـام بسـعادة .فقالـت سـعاد لأختهـا بـتردد :

- لا أدري يا عفاف فربما عذبتاك فهما شقيتان ولا تريحان أحدًا

- لا تقلقـي فهـما كولـدي يـا سـعاد لا تقلقـي عليهـما أبـدًا فهـما في بيـت خالتهـما ..وسـوف أرعاهمـا كـما أرعـى حسـام ..

وافقـت سـعاد عـلى تـرك بناتهـا في منـزل أختهـا وقضـاء ليلـة حمـراء مـع زوجهـا بـدون إزعـاج الصغيرتـين ..

ولكـن قـولي لي يـا امـرأة أنحـن في زمـن تتركـين فيـه أطفالـك مـع أحـد غـير نفسـك وتكونـين مطمئنـة النفـس مرتاحـة البـال؟

وكل هذا من أجل أن ترضين أحدًا

ألا تسـمعين عـن الحـوادث البشـعة التي تحـدث كل يـوم ومـن سـيهتم بأطفـال غـيره في هـذا الزمـن حتـى و إن كانـت جدتهـم اتقـوا الله في أولادكـم ..

****

وبعـد منتصـف الليـل وعندمـا نـام الأطفـال فلقـد وضعـت عفـاف لهـم المنـوم في العصـير حتـى تنامـا ولا تشـعران بـشيء سـمعت الطـرق عـلى بـاب شـقتها وكانـت هـي ...

ومـن غيرهـا ابنـة الدرويـش « ناردين » لقـد طلبـت منهـا عفـاف أن تـأتي هـي إلى المنـزل وتأخـذ مـا تريـده مـن الطفلتـين حتـى لا تسـتيقظان وهـي بمفردهـا بالمنـزل فزوجهـا يعمـل بأحـد الـدول العربيـة بالخليـج .

فتحـت عفـاف البـاب بتوتـر وأدخلـت ناردين التـي كانـت تحمـل صندوقًـا أسـود بـين يديهـا إلى غرفـة الأطفـال وهـي تقـول برجـاء وتوتر:

ــ أرجوك لا تؤذيهما ولا تتركي أي أثر بأجسادهما ...

نظـرت لهـا نظـرة ناريـة جعلتهـا تبتلـع الكلـمات في فمهـا وتخـرس فهـل سـتخبرها بـما يجـب عليهـا فعلـه؟

دخلـت إلى الغرفـة وكان الثلاثـة أطفـال نيـام اقتربـت ناردين مـن إحـدى الطفلتـان ورفعـت ذراعهـا وربطتهـا بربـاط ضاغـط وأدخلـت سـن رفيـع في ذراعهـا ينتهـي بأنبـوب رفيـع وسـحبت الدمـاء بالسرنجة بنهايـة الأنبـوب الرفيـع الـذي يشـبه الخرطـوم ونهايتـه كانـت بسرنجـة أخـذت تسـحب الدمـاء بالسرنجـة وتضعهـا بالصنـدوق وهنـا بـدء الصنـدوق ينـير ويشـع نـورًا غريبًـا ممـا أثـار الرعـب في نفـس عفـاف فصرخـت رعبًـا يكفـي أرجـوك سـتموت الفتـاة لقـد أخـذت الكثـير مـن الدمـاء زمجـرت ناردين في وجههـا بعنـف ولكنهـا سـحبت السـن مـن ذراع الفتـاة ووضعـت قطنـه صغـيرة وقالـت لهـا وهـي تنظـر لهـا نظـرة ناريـة :

- اضغطي بقوة يا امرأة ولا تقفين كالصنم .

أخـذت تضغـط بقـوة وهـي تدعـو الله في سرهـا ألا تصـاب الفتـاة بسـوء فهـي لم تكـن تقصـد أبـدًا ولم تكـن تريـد أذيتهـا، ولكنهـا لا تريـد أن يمـوت ابنهـا الوحيـد أيضًـا فليغفـر لهـا الله.

نظـرت إلى ناردين وكانـت تفعـل مـا فعلتـه مـع الفتـاة لأختهـا التـوأم وبنفـس الأنبـوب والسـن فصرخـت فزعًـا:

- غـيري السـن أرجـوك حتـى لا تصـاب الفتـاة بـأي مـرض ولكنها أخرسـتها بنظـرة ناريـة جعلتهـا تبتلـع الكلـمات في حلقها ..

أنهـت ناردين سـحب الدمـاء مـن الفتاتـين ونظـرت إلى حسـام الطفـل الـذي كان نائـمًا بجوارهـم واتجهـت إليـه وهنـا صرخـت عفـاف:

- لا إلا ولـدي حسـام لا تقـتربي منـه ..خـذي منـي مـا تريديـن ولكـن لا تقـتربي مـن ابنـي.

- ليـس باختيـارك ولـن انتظـر منـك الإذن يـا امـرأة لقـد جئـت بإرادتـك لطـب مسـاعدتي وأنـا وافقـت فلتبتلعـي لسـانك أفضـل لـك .

نظـرت لهـا بخـوف ورعـب وهـي ترفـع ذراع الطفـل أمـام عينيهـا وتربطـه بالربـاط الضاغـط صرخـت بلوعـة:

- لاااااااااااااااااااااا حسـاااااااااااام انتظـري سـأحضر لـك سرنجـة نظيفـة وخرجـت مـن الغرفـة كالمجنونـة لتحـضر السرنجـة ولكنهـا عـادت لتجـد ناديـن أنهـت عملهـا وازداد الصنـدوق بريقًـا واشـتعالًا وتركـت يـد الصبـي تنـزف دون أن تضغـط عـلى القطنـة لتكـون الجلطـة وتتوقـف الدمـاء عـن النـزف..

- ركضـت إلى ذراع ابنهـا وأخـذت تضغـط عليـه بقـوة وهـي تـصرخ :

- مـاذا فعلـت أيتهـا المجنونـة؟ إنـه ابنـي حسـام لمـاذا أذيتـه ؟ وهنـا لم تشـعر بنفسـها وهـي ترتفـع عاليًـا وتسـقط عـلى وجههـا وصـوت ناديـن القـوي يقـول :

- إيـاك أن تغلطـي مـرة أخـري فيَّ أيتهـا المـرأة و اعـرفي مـع مـن تتحدثـين وإلا أذيتـك أنـت وابنـك فـكل هـذا مـن أجـل أن تتركـه سـارة لابـد أن تفهمـي ذلـك جيـدًا ومـري عـلي غـدًا مسـاء لأعطيـك شـيئًا تعلقيـه في رقبـة الصبـي فلـن يقـترب منـه شـبح الفتـاة مـن جديـد.

وخرجـت في هـدوء تاركـة عفـاف تنظـر إلى الأطفـال وتبكـي فـماذا فعلـت لهـم حاولـت إيقاظهـم بقـوة ولكنهـم لم يسـتيقظوا فأخـذت تـصرخ وهـي تهزهـم بعنـف اسـتيقظوا بـالله عليكـم أنـا آسـفة.

اقتربت من صدورهم وسمعت دقات قلوبهم فتنهدت بارتياح قائلة لنفسها:

- إنهم مازالوا أحياء لابد أن اهدأ فهذا تأثير المنوم الذي وضعته لهم بالعصير غدًا سيستفيقون ويكون كل شيء بخير إن شاء الله وذهبت وتوضأت لتصلي ركعتين قضاء الحاجة وتدعو الله أن ينقذ الأطفال وألا يصابوا بالأذى..

****

في الصباح استيقظ الأطفال وهم يشعرون بالصداع والألم في أذرعتهما فأعدت لهم عفاف فطورًا وحليبًا وبيضًا وجبنًا وعسلًا محاولة أن تعوض الدماء التي فقدوها أمس وهنا رن جرس الباب وفتحت عفاف لتجد أختها أمام وجهها ودخلت تجري إلى بناتها تحتضنهم بقوة قائلة:

- لم أستطع أن أتغيب عنهم يا عفاف لقد كنت كالمجنونة أمس وتراودني الكوابيس . وهنا قالت إحدى الفتاتان بألم:

- أمي أشعر بألم في يدي هنا وهنا رفعت الأم يد ابنتها لتجدها زرقاء تمامًا مكان سحب العينة وهنا قالت الفتاة الأخرى:

- وأنا أيضًا يا أمي فرفعت سعاد ذراع ابنتها الأخرى لتجد نفس الزرقان فيبدو بأن أحدهم شك الفتاة بإبرة في هذا المكان لسحب عينة دماء فلقد حدث معهم هذا من قبل عندما طلب منهم الطبيب بعض التحاليل و ازرقت أيديهم بتلك الطريقة منذ شهرين ..فنظرت سعاد بغضب إلى أختها قائلة:

- ماذا فعلت ببناتي يا عفاف

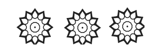
ردت بتوتر :

- لم أفعل شيئًا بهم يا سعاد

- لا أنتـي تكذبـين فلقـد فعلـت لهـم شـيئًا فأنـا أرى الكـذب في عينيـك

- اهدئـي يـا سـعاد فلـم أفعـل لهـم شـيئًا ربـما أذوا بعضهـم وهـم يلعبـون أمـس وأنـا أعـد طعـام العشـاء نظـرت لهـا أختهـا بغضـب ورفعـت ذراع حسـام الـذي كان أزرق مثلهـما تمامًـا ولكنـه يزيـد عنهـما بذلـك الوشـم المرسـوم عـلى ذراعـة لذلـك الكائـن الغريـب المرعـب فقالـت بغضـب:

- حتـى ابنـك لم يسـلم منـك يـا عفـاف فـماذا فعلـت لهـم أيتهـا المجنونـة ...نظـرت لهـا والدمـوع تتسـاقط مـن عينيهـا وأخـذت تنظـر إلى ذراع ابنهـا و إلى الوشـم الغريـب ولم تـرد فـماذا سـتقول لهـا؟ ولمـاذا تركـت أنـت أطفالـك مـن البدايـة عنـد أحـد والآن تحاسـبينها فمـن المخطـئ يـا صغـيرتي ؟



الفصل الحادي عشر

مجيدة

- هل هناك عريس قادم يا مجيدة..؟؟

- لماذا لم تخطب الفتاة إلى اليوم ...لقد كبر سنها ..يا أم مجيدة

- ربما كانت الفتاة ليست على ما يرام ... لماذا لم يتقدم أحد لطلب يد ابنتك وخطبتها.

- ربما كان عمل ...سحر أسود ...هو ما يمنع العرسان للتقدم لطلب يدها ..شيء غريب.

- لابد أن تتصرفي سريعًا يا كوثر وتساعدي ابنتك فلقد كبر سنها وأصبحت عانس ...

إنه شيخٌ واصل وسره كبير لن تندمي إن ذهبت إليه واستشرته صدقيني..

كانت كل تلك الكلمات تدور في رأسها وهي تجلس مع أمها عند ذلك الدجال..

الذي يدعي بأنها ملبوسة من أحد العاشقين من الجان ويمنع أي عريس يتقدم لطلب يدها...

فهو جن من النوع النمرود الذي يعشق وتعجبه أنثى البشر عن الأنثى من نوعه وعشيرته.

فيحب مرافقتها ومسها والعيش بداخلها...ومنع أحد من الاقتراب منها ..

هزت مجيدة رأسها أكثر لتركز مع الرجل وتبعد عنها كل تلك الذكريات والكلمات التي كانت تسمعها منذ أن أكملت عامها السادس عشر وها هي في السادس والعشرين من عمرها اليوم.

عشر سنوات وهي تسمع تلك الكلمات السخيفة ..وهمست لنفسها :

- لأركز قليلًا لأعرف من هذا الذي بداخلي ...النمرود..يا له من اسم..

وهنا سمعت الرجل يقول بصوت غريب:

-ابنتك ملبوسة ...ولن يتركها النمرود بسهولة ولابد من فك العمل وطرد الجني..

وهنا صرخت الأم برعب وهي تضرب صدرها بيديها:

-يا ويلي ملبوسة من الجان و عمل؟ فماذا سنفعل يا شيخ لفك العمل؟

أرجوك ساعدني، و خذ ما تريد من أموال...يا شيخ...

وهنا ابتسم الشيخ وشاهدت هي كل أسنانه الصفراء ..رأت المكر والخداع بعينيه ...

كان كذئب سينقض على فريسته في أي لحظة نعم ترى هذا في عينيه الماكرة..

كانت نظراته جريئة إليها وكأنه سيأكلها بعينيه ...

أرادت أن تتكلم تقول شيئًا ولكنها كانت عاجزة ...لا تقوى على الكلام ...

وكان هناك من أمسك لسانها ليمنعها من قول شيء..

حاولت النهوض والهروب من ذلك الدجال ...نعم دجال ونصاب وترى هذا في عينيه..

تشبثت بثياب أمها وحاولت تحذيرها، و لكنها سقطت على مقعدها فلم تعد قدماها تقوى على حملها ..

وهنا أجلستها الأم بهدوء قائلة:

اجلسي يا مجيدة يا ابنتي و اهدئي إلى أن ينتهي الشيخ من عمله...نظر لها الشيخ وأشار إلى الباب

طلب منها أن ترحل فلا يجب أن يرى أحد ما سيفعله وهو يخرج الجني... فهذا سر وكأنه سر من الأسرار السبعة المقدسة.

رحلت الأم وهي تدعو الله أن يفك عمل ابنتها وألا تصبح عانسًا، ويخرج الجني النمرود ويبحث عن أنثى من عالمه ويترك ابنتها مجيدة.

حاولت هي التشبث بثياب أمها ولكنها لم تستطع فلقد خارت قوها، فلقد بدأ مفعول المخدر الذي وضعه بالبخور يعمل...

وبعد دقائق سمعوا جميعًا الصراخ العالي وصوت تحطم الأشياء...وخرج الشيخ غارقًا في دمائه وإحدى يديه مقطوعة ويمسكها باليد الأخرى ويصرخ برعب :

- إنه بداخلها ..إنه بداخلها ولن يتركها مهما حاولتم

وبعدها سقط الرجل على الأرض مغشيًا عليه...صرخ كل

الموجوديـــن وفــروا هاربــين ..

إلا هي..

الأم أخذت تصرخ وتهز الشيخ متسائلة أين ابنتي أين مجيدة؟

وهنا فتح عينيه ليقول بذعر:

- لن يتركها الجني فلقد عشقها..

فصرخت في وجهه :

- من هو أيها الشيخ من ؟

- النمـرود ولـن يسـمح لأحـد بلمـس الفتـاة ...فلـن تتـزوج ابنتـك مهـما فعلـت وحاولـت يـا امـرأة ارحـلي مـن هنـا ولا تعـودي

و هنا خرجت الفتاة تسند على الجدار وهي تبكي برعب قائلة:

- لقـد حـاول هـذا الحقـير الاعتـداء عـلي يـا أمـي وهنـا سـقطت فاقــدة الوعــي اقتربــت الأم مسرعــة تــصرخ بلوعــة :

- ابنتـي مجيـدة مـاذا فعلـت بهـا أيهـا الحقـير ولكـن الفتـاة كانـت في عـالم أخـر منـذ ذلـك اليـوم ولم تسـتيقظ...

فماذا أفعل يا ابنة الدرويش وهل تستطيعين مساعدتي أرجوك؟

أنهـت المـرأة حديثهـا وقصـة ابنتهـا مجيـدة وهـي تبكـي بقهـر في منــزل الدرويــش بالشــقة الســفلية وأمــام ابنتــه.

« الدرويشــة» ناردين التــي قالــوا لهــا إنهــا ستســاعدها وتعيــد لهــا ابنتهــا مجيــدة...

نظـرت لهـا ناردين طويـلًا ولم تتكلـم بـل أخـذت تتمتـم ببعـض الكلـمات في كتـاب مفتـوح أمامهـا ولم تـرد عـلى المـرأة بكلمـة واحـدة.

كانـت هيئتهـا مخيفـة ومرعبـة تثـير الرعـب والتوتـر في النفـوس،

ولقد اتسعت عيناها بطريقة غريبة ربما بسبب ما تضعه حولها من كحل أسود كثيف جعلها غريبة مخيفة مختلفة لا تدري ؟

قالت المرأة برجاء:

- هل ستساعدينني بالله...ولم تكمل جملتها فلقد قاطعتها نادين بغضب وثورة وقلبت الطاولة من أمامها بعنف وهي تقول بصوت مخيف قوي :

-لا تذكري هذا الاسم ثانية هنا هل تفهمين ؟

عادت المرأة للوراء بخوف وقلق وهي تهمس لنفسها :

- ماذا فعلت في نفسي فلقد أخبروني بأن الدرويش أباها يخرج الجن بالرقية الشرعية والقرآن الكريم فماذا فعلت وماذا قلت ؟

نظرت لها نادين بغضب وكانت شفتاها العلوية تتحرك بطريقة غريبة للأعلى :

-لقد تزوجها الجني وحبسها في عالمه

- صرخت الأم بلوعة يا ويلي تزوجها وماذا سنفعل يا درويشة ساعديها أرجوك وأعيديها إليَّ

ـ لكي تساعدي ابنتك مجيدة ويخرج الجني ويطلقها ويتركها تعود لعالمها فلابد من تقديم القربان له ولتضحي بشيء من أجله.

- هل أذبح له ديكًا أسود

- ماذا تقولين أيتها الغبية ديك أسود، إن الجني الذي يلبس ابنتك يريد دماء بشرية نقية لأطفال صغار لم يبلغوا بعد الحلم هل تفهمين أضحية بشرية..

- مـاذا تقولـين هـل أذبـح طفـلًا لكـي تشـفى ابنتـي ويلتـف حبـل المشـنقة حـول رقبتـي و أعـدم بعدهـا

ــ لا لن تذبحيه أو تؤذيه بل سنأخذ منه القليل من الدماء ..

ــ ماذا تقولين أنا لا أفهم شيئًا؟

ـــ أحـضري صبيًـا صغـيرًا لا يتجـاوز عمـره التسـعة أعوام وسـوف آخـذ منـه القليـل مـن الدمـاء وسـأقدمها للجنـي كأضحيـة ليـترك ابنتك مجيـدة التـي حبسـها في عالمـه وتزوجهـا فلـن يتركهـا ..

نظـرت لهـا الأم بحـيرة، فكيـف تحـضر لهـا طفـلًا صغـيرًا فلـن تضحـي بابنـة ابنتهـا الصغـيرة التـي لم تتجـاوز الخمسـة أعـوام، فهـل تقـوم بخطـف طفـل مـن الشـارع ولكـن كيـف تحـضر طفـلًا صغـير لتخلـص ابنتهـا ممـا هـي فيـه؟؟

صرخت ناردين في وجهها قائلة :

ـــ ارحـلي و أحـضري الطفـل إلى هنـا أو أذهـب أنـا إليـه، ولكـن أحضريـه يـا امـرأة وإلا لـن تـري ابنتـك مـرة أخـرى سـتظل نائمـة في أوهامهـا وفي عـالم معشـقوها الـذي لـن يتركهـا حتـى تمـوت وتتعفـن جثتهـا هـل تفهمـين؟؟

خرجـت الأم وهـي تبكـي بحرقـة فـماذا سـتفعل في تلـك المصيبـة أتـترك ابنتهـا هكـذا إلى أن تمـوت لقـد لفـت عـلى الأطبـاء واحتـاروا في غيبوبتهـا وقالـوا: إنهـا غيبوبـة هسـتيريا بإرادتهـا هـي التـي لا تريـد الاسـتيقاظ.

ولفـت عـلى المشـايخ والسـحرة والدجالـين وجربـت كل شيء ولم ينفـع الأمـر إلى أن دلهـا أحدهـم عـلى ابنـة الدرويـش وقدراتهـا الخارقـة، ولكـن هـل ستسـتطيع تنفيـذ مـا تقـول تلـك المخبولـة؟؟

أن تحضر لها طفلًا صغيرًا لتأخذ منه بعض الدماء ولكن كيف ستفعلها يا ترى؟

وهنا قابلتها جارتها في الشارع لتقطع حبل أفكارها وكانت تمسك ابنها الصغير الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره في يديها فنظرت لها الأم ونظرت إلى الصبي الصغير فقالت المرأة:

-إلى أين تذهبين يا أم مجيدة وكيف حال الفتاة الآن ؟؟

- بخير الحمد لله، وأنت كيف حالك يا أم رامي؟؟

- بخير يا حبيبتي فأنا ذاهبة لأودي رامي للدرس مع حبيبة ابنة ابنتك فلقد أخبرتني ابنتك أن هذه المدرسة ممتازة وتستطيع توصيل المعلومة بسهولة للطفل وسأجربها فجميلة تأخذ عندها.

وهنا أتت فكرة شيطانية للأم وهي تنظر إلى رامى وهو يأكل الحلوى ..فقالت :

- سأذهب معك فأنا كنت ذاهبة إليها ؟؟

فهتفت المرأة بحماس :

- حقًّا يا أم مجيدة

- نعم لقد كنت في طريقي إليها، وأنت إلى أين كنتِ ذاهبة غير الدرس ؟

ـ كنت سأذهب للسوق ..

- اذهبي أنت يا أم رامي و اتركي رامي سوف أخذه الدرس وبعدها سوف أحضره معي إلى منزلك.

- هل تقولين الصدق يا أم مجيدة بارك الله فيك يا أختي فأنا كنت أريد التسوق قبل أن تستيقظ ابنتي الصغيرة.

خذيه وهنا تركت الأم ابنها الصغير لجارتها ورحلت مسرعة قبل أن ترجع في رأيها ..

ولكن أتثقين في أحد تلك الأيام يا عزيزتي وفي هذا الزمن الذي أصبحت الأم تقتل أطفالها من أجل زوجها والأب يغتصب ابنته واستحل الجميع كل شيء فاتقوا الله في أطفالكم وأولادكم ولا تتركوهم لأحد.

فهم أمانه سوف تحاسبون عليها يوم القيامة عندما تقفون أمام رب العرش رب العالمين وتسألون ؟؟

فليس لهم ذنب في كونكم تريدون الاستمتاع بوقتكم وتسريبهم إلى أحد؟؟

أخذت أم مجيدة الصبي وذهبت لمحل لبيع الحلويات واشترت له الكثير من الحلويات قائلة:

- خذ يا رامي يا بني كل يا حبيبي، فرح الصبي كثيرًا بالحلوى والكيس الكبير المتلئ بأنواع كثيرة من العصائر والحلويات وأخذه بفرح وهو يشكر المرأة بسعادة فكل هذه الأشياء له فقال بفرح:

- هل كل هذا من أجلي يا طنط أم مجيدة ؟

-نعم يا بني كله لك وسوف أشتري لك كيسًا آخر إذا فعلت ما أريد

- وماذا تريدين مني؟

-سوف تذهب معي إلى مشوار ولكن لا تخبر أحدًا فهو سر بيننا وسوف أعطيك كل يوم كيس مليء بالحلوى

ـــ حقًّا يا طنط أم مجيدة ما تقولون.

- نعم يا رامي ولكن عدني بألا تخبر أحدًا عن مشوارنا اتفقنا.

- أعـدك، أيـن سـنذهب؟ ومـاذا تريديـن منـي ولـن أخـبر أحـدًا بالأمـر مهـما حصـل ؟

- عـدني يـا رامـي وإلا سـوف أحرقـك بالنـار إن تكلمـت وهنـا نظـر لهـا الصبـي بفـزع و رعـب وكاد أن يبكـي ولكنـه أمسـك دموعـه ولم يتكلـم فلـم يكـن معـه أحـد ليحتمـي بـه حتـى أمـه لا يـدري أيـن ذهبـت.؟؟

****

في منزل الدرويش

قالت ناردين بسخرية:

ـ لقد أحضرتي ما طلبته منك بسرعة ..

ـــ نعـم مـن أجـل مجيـدة ولكـن لا تـؤذي الصبـي لقـد وعدتنـي بأخـذ القليـل مـن الدمـاء ولـن تؤذيـه.

نظـر الصبـي بفـزع إلى تلـك المـرأة التـي تشـبه السـاحرات الشريـرات في الكرتـون كان خائفًـا منهـا ويبكـي بعنـف لم تلتفـت لـه ناردیـن وحاولـت أم مجيـدة أن تهدئـه وهـي ترفـع لـه ملابسـه ...

ووضعت ناردين الصندوق الأسود أمام الصبي ...

****

كانـت جليلـة تقـف خـارج بـاب الشـقة وتـرى الأضـواء الخضـراء التـي تنبعـث مـن أسـفل بـاب الشـقة وصرخـة الطفـل تصـم آذانهـا فوضعـت أصابعهـا عـلى أذنيهـا بعنـف حتـى لا تسـمع صراخـه الـذي كان يعذبهـا.

هـــي ترفــض كل مـــا يحــدث أمامهـــا ولكنهـــا لا تســـتطيع منعـــه أو التصــدي لناردـيــن بعــد أن فتحــت الصنــدوق وأثــر عليهــا الجنــي وجعلهــا تســاعده هـــي تعــرف كل شيء، نعــم هـــي خرســـاء ولكنهـــا مازالـــت تـــرى وتســمع، هـــي خرســـاء بإرادتهـــا ولكنهـــم أغبيـــاء ولا يعرفــون شــيئًا ولا مــا ســيحدث لهــم إن امتــلأ ذلــك الصنــدوق ونفــذت مـــا يريـــده الجنـــي ؟

هـــي لا تعــرف كيــف ستســيل الدمــاء بحــارًا ...فلــن يكتفــي ولــن يمنعــه أحــد أو أن يتصــدى لــه ؟

فكــرت في إخبــار نيرمــين ولكــن بــماذا ســوف تخبرهــا ولكنهــا لابــد أن تأخــذ حذرهــا ..؟؟

فإن أكملت ناردين ما تفعل لن تكون نيرمين بخير أبدًا ؟

فهــل ترســل لهــا رســالتها في تلــك البلــد التــي ســافرت إليهــا أم تنتظــر؟

ولكــن إلى متــى تنتظــر فناردـيــن أوشــكت عــلى مــلء الصنــدوق فهـــي زكيــة وتعــرف كيــف تتــصرف وتحــضر الدمــاء التــي يريدهــا ؟



الفصل الثاني عشر
هاشم وجنية البئر

ـ مدد يا أم هاشم مدد..

لقد أخذتك يا ولدي إلى مقام الطاهرة أم هاشم لعلها تشفيك وتزيح عنك ما أنت فيه ...

اجلس يا ولدي وخد البركة من المقام وستصبح بخير إن شاء الله ببركة المقام .

فجلس الشاب بلامبالاة على الأرض وهو في عالم آخر لا يدري ماذا تفعل أمه أو تقول؟

وهنا نظرت لها سيدة بدينة كانت تقف بجوارها في المقام قائلة:

ـ ماذا به يا أختي فيبدو بأنكم جئتم من مكان بعيد..

نظرت لها المرأة بقهر ثم بدأت تبكي وهي تقص قصتها قائلة:

ـ إنه هاشم ولدي ربي يشفيه ويجعل على يديها الشفاء ...مدد يا أم هاشم مدد

ـ وماذا به هل هو مريض؟؟

نظرت لها الأم البسيطة التي كانت ترتدي جلبابًا بسيطًا واسعًا،

وتلف الطرحة على رأسها فيبدو أنها أتت من الأرياف ومن مكان بعيد فهيئتها ولبسها وطريقة كلامها تدل على ذلك..

بدأت تقص قصتها قائلة :

ــ لا أدري ماذا حدث لابني يا أختي فلقد كان زينة شباب القرية وأحسن شبابها ويعمل بمحل البقالة التي فتح له أسفل الدار فلقد رفض العمل بالأرض والزراعة مع أبيه .

كان كل شيء بخير وكان يحب ابنة خالته وخطبناها له وكنا نحضر للعرس وكان الجميع سعيدًا إلى أن نادته هي...

ــ من هي يا أم هاشم ..؟؟

ــ إنها النداهة يا أختي؟؟

ــ النداهة ماذا تقولين يا امرأة وهل هي حقيقة كنا نعتقد بأنها خرافة قديمة ؟؟

ــ لا ليست خرافة فهي موجودة عندنا بالقرية بجوار البئر القديم ..

يومها كان هاشم ذاهب لإحضار ملابس جديدة من المدينة للعرس ولقد حذرته بألا يمر بجوار البئر القديم.

فكل أم بالقرية تمنع أولادها المرور بجوار البئر ليلًا ولا حتى نهارًا ولكنها تخرج ليلًا لتنادي على الصبية والرجال.

لتقتلهم ولكن إن أعجباها رجل لبسته وغيرت حاله وجعلته يحيا في عالم آخر ولا يرى أي شيء بالكون سواها، إنها النداهة...

يومها تأخر الوقت بهاشم ومر بجوار البئر القديم ولم يجده أحد بالقرية لمدة يومين بحثنا عنه في كل مكان حتى وجدوه فاقد

الوعـي بجـوار البئـر فـلا أحـد يعـرف مـاذا حـدث لـه؟ وأيـن كان تلـك الفـترة التـي اختفـى فيهـا؟

وبعـد أن اسـتفاق هكـذا أصبحـت حالتـه لا يـدري شـيئًا عـن الدنيا يحيـا في عـالم آخـر ولا يتكلـم

- قاطعتها المرأة قائلة:

- ولماذا لم تذهبوا به إلى الطبيب أفضل وتعرفوا ما به ؟؟

- لقـد لفينـا عـلى الأطبـاء وقالـوا أنـه ليـس بـه شيء وجسـمه سـليم وصحتـه جيـدة وحتـى السـحرة والشـيوخ ذهبنـا إليهـم ولم يسـتطع أن يفعـل أحـد شـيئًا لولـدي فتركتـه خطيبتـه وتزوجـت وهكـذا هـو عـلى تلـك الحالـة مـن سنين ولا أعـرف مـاذا بـه فيخـرج ليـلًا ليذهـب للبئـر ويجلـس هنـاك ولا يعـود إلا صباحًـا

- ولماذا لم تحبسيه بالبيت وتمنعيه

ـ ابتسمت بقهر وهي تقول:

- لقـد فعلـت يـا أختـي ولكنـي كنـت أجـده عائـدًا صباحًـا ولا أدري كيـف خـرج وفـك الحبـال التـي كنـت ربطتهـا بـه وهـو نائـم ؟

-ربي يشفيه ويزيح عنه، يبدو بأنك عانيت كثيرًا يا أختي ..

- عانيـت حتـى المـوت يـا أختـي ولا يعلـم أحـد بحـالي غـير الله وحـده هـو القـادر عـلى كل شيء.

- هـل أدلـك عـلى درويشـة ستشـفي ابنـك فهـي قـادرة كأبيهـا الدرويـش فلقـد صعـب عـليَّ حالـك يـا أم هاشـم

- وهل ستستطيع مساعدتي ؟؟؟

- نعم ستساعدك فهي قادرة لقد جعلت ابنتي مجيدة تستفيق من غيبوبتها التي كانت فيها لسنين

ـ هل تقولين الصدق يا أم مجيدة؟؟

- نعم يا أختي أقول الصدق فلقد صعب على الفتى وحاله وهو في ريعان الشباب .

- وأين هي ومكانها وهل ستأخذ مني الكثير من الأموال فأنا لا أملك إلا منزلي ومحل البقالة التي أعمل فيه مكان هاشم بعد أن باع أبوه الأرض لنصرفها على علاجه ومات زوجي قهرًا ولم يشفَ ابني هاشم أو يتكلم.

فليس لنا غيره فهو وحيد على ثلاث فتيات تزوجن جميعًا

- لا تقلقي لن تأخذ منك قرشًا واحدًا.

- ربي يخليك يا أم مجيدة فلقد أرسلك الله لي نجدة من السماء ...

وكان هو يستمع إلى كلامهما فلقد أبعدته أمه عنها اليوم فعاد ليتذكرها هي وذلك اليوم الذي تزوجها فيه..

كان يمر يومها بجوار البئر القديم كان الظلام شديدًا، والليلة شديدة السواد فلم يكن بالسماء نجوم أو قمر لتنير تلك العتمة ولقد اتخذ الطريق المختصر ليصل للبيت سريعًا فلقد فصل شاحنه وكان يريد أن يتحدث مع خطيبته وحبيبته ...فكان يريد الوصول سريعًا إلى المنزل ...

فسمع من يهمس باسمه ..هاشم ...التفت يمينًا ويسارًا باحثًا عن مصدر الصوت فلم يجد شيئًا.

فأكمل طريقه عائدًا ولكن ضحكة أنثوية عالية جعلته يتوقف وتتسمر قدماه بالأرض فمن هي صاحبتها يا ترى؟

أخذ عقلة يتساءل وخرج السؤال إلي لسانه فقال بصوت متوتر مبحوح :

ــ من هناك من ينادي؟؟

ــ هاشممممممممممممممممم

لم يسمع إلا صوتها وهي تردد اسمه بهيام ...أخذ يسأل ولكنها لم ترد عليه ..حاول إكمال طريقه دون جدوى فصدى صوتها ظل يتردد بأذنه فجعله يتوقف فقال بتردد:

ـ من هناك ومن أنتِ...؟؟

ــ أنا قدرك يا هاشم وأنت قدري؟؟

ــ ماذا تقصدين ؟؟

ــ إنك لي ما حييت وأنا لك ...تعالَ يا هاشم أنا هنا أنتظرك.

ـــ كان صوتها عذبًا وساحرًا أخذ يسير كالمنوم مغناطيسيًا لا يدري إلى أين يذهب ولا أين يقوده صوتها ولكنه كان متأكدًا أنها ستأخذه إلى الجنة ...

كان صوتها يقوده إلى البئر القديم وهنا وجد نفسه أمامه وكان صوتها يخرج من داخل البئر نظر بحيرة قائلًا:

ــ هل أنت هنا بداخل البئر ؟؟؟

ــ نعم هنا تعالَ ...

لم يتردد أو يفكر لحظة واحدة بل قفز إلى داخل البئر إلى صاحبة أعذب صوت سمعه في حياته إليها هي...

وبعدهـا لا يتذكـر شـيئًا ولا مـا حـدث هنـاك ...ولكنـه كان يعلـم بأنـه كان بالجنـة والنعيـم

****

في الشقة السفلية

كان هـو يجلـس في عـالم آخـر لا يفهـم مـاذا يفعلـون بـه وكانـت الأم تبكـي بلوعـة وجلسـت ناردين تقـرأ في كتـاب أمامهـا بصـوت عـالٍ ولغـة غريبـة غـير مفهومـة للجالسـين ..

وبعدها قالت للأم :

ــ لقد تزوجها ابنك يومها ولن تتركه.

ــ ماذا تقولين يا درويشه؟؟

ـــ ألا تسـمعين مـا أقولـه لـك لقـد تزوجهـا ابنـك يومهـا بالبئـر فلقـد أعجابهـا الشـاب ولـن تتركـه يحيـا بسـلام بعيـدًا عنهـا مهـما فعلـت وحاولـت .

ــ ومن هي تلك التي تزوجها هاشم بدون علمي؟؟

ـــ إنهـا « سـامنيجيتا» الجنيـة التـي تعيـش بالبئـر ...وهـي مـن أقوى عشـائر الجـن مـن الجـن الأحمـر.

وهنا صرخت الأم بلوعة قائلة:

ـــ تـزوج ابنـي جنيـة يـا مصيبتـي، إنـه يحـب ابنـة خالتـه وكان سـيتزوج قريبًـا فـماذا فعلـت ليحـدث لي ذلـك ؟

ـــ لقـد أعجبهـا الفتـى ولـن تتركـه مهـما فعلتـم فهـو لهـا ...إمـا أن تأخذيـه إليهـا وتلقيـه بالبئـر أو تقدمـين لهـا الأضحيـة للـترك ابنـك وحالـه فـماذا تختاريـن ؟؟

- يا مصيبتي أتركه لها ماذا تقولين؟ سأفعل ما تريدين حتى و إن ذبحت نفسي من أجل هاشم ولدي الوحيد..

- لا لن يعجبها دمك ...فالتفتت المرأة إلى ابنها ثم إلى ناردين ثم قالت:

- اطلبي ما تشاءين فلن أرفض من أجل هاشم...ومن أجل أن يشفى..

****

وقفت جليلة خارج الغرفة تشعر بالفزع والتوتر فلقد أوشك الصندوق على الامتلاء وماذا بعد أن يحقق ما يريده؟؟

هل سيكون مصيرها كمصير أخيها درويش هي لا تنسى ذلك اليوم أبدًا ولا يمحا من ذاكراتها مهما حاولت .

لا تنكر بأنها سعيدة بما حدث لدرويش أخيها فهو يستحق ولكنها لا تتمنى نفس المصير الأسود أن تشنق حية وتصفى دمائها حتى الموت.

نعم لقد رأت ما حدث يومها وتعرف الحقيقة ..

تعرف أن درويش رفض تنفيذ ما يريده ورفض أن يحضر له الدماء فلم يعجبه الأمر فقام بقتل أخيها وصفى دماءه، لقد امتلأ الصندوق أمامها ولكنه كان غاضبًا فلم تعجبه الدماء فلقد كانت دماء أخيها قذرة هي تعرف ذلك .

وقتها أمرها أن تفعلها لم تستطع ولكنها كانت مجبرة لقد دفنته ووارت جسده كما أمرها.

فماذا كانت ستفعل غير طاعته ولكنها لا تتذكر شيئًا بعدها ماذا حدث وماذا فعل بها فلقد سقطت

فاقدة الوعي.

همست لنفسها :

ـــ ولكن لا يهم ما حدث الأهم الآن ما سيحدث فماذا سيفعل بها بعد أن تنفذ له ناردين ما يريد وماذا عن نيرمين هل سيتركها أم سيتخلص منها كما فعل مع والدها ؟

لا تهمني ناردين فهي تستحق الحرق، ولكن نيرمين لا تستحق ما سيحدث لها أبدًا فكيف أحذرها فلابد من أن تمنع ناردين من إكمال ما بدأت فلقد أوشكت على الانتهاء وإملاء الصندوق فلقد أصبحت مشهورة بالمنطقة ولقبها أهل الحارة بالدرويشه لأنها تستطع علاجهم ومساعدتهم على التغلب على ما هم فيه ..

فهي تستطيع فك السحر وعلاج المسحور والمحسود والمربوط وحتى العانس تستطيع أن تجلب لها عريسًا وتفك نحسها والتي تريد الإنجاب استطاعت أن تجعلها تحمل ...

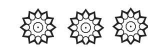
فلقد اشتهرت بالحارة والحارات المجاورة وربما بالمنطقة كلها بقدرتها الفائقة والسحرية فهي تستطيع التحكم في النار والماء وحتى التراب والمعدن فلم يعد شيء يقف في وجهها أبدًا أو يعوقها..

لقد أعطاها الكثير من القوة والسلطة لتنفذ ما يريده ..فلقد أصبح أهل الحارة يخافون منها ويهابونها بشدة ويخافون من ذكر اسمها في بيوتهم فلا أحد يجرؤ أن يرفض لها طلبًا ...وهنا قطع حبل أفكارها صوتها البغيض وهي تقول لها بقسوة:

- أعرف فيما تفكرين أيتها الخرساء ولكني أحذرك من فعلها و إلا كان أخر يوم لك في الحياة هل تفهمين؟

لم ترد جليلة وكيف ترد وهي خرساء لا تتكلم؟

ولكنها شعرت بتوتر فلقد تغير صوت ناردين بطريقة مخيفة وأصبح خشن وكأن رجلًا يتكلم وليست هي أبدًا فهل احتل جسدها ؟



الفصل الثالث عشر

الجن

كانت تجلس في غرفتها ممدة على الفراش تقرأ في أحد الكتب باهتمام فلم تنتبه إليها وهي تفتح باب الغرفة ببطء وتتوارى خلف ذلك المقعد الضخم ...

فلقد كان الكتاب يشغل تفكيرها هي لا تدري لماذا اشترته من ذلك البائع بالقاهرة بمحطة رمسيس ولكن جذبها العنوان فاشترته فلم يكن ثمنه غاليًا بل كان بعشرة جنيهات.

اشترته وهي تعتقد أنه ربما أفادها وقتل وقت الفراغ الذي ستلاقيه في غنيا بتلك البعثة الوقائية فلقد كان الكتاب يتحدث عن الجن وحياتهم وأنواعهم فلقد كان كلام جدتها عن عمار المنزل والجن الذين يحاربهم والدها جعلها تشعر بالفضول لمعرفة المزيد عن هذا العالم الغامض وأسراره فهل حقًّا يحاربهم والدها وجدها وهل يستطيع إنسان أن يفعل أم أن الجدة كانت تخرف ولكنه الفضول وبالرغم أنها لا تحب تلك النوعية من الكتب ولكن الكتاب أغراها بعنوانه « تعرف على عالم الجن وأسراره» فكان الكتاب عبارة عن سؤال وجواب كانت كل الأسئلة التي تدور بعقلها تقريبًا عن تلك المخلوقات التي خلقها الله من السنة النبوية والقرآن الكريم

ففتحت الكتاب وهي ممدة على الفراش وأخذت تقرأ بفضول فقرأت السؤال الأول :

ـ من الجن وما أصنافهم ؟

« هي مخلوقات خارقة للطبيعة هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة لها عقول وفهم وقدرة على الأعمال الشاقة «

وهنا تغير كل شيء من حولها مرة واحدة عندما انتهت من السؤال الأول وأول ثلاثة أسطر من الكتاب وشعرت بالبرودة الشديدة تسري بأوصالها شعرت بالاختناق وكان هناك من يجسم على أنفاسها فيحاول قتلها وهبت رياح مكتومة معبئة برائحة نفاذة كرائحة النشادر.

وهنا وضعت يدها على أنفها وحاولت أن تمنع عطسة قوية ولكنها لم تستطع فخرجت منها مصدرة صوتًا قويًا عاليًا وأغمضت عينيها وحاولت الاستنشاق بهدوء ولكن العطسات أخذت في التوالي واحدة تلو الأخرى بدون توقف وبعد الانتهاء وضعت الكتاب على بطنها واستلقت على الفراش وأغمضت عينيها دقيقة وهنا شعرت بمن يجذبها من أقدامها بقوة وتلك الخربشة الخفيفة التي تسمعها، أتأتي من أسفل الفراش أم من داخله؟ هبت مفزوعة وهي تنظر إلى فراشها بتوتر وهنا لم تجد شيئًا فاقتربت ببطء شديد من الفراش ورفعت الغطاء لمحاولة رؤية من أسفله وهنا شاهدت تلك العيون الحمراء تنظر لها بتحفز وفي تلك اللحظة أطلقت الفتاة صرخة عالية وسقطت فاقدة الوعي ..

استيقظت على صوته الهادئ الوقور وهو يقول برصانة :

ــ هيا يا نيرمين افتحي عينيك فأنت بأمان الآن يا ابنتي فلا

تخـافي شـيئًا إلا الله الواحـد القهـار خالـق الإنـس والجـان وكل شيء يحـدث بالكـون بأمـره وعظمتـه وحـده لا إلـه إلا هـو سـبحانه رب العـرش ورب الأرض وخالقهـا ورب كل شيء بالكـون.

فتحـت عينيهـا لتجـده هـو أمامهـا بوجهـه المنـير ولحيتـه الطويلـة البيضـاء وكان يبتسـم لهـا ففتحـت فمهـا لتتكلـم ولكنهـا التفتـت حولهـا يمينًـا ويسـارًا فوجدتهـم يحيطـون بهـا مـن كل جانـب بعيونهـم الحمـراء الدمويـة ووجوههـم السـوداء الغريبـة المسـتطيلة طوليًـا وآذانهـم الطويلة وتلـك القـرون الطويلـة المنحنيـة كالقـوس عـلى رؤوسـهم شـعرت بالتوتـر والفـزع حاولـت الـصراخ ثـم الفـرار مـن هـذا المكان الغريـب مـن حولهـا ولكنـه وضـع يـده عـلى فمهـا ليمنعهـا مـن الـصراخ مهدئًـا :

ــ اهدئـي لـن يـؤذوك مادمـت لم تـؤذي أحـدًا منهـم وتتدخـلي في شـئونهم يـا ابنتـي اهدئـي واسـتعيني بـالله عـلى القضـاء عليهـم فهـم يعيشـون حولنـا ولا يضرونـا ولا نضرهـم في شيء.

ــ قالـت بتوتـر ومـن بـين دموعهـا ولمـاذا أتدخـل في أمورهـم أيهـا الشـيخ ومـالي أنـا وماهـم هـم وعالمهـم فلهـم عالمهـم ولي عالمـي ولكنهـم يضايقـوني و أراهـم باسـتمرار في أحلامـي فأشـعر بالخـوف ولا أدري مـاذا يريـدون منـي ؟؟

ــ ابتسم الشيخ بغضب :

ــ إن كان كلامـك صحيحًـا فلـما تقرأيـن في ذلـك الكتـاب عنهـم وتتدخلـين فيـما لا يعنيـك يـا فتـاة ؟؟

ــ قالـت بتوتـر لا أيهـا الشـيخ ولكنـي أريـد أن أعـرف عنهـم كل شيء فهـل هـم حقيقـة أم وهـم؟ وهـل حقًـا موجـودون حولنـا أم أنهـم مجـرد أوهـام في رؤوسـنا ؟

رد بصوت قوي فشعرت بأن المكان من حولها يهتز بقوة قائلًا:

- إن الجـن ليسـوا وهمًـا يـا فتـاة فهـم مخلوقـات خلقهـا الله، مخلوقـات خارقـة للطبيعـة هوائيـة قـادرة عـلى التشـكل بأشـكال مختلفـة وعديـدة لهـا عقـول وفهـم وقـدرة عـلى الأعـمال الشـاقة التـي لا يسـتطيع الإنـسي عملهـا لضعفـه وهـم خـلاف الإنـس فالواحـد يقـال لـه «جنـي» وسـميت بذلـك لأنهـا تتخفـى ولا ترى..وهـذا رحمـة مـن الله بنـا لمناظرهـم وهيئتهـم المرعبـة نظـرت لـه بعيـون واسـعة متوتـرة وهـي تسـمع مـا يقـول فأكمـل هـو وهـو ينظـر إلى عيونهـا البنيـة الواسـعة المذعـورة :

ـــ والجـن ثـلاث أصنـاف يـا ابنتـي فمنهم مـن لهـم أجنحـة يطيرون بهـا في الهـواء، وصنـف آخـر حيـات، وصنـف ثالـث يحلـون ويظعنـون كـما أن نبينـا محمـد صـلى الله عليـه وسـلم مبعـوث إلى الجـن كـما هـو مبعـوث إلى الإنـس يـا فتـاة لابـد أن تعـرفي ذلـك جيـدًا فهـم كيانـات ومخلوقـات ستحاسـب كـما سيحاسـب البـشر يـوم القيامـة.

نظـرت لـه نيرمـين بتعجـب شـديد وهـزت رأسـها بقـوة وهـي تقـول :

- وهـل لتلـك المخلوقـات قـوة خارقـة حقًّـا ويسـتطيعون فعـل أي شيء أيهـا الشـيخ الجليـل ؟؟

ابتسم الشيخ قائلًا بصوت قوي :

- يعتقـد النـاس أن للجـن قـوى خارقـة يـا نيرمـين و أن الجـن باسـتطاعتها رؤيـة النـاس وإلحـاق الأذى بهـم، وأن أجسـام الجـن غـير ماديـة وقـادرة عـلى التشـكل بالشـكل الـذي تريـده والعـالم الـذي نـراه ونعيشـه فيـه ونحيـا فيـه الغريـب والعجيـب فكيـف بالعـالم الخفـي عـن

العيـون يـا فتـاة والـذي لا يسـتطيعون رؤيتـه فلابـد أن تكـن هنـاك الكثـير مـن القصـص المرعبـة التـي تختلقهـا العقـول لتفسـير أي شيء غريـب ويقولـون إنـه مـن عمـل الجـن .

نظـرت لـه بتوتـر فكلامـه غريـب فهـل الجـن وهـمٌ و تخيـل في عقـول البـشر؟ وهنـا نظـرت إليهـم وكانـوا يحومـون ويطوفـون مـن حولهـا فـإن كانـوا وهمًـا فمـن هـؤلاء؟ وكيـف تراهـم ويثـيرون الفـزع في نفسـها؟ فقالـت بخـوف:

– ولكـن هـل يسـتطع الجـن أذيـة الإنسـان أيهـا الشـيخ؟ قـل لي مـن فضلـك هـل هـم مـن اخـذوا أبي إلي عالمهـم ؟؟

– اسـتمعي لي يـا نيرمـين جيـدًا وافهمـي كلامـي، إن الإنسـان عرضـة للأخطـار والأمـراض الكثـيرة والغريبـة التـي ليـس لهـا عـلاج مثـل الأمـراض النفسـية وأمـراض الـصرع الغريبـة التـي تصيـب بعـض النـاس و كلهـا مـن فعـل عـالم الجـن والشـياطين فبعـد النـاس عـن طاعـة ربهـم ومـا أمرهـم بـه جعـل الجـن يؤثـرون فيهـم ويجعلونهـم يعيشـون في الوهـم

– أنـا لا افهـم مـا تقـول أيهـا الشـيخ فكلامـك معنـاه بـأن الجـن لا يسـتطيعون إذاء الإنسـان إن كان يعبـد الله ويتقـرب منـه بالصـلاة والعبـادة. فهـل الأرواح والشـياطين هـى التـي تـؤذي الإنسـان وتجعلـه يفعـل مـا لا يريـد ؟

– الشـياطين عـالم آخـر ومختلـف تمامًـا عـن عـالم الجـن. فالشـياطين هـي الأرواح المحتجبـة عـن عيـون البـشر وهـو عـالم مختلـف عـن الجـن يـا فتـاة

نظـرت لـه بفـزع وهـي تسـأله بتوتـر وهـل هنـاك فـرق بـين الجـن والشـيطان أيهـا الشـيخ كنـت اعتقـد بأنهـم شـيئًا واحـدا!

ـــ لا لا يـا نيرمـين يـا ابنتـي فالجـن ليسـت شـياطين لكـن الشـياطين فئـة خاصـة مـن الجـن تعـصي الله وتوسـوس للنـاس لفعـل المعـاصي والذنـوب فهـم قـوم مكلفـون مثـل البـشر تمامًـا ومتشـابهون يـا نيرمـين.

ـــ رددت نيرمـين متشـابهون ومـا هـو التشـابه بـين الجـن والإنـس أيهـا الشـيخ ؟؟

- ابتسـم الشـيخ لـذكاء الفتـاة قائـلًا الجـن خلـق آخـر غـير الإنـس يـا نيرمـين وغـير الملائكـة والأرواح و الشـياطين وبـين الجـن والإنـس قـدر مشـترك مـن حيـث الاتصـاف بصفـة العقـل والإرادة ومـن حيـث القـدرة عـلى اختيـار طريـق الـشر والخـير، ومـن حيـث التكليـف بالعبـادة والعقـاب مـن الله يـوم الحسـاب

ـــ وهنـا تذكـرت كلام جدتهـا عـن أبيهـا ومهنتـه الغريبـة التـي توارثهـا كـما قالـت مـن دراويـش العائلـة فقالـت قـل لي أيهـا الشـيخ وهـل يسـتطع البـشر رؤيـة الجـن وتسـخيرهم حقًّـا لفعـل مـا يريـدون؟

ـــ ابتسـم قائـلًا: إن كثـير مـن البـشر ممـن يراهـم ويسـمعهم لا يعلمـون أنهـم جـن في الأسـاس بـل يزعمـون أنهـم رجـال آخـرون مـن عـوالم مختلفـة أو أماكـن بعيـدة وربـما اتخـذوا هيئـة حيوانـات كالقطـط والـكلاب السـوداء والحـشرات وعـدم رؤيتهـم ليـس غريبًـا فـلا يـرى الإنسـان كل شيء بالكـون مـن حولـه، فعينـاه لـن تتحمـل رؤيتهـم فربـما أصابـه العمـى إن رآهـم مـن يـدري فلـن يتحمـل؟

ـــ ولكـن قـل لي ممـا خُلِـق الجـن؟ و أيـن منشـأهم؟ أنـا لا أعـرف، فهـل لهـم مـكان أصـلي نشـئوا فيـه أيهـا الشـيخ أخـبرني بـالله عليـك ؟؟

ـــ لا أدري يــا نيرمــين ولكــن يقــال إن الله خلــق الجــن مــن النــار وأول الجــان هــو أبوهــم ســوميا « الــذي دعــا للجــن أن يكونــوا مرئيــين في الأرض وأســكنهم الله الأرض قبــل خلــق آدم وحينــما أســكنهم الله الأرض أفسـدوا فيهـا وسـفكوا دمـاء بعضهـم فأرسـل الله لهـم الملائكـة، وقـضى عليهـم، وأخـذوا معهـم إبليـس إلى السـماوات العـلا فصـار مثـل الملائكـة يعبـد الله ويطيـع أوامـره ويبتعـد عـن نواهيـه، ولكـن بقـى عـلى الأرض قسـماً مـن الجـن، هربـوا إلى المغـارات وأعـالي الجبـال و في أسـفل البحـار والمحيطـات واتخـذوا بعـض المواقـع التـي يتكاثـرون فيهـا ويعيشـون، ولمـا هبـط الإنسـان عـلى الأرض تطـور وصنـع الغواصـات والطائــرات والســفن، وجــاب الأرض وانتقــل مــن مشــارقها إلى مغاربهـا، وبـدأ يشـكل خطـرًا عـلى وجـود الجـن لمـا انتقـل إلى مواقعهـم، فأهابـوه وأفزعـوه وتسـببوا في مرضـه بأمـراض غريبـة لم يسـمع أحـد مــن قبــل عنهــا و أصــل خلقهــم مــن النــار ..لقــد خلقــوا مــن النــار ولهــم أنــواع عديــدة.

ـــ هـل معنـى كلامـك أنهـم سـبب تلـك الأمـراض الكثـيرة التـي انتـشرت في عالمنـا وليـس لهـا عـلاج أيهـا الشـيخ؟

ـــ الله ورسـوله أعلـم يـا فتـاة فلـكل شيء حكمـه وسـببه بالكـون ولا يعرفـه إلا خالـق الكـون .

ـ وهل لهم أنواع؟ وما أنواعهم؟ فهل هي مفزعة أيها الشيخ؟

ـــ أنواعهـم كثـيرة يـا فتـاة فمنهـم الجـن ومفردهـا جني....عامـر وجمعهـا عمّار....شـيطان وجمعهـا شـياطين....مارد وجمعهـا مـردة... عفريـت والجمـع عفاريـت والقريـن.

ـــ ولكـن هـل يأكلـون ويشربـون أيهـا الشـيخ مثلنـا نحـن البـشر؟

و إن كانـوا يأكلـون، فهـل طعامهـم نحـن هـل يأكلـون البـشر ليعيشـوا كـما أراهـم في التلفـاز ؟

ضحـك الشـيخ كثـيرا واهتـز كل شيء بعنـف مـن أثـر ضحكتـه وقـال لهـا :

ـــ ليـس كل مـا ترينـه عـلى شاشـة التلفـاز حقيقـة يـا فتـاة إنهـم يبالغـون، فكيـف سـيأكل الجنـي البـشر يـأكل الجـن الـروث والعظـام كـما أن في جلسـات تحضـير الجـن يكـون البخـور الغـذاء الأسـاسي وأنـواع معينـة مـن البخـور يتغـذى عليهـا الجـن .

ـــ وهـل يسـتطيعون التـزاوج مـن البـشر أيهـا الشـيخ الجليـل وإنجـاب ذريـة وأطفـال ؟

ـــ للأسـف يسـتطيعون يـا نيرمـين حفظـك الله فـإن بعـض الجـن يتصـور للإنـسي في صـورة امـرأة ثـم يجامعهـا الإنـسي، وكـذا يتصـور الجنـي بصـورة رجـل ويجامـع المـرأة مـن الإنـس كجـماع الرجل للمـرأة.

نظـرت لـه نيرمـين بفـزع شـديد، فـما قالـه لهـا الرجـل كان غريبًـا ولم تسـمع بـه مـن قبـل، فهـل كل هـذا الـكلام حقيقـة أم وهـم وخـداع؟ لا تـدري أخـذت تنظـر للرجـل بعيـون مذعـورة خائفـة وهـي تفكـر، فـماذا إن كان هـذا الشـيخ واحـدًا منهـم وجنـي مـن عـمار المنـزل كـما أخبرتهـا جدتهـا، ومـاذا إن كان محمـود خطيبهـا جنـي ومتخـذ هيئـة البـشر؟ فكيـف تعـرف الحقيقـة؟ وهنـا شـعرت بالتوتـر وهـي تفكـر بالأمـر فحاولـت الفـرار والركـض مـن مكانهـا ومـن أمـام هـذا الشـيخ أو الجنـي لا يهـم الآن المهـم أن تهـرب مـن أمامـه فهـي خائفـة بشـدة وهنـا شـعرت أنهـا تهـوى في تلـك الحفـرة العميقـة وشـعرت باصطدامهـا بـالأرض وشـعرت بـالآم الشـديد في ظهرهـا وهنـا فتحـت عينيهـا

بقـوة فوجـدت نفسـها عـلى الأرض بجـوار الفـراش وفي حجرتهـا بالفنـدق فيبـدو أنهـا كانـت تحلـم فسـقطت عـلى الأرض مـن فـوق السريـر، وكان مـازال الكتـاب بـين يديهـا، ولكنـه عـلى آخـر صفحـة مـن الكتـاب فنظـرت بتعجـب ونهضـت مـن عـلى الأرض لتجلـس عـلى الفـراش وتقـرأ آخـر صفحـة بالكتـاب التـي لا تـدري كيـف وصلـت لهـا فربـما بسـبب وقوعهـا وسـقوطها عـلى الأرض هـم السـبب فغـيرت صفحـة الكتـاب وقـرأت بتمعـن :

وفي نهايـة الكتـاب تعلمنـا الكثـير عـن عـالم الجـن الغامـض وأسرارهـم فهـم مخلوقـات مثلنـا ولهـم حياتهـم الخاصـة كـما لنـا حياتنـا الخاصـة، فـلا تتدخلـوا في عالمهـم حتـى لا يتدخلـوا في عالمكـم، واتركوهـم يعيشـون ويعبـدون الله فمنهـم العابـد التقـي ومنهـم الكافـر المشرك، فـما لنـا نحـن وماهـم، ولمـا نحـاول التطفـل عليهـم وإجبارهـم عـلى فعـل مـا لا يريـدون، ونسـخرهم ببعـض الكلـمات، فلنتركهـم ليتركونـا ولا تتلفـظ بـما لا تفهـم حتـى لا تنـدم ...

« يـا ابـن آدم لا تتلفـظ بـما لا تفهـم حتـى لا تمـوت لتلـك الكلـمات التـي قلتهـا ولا أنـت لا تفهـم معنهـا»

أغلقـت نيرمـين الكتـاب وكانـت تشـعر بالتوتـر وصدرهـا يعلـو ويهبـط بفـزع فلقـد عرفـت الكثـير عـن ذلـك العـالم الغامـض مـن الشـيخ، ولكـن مـا معنـى تلـك الجملـة الأخـيرة؟ لقـد قرأتهـا مـن قبـل عـلى بـاب مدخـل منـزل والدهـا بشـبرا.

فماذا تعني تلك الجملة يا ترى ؟

وهنـا سـمعت ذلـك الـصراخ المريـع مـن خلفهـا وعـم الظـلام الغرفـة، فهـل تقطـع الكهربـاء في غينيـا أيضًـا كـما ببلدهـا مـصر ؟

وهنا لم تستطع المقاومة فأطلقت صرخة عالية وبعدها سقطت فاقدة الوعي..وهنا ظهر ذلك الظل الأسود يجري مسرعًا من أمامها وظهرت تلك الظلال الثلاثة تتسحب من خلف الفتاة لتقف فوق رأسها وهي تصدر أصواتًا غريبة وهمهمات عالية ؟

ونحمد الله أن الفتاة فاقدة الوعي ولم ترَ شيئًا مما يحدث فوق رأسها.



الفصل الرابع عشر
الغرفة المظلمة وشبح المصعد

- اللعنة على تلك الغرفة المظلمة مغلقة الباب دائمًا، هل أخبرتك عنها من قبل ؟ فربما كانت رؤيتهم يومها هي سبب ما أنا فيه ؟ قل لي لماذا يحدث لي ذلك؟ ألانني دخلت الغرفة يومها... أخبرني أيها الطبيب..

نظر لها طويلًا ثم عدل من وضع منظاره الطبي على عينيه وقال بهدوء:

- اهدئي يا منال و أخبريني عن تلك الغرفة المظلمة ماذا وجدت بداخلها؟

صرخت بهستريا في وجهه:

- الغرفة المظلمة ومن أخبرك عنها؟ قل لي من غيرك عرف أنني دخلتها وكيف عرفت أيها الوغد بالأمر

-اهدئي يا منال و اشربي كوب الماء فلم يخبرني أحد بالأمر ولكني أخمن أنه ربما دخلت تلك الغرفة هناك..

- أي غرفة أيها الطبيب أنا لا أعرف عما تتحدث؟

- الغرفة المظلمة ..

- وهنا صرخت بهستريا من جديد وقذفته بكوب الماء بين يديها في وجهه وهي تردد :

- هل تقول الغرفة المظلمة فمن أخبرك بالأمر أخبرني فلم يكن أحد هناك بالغرفة سوى أنا وهم .

هز رأسه بحيرة قائلًا:

- لقد أخبروني هم عن الأمر يا منال اهدئي

- هم ؟!

- نعم هم من كانوا بالغرفة يومها ؟ هيا لا تخافي شيئًا و أخبريني ماذا حدث يومها؟؟

- رددت بحيرة هل رأيتهم أنت الأخر ..؟؟

- نعم رأيتهم اهدئي و أخبريني القصة من البداية..ولا تخافي شيئًا فهم يعرفون أنني أعرف ...كان الطبيب يحاول أن يستدرجها لتتكلم ويفهم سبب حالة الخوف الشديدة التي تعانيها ومحاولتها للانتحار ثلاث مرات .

نظرت إليه بفزع ولم تتكلم نظر إليها بحيرة قائلًا يحثها على الحديث:

ـ هيا يا منال أكملي ماذا رأيت هناك يومها..بالغرفة المظلمة؟

صرخت من جديد بهستريا :

ـــ هل تقول الغرفة المظلمة أيها الغبي ثانية، فمن أخبرك بالأمر أخبرني؟ وقذفته بما أمامها على المكتب في رأسه وهي تصرخ قل من أخبرك عنها؟

تنهد الطبيب بضيق وهو يمسك رأسه بألم :

-اهدئي يامنال لم أقصد صدقيني، ولكن ماذا حدث يومها ماذا حدث هناك ...بتلك الغرفة....

نظرت إلى الفراغ خلفه قائلة:

- لقد التحقت بالعمل بتلك الشركة، وكنت أعمل بقسم الحسابات، وكانت تلك الغرفة تواجه غرفة المكتب الذي أعمل فيه، كانت دائمًا مظلمة كئيبة مغلقة ..كنت أشعر بالاختناق ورائحة كريهة كلما مررت بجوار تلك الغرفة التي لم يدخلها أحد قط منذ أن عملت بالشركة لمدة ثلاثة أشهر..وعندما سألت زميلي بالعمل عن تلك الحجرة أخبرني أنها مخزن مهجور يضعون فيه الأشياء التي لا يريدونها بالشركة من أوراق و مقاعد و مكاتب كل ما هو تالف بالشركة يضعونه بتلك الغرفة ..وفي ذلك اليوم المشئوم كان هناك عمل كثير وأوراق كثيرة لابد من مراجعتها فتأخرت عن موعدي ورحل كل موظفي الشركة في ميعادهم المعتاد إلا أنا وعامل البوفيه ورجل الأمن بالخارج وهنا سمعت من يهمس باسمي فالتفت أبحث عن الذي ينادي، ولكني لم أجد أحدًا وهنا شاهدت باب الغرفة يفتح أمامي ببطء لم أصدق عيني تركت ما في يدي وذهبت إلى الغرفة لأرى ما بداخلها بفضول، فهل يضعون حقًّا بداخلها الأشياء القديمة؟ وقبل أن أخطو إلى داخل الغرفة ظهر عامل البوفيه العجوز وأغلق الباب في وجهي قائلًا :

-إياك أن تفتحي الباب ثانية ..

وبعدها صمتت لخمس دقائق وهي تنظر إلى عيون الطبيب وهنا قال الطبيب :

-هيا يا منال ماذا حدث؟ هل دخلت الغرفة المظلمة؟

وهنـا صرخـت مـن جديـد بهسـتريا ولم تجـد أمامهـا شـيئًا تقذفـه بـه إلا المقعـد الـذي تجلـس عليـه وهـي تـصرخ بغضـب:

ـــ هـل تقـول الغرفـة المظلمـة؟ ومـن أخـبرك بالأمـر؟ كنـت أعرف أنهـم لـن يتركـوني.

وجــد الطبيــب نفســه ملقــى عــلى الأرض وفوقــه ذلــك المقعــد الثقيــل وكانــت منــال تــصرخ بهســتريا :

ـــ قـل لي مـن أخـبرك بالأمـر الآن أيهـا الرجـل وإلا قتلتـك ..حاول أن يتكلـم ويجعلهـا تهـدأ فلـم يسـتطع فلقـد كانـت رأسـه تنـزف بغـزارة ويشـعر بالـدوار فلقـد ضربتـه تلـك الفتـاة الغبيـة بـكل قوتهـا وقذفتـه بالمقعـد في وجهـه وشـعر أنـه سـيفقد الوعـي في أي لحظـة فأمسـك ذلـك الـزر وضغـط عليـه ليسـتدعي الممرضـة بالخـارج وكان هـذا آخـر شيء يتذكـره ..

دخلـت الممرضـة فوجـدت الطبيـب فاقـد الوعـي وينـزف بغـزارة وتقـف منـال في ركـن الحجـرة تبكـي بهسـتريا ..

صرخت الممرضة في وجهها وهي تقترب من الطبيب:

- ماذا فعلت أيتها المجنونة ..صرخت منال وهي ترتعد :

-لم أفعل له شيئًا ..هم من فعلوا

رددت الممرضة بغيظ :

- هـم وبعدهـا اسـتدعت عامـل النظافـة وحـارس العيـادة واتصلت بالإسـعاف والشرطـة وتـم نقـل الطبيـب إلى أقـرب مستشـفى وذهبـت منـال إلى قسـم الشرطة...وبعدهـا تـم تحويلهـا إلى مستشـفى العباسـية لعـلاج الأمـراض العصبيـة والنفسـية..

أخـذ الأب يبكـي بحرقـة أمـام الدرويشـة نارديـن فلقـد أطلـق عليهـا أهـل الحـارة اسـم الدرويشـة ..

وهـو يقـص قصـة ابنتـه الغريبـة التـي لا أحـد يعـرف مـاذا رأت بداخـل الغرفـة ولمـاذا حـدث لهـا ذلـك وتلـك الحالـة المفزعـة التـي وصلـت لهـا فقـال مـن بـين دموعـه :

- أرجـوك سـاعدي ابنتـي أيتهـا الدرويشـة لقـد دلنـي النـاس عليـك و أخـبروني عـن قدراتـك الخارقـة فـماذا أفعـل فهـي ابنتـي الوحيـدة وليـس لي غيرهـا بالحيـاة .

نظرت له ناردين طويلًا ثم قالت :

- أعطني شيئًا من ثياب الفتاة .

ناولهـا الرجـل قطعـة ملابـس ابنتـه وأخـذت هـي تقربهـا مـن فمهـا وتتلـو بعـض الكلـمات الغريبـة ويعلـو صوتهـا ويهبـط بلغـة غريبـة لم يفهمهـا الرجـل الجالـس أمامهـا وبعدهـا ابيضـت عينيهـا تمامًـا فلـم يبقـى بهـا أي لـون أخـر غـير البيـاض، وشـهق الرجـل فزعًـا وهـو يشـاهد هـذا المنظـر الغريـب أمامـه فأغمـض عينيـه و أخـذ يـردد مـا يحفظـه مـن آيـات الذكـر الحكيـم والقـرآن الكريـم في سره ..وهنـا شـعر بذلـك القلـم القـوي الـذي هبـط عـلى وجهـه بقـوة ليجعلـه يـصرخ بـألم ويفتـح عينيـه ليجـد نارديـن تقـف أمامـه بغضـب وعيونهـا حمـراء دمويـة لا يـدري كيـف تغـيرت هكـذا وهـي تقـول بغضـب شـديد :

- اخـرس ولا تـردد مـا تـردد حتـى لـو في سرك هنـا ..نظـر لهـا الرجـل بفـزع وغضـب وهـو لا يفهـم فهـو لم يفعـل شـيئًا، فلـماذا فعلـت ذلـك ولكنـه لم يتكلـم مـن أجـل منـال ابنتـه الوحيـدة، فقالـت نارديـن بصـوت قـوي:

– لقـد رأتهـم ابنتـك يومهـا ولقـد حزروهـا مـن إخبـار أحـد عـن الأمـر.

ردد الرجل ببلاهة :

ـ رأتهم ومن هم أنا لا أفهم شيئًا يا درويشة؟؟

ـــ رأت الشـياطين في تلـك الغرفـة ...كانـوا كثيريـن ويمارسـون حياتهـم، ولكنهـا تدخلـت في الأمـر وقاطعتهـم بدخولهـا وتدخلهـا، فـكان لا ينبغـي عليهـا الدخـول وسـماع نصيحـة الرجـل العجـوز فهـو خادمهـم، ولكنهـا غبيـة وتصرفـت بغبـاء وذهبـت إلى عالمهـم وضايقتهم

ـ وماذا سأفعل؟ ولماذا تدخل منال الغرفة وترى الشياطين ؟

ـــ لأنهـا فتـاة حمقـاء وفضوليـة فتلـك الغرفـة التـي دخلتهـا كانـت بوابـة دخـول لعالمهـم الغامـض، وكان العجـوز يعـرف فمنـع أى أحـد مـن دخولهـا، ولكـن ابنتـك اسـتغلت انشـغال الرجـل وعـبرت إلى الجحيـم بإرادتهـا، فعاقبوهـا إن تكلمـت ولم تسـتطع الفتـاة تحمـل مـا رأت هنـاك ففقـدت عقلهـا

ـ وماذا سأفعل؟ وكيف يعود لابنتي عقلها؟

نظرت له طويلًا ثم قالت :

ـــ هـل تريـد أن تعيـش ابنتـك وتخـرج مـن تلـك المستشـفى وتصبح فتـاة عاديـة ويعـود لهـا عقلهـا فلـن يتركوهـا لأنهـا تعـرف الكثـير سـيظلون يراقبونهـا ويمنعونهـا مـن الـكلام ويخيفونهـا إلى أن تمـوت أو يأخذونهـا معهـم إلى عالمهـم.

صرخ الأب بفزع ولوعة قائلًا :

– لا ابنتـي لـن يأخذهـا أحـد منـي سـاعديني أرجـوك وسـأفعل أي شيء مـن أجـل أن تعـود نظـرت لـه مـرددة:

ـــ هـل سـتفعل أي شيء لإنقـاذ ابنتـك يـا رجـل وتنفـذ كلامـي مهما كان غريبًـا ولكنـه السـبيل الوحيـد لإنقـاذ الفتاة؟

ـــ نعـم اطلبـي منـى أي شيء وسـأفعله حتـى لـو ذبحـت نفـسي في سـبيل ابنتـي منـال ..

وهنا نظرت له قائلة :

ـــ لا لـن تذبـح نفسـك ولـن تذبـح أحـدًا بـل أريـد منـك شـيئًا أخر احـضره لي وسأسـاعد ابنتـك ونخلصهـا ممـا هـي فيـه فلـن يتركوهـا بسـهوله لمعرفتهـا بأمرهـم ...

ـــ اطلبـي أيتهـا الدرويشـة سـأفعل أي شيء مـن أجـل منـال ابنتي.. نظـرت لـه ناردیـن طویـلًا وابتسـمت بسـخرية فلقـد اقتربـت عـلى مـلء الصنـدوق وتحقـق مـا تريـد .

****

- مـاذا هنـاك يـا نيرمـين لمـاذا أنـتِ خائفـة مذعـورة يـا ابنتـي هكـذا فلقـد عرفـت مـا كنـت تريديـن معرفتـه يـا حبيبتـي فـلا تخـافي شـيئًا أبـدًا بالحيـاة.؟؟

أخـذت تلتفـت حولهـا باحثـة عـن مصـدر الصـوت ولكنهـا لم تجـد أحـدًا وكان المـكان مـن حولهـا مظلـمًا لا تـرى فيـه شـيئًا، ولكـن الصـوت ظـل يـتردد حولهـا مـن العـدم كانـت تعـرف هـذا الصـوت جيـدًا وتحفظـه عـن ظهـر قلـب وكيـف تنـس صـوت أمهـا التـي كانـت تحبهـا بشـدة صرخـت نيرمـين مـن بـين دموعهـا بحسـرة :

ــ أمي أين أنت ؟؟

ـــ أنـا هنـا يـا نيرمـين بجانـب يـا حبيبتـي لا تخـافي شـيئًا أبـدًا أعلـم أنـك تخافـين الظـلام منـذ كنـت صغـيرة ...

ــــ ولكـن لمـاذا رحلـت وتركتنـي؟ ولمـاذا فعلـت بنـا ذلـك؟ أنـا تائهـة يـا أمـي لا أعـرف مـاذا أفعـل؟ ونارديـن أختـي تغـيرت كثـيرًا.

ــــ أرجـوك نيرمـين سـاعدي أختـك وحـرري روحها يـا ابنتـي فهي تحتاجـكِ الآن أكثـر مـن أي وقـت مـضى فـلا تتركيهـا فأنـا أعـرف أننـي السـبب أنـا مـن سـمحت للـشر بالعبـور لعالمكـم الصغـير سـامحيني أرجـوك ولكنـه خدعنـي.

ــــ سـمحتِ للـشر بالعبـور لعالمنـا أنـا لا أفهـم شـيئًا يـا أمـي مـاذا تقصديـن؟ أخـذت تـصرخ وهـي تنـادي عـلى أمهـا وسـط ذلـك الظـلام الكثيـف وشـعرت أن الأرض تهتـز تحـت أقدامهـا فحاولـت التشـبث بـشيء ليمنعهـا مـن السـقوط وحاولـت ومـدت ذراعهـا عاليًـا...

****

جلسـت نارديـن بالشـقة السـفلية وهـي تنظـر أمامهـا باهتـمام وتسـتمع لهـم فقالـت الأولى بتوتـر:

- لكـم أكـره تلـك السـيدة و أكـره الدقائـق التـي تجمعنـا سـويًّا بالمصعـد لا أدري لمـاذا ؟؟

فأنـا أكـره نظراتهـا الثابتـة إلى جـدار المصعـد مـن خلفي..وكأنهـا تـرى شـيئًا خلفـي لا أسـتطع رؤيتـه .. فأشـعر بالاختنـاق كلـما تقابلنـا بالمصعـد ونظرتهـا الثابتـة لا تتغـير وتمـر الدقائـق طويلـة بطيئـة وكأنهـا لـن تنتهـي..

أحـاول ألا أركـز معهـا وأتجاهلهـا قـدر اسـتطاعتي، يـا إلهـي لا أدري لمـاذا تطـول الدقائـق معهـا بتلـك الطريقـة البشـعة.

واليـوم حمـدت الله فلقـد لمحتهـا تسـتقل المصعـد قبـلي وتغلـق البـاب يـا إلهـي أخـيرًا سـأصعد بأمـان بمفـردي وضغطـت زر المصعـد بسـعادة

و ارتسمت ابتسامة الارتياح على وجهي عندما عاد لي وفتحت الباب لأجدها أمامي مازالت بداخله لم تغادره ولكن لماذا؟

تسمرت قدامي ووقفت أنظر لها بذهول، فلم تتكلم بل خرجت من المصعد والتقطت حقيبة سوداء أمام بابه يبدو أنها نسيتها هناك ؟ نظرت لي مشيرة بيديها أن أدخل لم أتردد كثيرًا قررت أن أسألها لماذا تنظر لي بتلك الطريقة الغريبة ؟

لم ترد علي بل أعطتني تلك المرآة الكبيرة لأرى إلى ماذا تنظر ؟

لقد كانت تنظر إلى صورتي أنا والدماء تغرق وجهي المشوه وثيابي الممزقة وكأن الصورة معلقة على جدار المصعد من خلفي، ما هذا الهراء ولما يعلقون صورتي المشوهة هذه بالمصعد اللعين لا أفهم شيئًا..؟؟

وهنا شاهدت نادرين الأخرى ترد عليها برجاء متوسلة فقالت :

- بالله عليك ارحلي واتركي المصعد فلقد تعب السكان من صعود الدرج فلقد رحلت منذ سنوات يوم سقط بك المصعد يومها لم تكن الغلطة غلطة أحد ...فارحلي بسلام ...

- صرخت الأخرى بفزع :

- ماذا تقولين أيتها المجنونة؟ فأنا هنا لم أرحل ماذا تقولين؟ ولماذا تضعون صورتي المشوهة بالمصعد، أنا سأريكم ماذا سأفعل بكم أيها الأوغاد لتحترموني وتعاملونني باحترام؟ فمنذ وفاة زوجي وأنتم لا تحترمونني وتعملونني بطريقة بشعة وتخافون على أزواجكم مني وتريدونني أن أرحل من البناية ولكني سأريكم من أكون الآن.

- أخـذت المـرأة تتوسـل لهـا أنهـم لم يقصـدوا شـيئًا وتدعوهـا أن ترحـل بسـلام ولكنهـا كانـت تـصرخ بغضـب ولم تسـتمع إليهـا....

عدلـت ناردیـن مـن جلسـتها أمـام تلـك الطاولـة المنخفضـة عليهـا تلـك الكـرة الكبـيرة الشـفافة التـي تـرى فيـه مـا يحـدث بالمصعـد وتلـك السـيدتان تتحدثـان وتبكـي الأخـيرة بحرقـة متوسـلة للأخـرى إن تـترك المصعـد..

كانـت الكـرة كبـيرة تشـبه كـرة القـدم ولكنهـا شـفافة وكأنهـا فقاعـة كبـيرة مصنوعـة مـن المـاء وكانـوا هـم يجلسـون حولهـا ينظـرون بتعجـب إلى تلـك الكـرة أمامهـا لم يكونـوا يـرون شـيئًا بالكـرة كـما كانـت نارديـن تـرى وتشـاهد وكأنـه فيلـم سـينمائي تشـاهده عـلى شاشـة العـرض أمامهـا وتـوارت جليلـة في تلـك البقعـة والزاويـة البعيـدة بالغرفـة تنظـر إلى تلـك الفقاعـة الكبـيرة مـن المـاء وهـي تهـز رأسـها بغضـب وتهمـس لنفسـها:

- لقـد أوشـكت عـلى فعـل مـا يريـده فلقـد أعطاهـا القـوة لتتحكـم حتـى بالمـاء ويسـاعدها عـلى تحقيـق مـا تريـد فهمسـت بحـسرة أيـن أنـت يـا نيرمـين يـا بنيتـي لتمنعـي تلـك اللعينـة مـن الاسـتمرار؟ فلقـد زاد صيتهـا وازداد النـاس إيمانًـا بقدراتهـا الخارقـة وينفـذون لهـا مـا تريـد بـدون تـردد وهنـا سـمعت نارديـن تقـول بصـوت قـوي عميـق:

إنهـا لم تكـن تعـرف أنها ماتـت بالمصعـد يومهـا وظلت روحهـا عالقة ولكنكـم بغبـاء أخبرتموهـا بالأمـر فصدمتموهـا فهـي كانـت شـابة جميلـة وتريـد الحيـاة والعيـش مثـل أي فتـاة و أنتـم كنتـم تعملونهـا بقسـوة بعـد مـوت زوجهـا في تلـك الحادثـة فلـم تدعوهـا وشـأنها وكنتـم تريـدون رحيلهـا مـن البنايـة كانـت المسـكينة تحيـا بالمصعـد لا تعـرف شـيئًا

وتخاف منكم لأنكم تنظرون لها بطريقة غريبة وكانت بدأت تمل معاملتكم القاسية لها وكانت سترحل قريبًا من تلقاء نفسها وهي لا تعرف شيئًا ولكنكم اخبرتموها بخبر موتها فصدمتموها فحقدت عليكم وتمنت موتكم فلماذا تموت هي وتظلون أنتم أحياء .بعد أن عذبتموها كثيرًا بنظراتكم وحركاتكم فقررت أن ترحلوا أنتم، ولن تترك لكم البناية مهما حاولتم، تلفتت إلى وجوههم الخائفة وعيونهم المرعوبة ثم قالت نادرين مكملة حديثها وهي تنظر إلى تلك الوجه المذعورة الجالسة أمامها تستمع باهتمام:

- لقد بدأت تؤذيكم أليس كذلك

هزوا رؤؤسهم بنعم وقالت واحدة منهن وهي تبكي:

- لقد كادت تقتل ابني منذ يومين فلم تكن تؤذي أحدًا من قبل ولكنها كانت دائمًا موجودة بالمصعد ولكن بعد أن أخبرتها بالأمر ولقد تغيرت وأصبحت شريرة كثيرًا معنا وتخيفنا بطريقة بشعة فماذا سنفعل أيتها الدرويشة لقد دلنا عليك الناس ..نحن نريدها أن ترحل بسلام وتترك البناية ؟

- ولماذا لا تتركون أنتم البناية وترتاحون من شرها فلن تترككم يا امرأة على ما فعلتم لها فكيف تخبرونها بأنها شبح هل فقدتم عقولكم لتفعلوا ذلك ؟

- لم أكن أقصد أيتها الدرويشة كنت أريد أن ترحل بسلام وتتركنا نحن نحيا بسلام.

- وهل كانت تؤذيكم من قبل أيتها الغبية بل كانت خائفة منكم ومن بطشكم وأذيتكم بعد أن كنتم تؤذونها بعد موت زوجها لترحل أغبياء..

وردت أخرى بخوف :

- لقد كانت جميلة و أرملة وصغيرة بالسن وعندها شقة ومطمع لكل أزواجنا فكنا نكرهها رحمها الله بالرغم أنها لم تفعل لنا شيئًا وارتحنا عندما ماتت، ولكنها تركت شبحها بالمصعد ليعذبنا كما كنا نعذبها أرجوك ساعدينا وخلصينا منها أيتها الدرويشة فنحن نعرف أنك تستطيعين لقد أخبرونا عن قدراتك الخارقة في التعامل مع الأرواح والأشباح و الجن والشياطين .

نظرت إلى عيونهم كثيرًا ثم قالت ولما لا ترحلون من البناية وتتركونها لها؟!

- لا نستطيع فالحياة أصبحت صعبة وضيق الحال، فلن نجد شقًا أخرى بهذا السعر في تلك الأيام، ولن تسمح لأحد بدخول البناية فلقد حاول أحد السكان بيع شقته والفرار ولكنها أفزعت السكان الجدد وفروا هاربين وأخبرتنا أنها لن ترحل ولن تسمح لجدد أن يحضروا لقد كتبت يومها بالدماء على مرآة المصعد ..ومن يومها لم يفكر أحد في بيع شقته بل فكرنا في كيفية رحيلها وأنت الوحيدة القادرة عليها.

- سأساعدكم ولكن هل أنتم مستعدون لدفع الثمن ...

- نعم سنفعل أي شيء من أجل أن ترحل بسلام وتتركنا ..

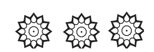
- إذن احضروا لي الدماء فأنا أريد دماء نقية لأطفال لم يبلغوا الحلم..أريد بعض دمائهم لأقدمها قربانا لها لترحل بسلام وتترككم تعيشون بسلام ..

نظر كل منهم إلى عين الأخر ولم ينطقوا، فماذا تريد تلك المجنونة

منهـم؟ أن يحـضروا فهـل تريدهـم أن يصبحـوا قتلـة لكـي يخرجـوا شـبح المصعد ..

نظـرت لهـم وعرفـت أنهـم لـن يحـضروا الدمـاء ..فقامـت لتقـف وبعدهـا صرخـت في وجوههـم بعنـف وبصـوت قـوي:

– ارحلـوا ولا تعـودوا إلا بالدمـاء أو لا تعـودون ..وقفـوا جميعًـا وبعدهـا رحلـوا مـن أمامهـا وقلوبهـم تـكاد تتوقـف مـن شـدة الفـزع والتوتـر ..فهـل سـتتركهم تلـك السـاحرة حقًّـا يرحلـون ؟



الفصل الخامس عشر

القناع المخيف

توقف الاهتزاز من حولها وشعرت بالضوء يتسلل إلى عينيها بهدوء شديد وفتحت عينيها ببطء فوجدتهم يلتفون حول فراشها وجوههم سوداء مشعرة، وعيونهم حمراء منفرة صرخت برعب و أغمضت عينيها حتى كاد قلبها يتوقف من شدة فزعها وهنا سمعت ضحكاتهم الساخرة وسمعت صوتهم العالي في أذنيها كانت تعرف تلك الأصوات التي تتحدث جيدًا سمعتهن يقلن لها :

ــ مادمت رقيقة المشاعر أيتها الطفلة الصغيرة فلماذا تقرأين تلك الكتب المخيفة ليلًا، ربما أصابتك بأزمة قلبية في غينيا وبعدها أخذن يضحكن عليها.

نظرت نيرمين إلى زميلاتها في العمل بغضب وأخذت تنظر لهن بغضب لما فعلنه معها وهي تخشي الظلام فأزالت كلا منهن ذلك القناع المخيف من على وجهها وهن يضحكن باستمتاع ..فقالت إحداهن:

ــ لقد اشترينا تلك الأقنعة من أحد الأسواق القريبة من أحد الزنوج وقررنا أن نقم بإفزاعك يا نيرمين فما رأيك؟ هل أفزعك

القناع؟ إنه يبدو كالحقيقي تمامًا فكيف يصنعونه؟ إن هؤلاء الأفارقة لعباقرة ويستطيعون إفزاع الجميع

ـــ كانت تنظر لهن جميعًا ولاحظت أنهن أزلن جميعهن الأقنعة ماعدا هي..

تلك الفتاة التي لم تزل قناعها فمن هي يا ترى فها هن صديقتها جميعهن علا ونهلة وعفاف ورقية فمن تلك الفتاة الخامسة فلم ترها من قبل ولما لم تزل قناعها المخيف لتريهن وجهها؟

كانت الفتاة تنظر لها بطريقة مخيفة وبذلك الوجه المرعب المخيف والعيون الحمراء صرخت نيرمين وهي تشير إليها بإصبعها قائلة :

ـــ من أنت أيتها الفتاة ...نظرت لها صديقاتها بدهشة و إلى ما تشير فلم يجدن شيئًا فكانت تشير بإصبعها إلى الفراغ خلفهن .

فقالت رقية :

ـ نيرمين هل تحاولين إرعابنا ورد المقلب فلن نخف يا غبية ؟

فصرخت نيرمين :

ـــ لا، أقسم لكن إنها خلفكن وترتدي نفس القناع وتبتسم بسخرية، فمن هي هل تحاولن إخافتي يا فتيات اتقين الله فأنا لن أتحمل تلك المزحة السخيفة فربما أصبت بأزمة قلبية أيتها الغبيات.

فردت نهلة :

ـــ لا يا نيرمين لا نحاول إخافتك يا صديقتي ولا يوجد احد فعلًا غيرنا نحن الأربعة.

صرخت في وجههن برعب:

ـــ اخرجـن مـن غرفتـي الآن أيتهـا الغبيـات وكفـين عـن المـزاح معـي هـل تفهمـن؟ فأنـا لـن أتحمـل سـخافتكن هـذه وثقـل ظلكـن .

غـادرت الأربـع فتيـات الغرفـة وهـن غاضبـات وحاولـن الاعتـذار لنيرمـين ولكنهـا أشـاحت بوجههـا عنهـن ..

ولكنهـا لم ترحـل فظلـت الفتـاة الخامسـة لم تغـادر الغرفـة أو تتحـرك مـن مكانهـا، لمـاذا تبتسـم تلـك البغيضـة بسـخرية وتظهـر أسـنانها الحمـراء الدمويـة فصرخـت نيرمـين بغضـب:

ـــ اخرجـي أنـت الأخـرى أيتهـا الغبيـة فلـماذا تقفـين كالصنـم هكـذا ؟

وهنا تحدثت المرأة بلغة غريبة لم تفهمها قائلة:

- Cuidado com que você não vai deixar você e sua empresa ele está constantemente observando você e não vai deixar você fazer você viver em paz

رددت نيرمين بغضب :

- مـاذا تقولـين أيتهـا الغبيـة ؟ مـاذا تقولـين أنـا لا أفهـم أي لغـة تتحدثـين اخرجـي اخرجـي مـن غرفتـي الآن ؟

خرجت المرأة وهي مازالت تردد جملتها بصوت غريب :

- Cuidado com que você não vai deixar você e sua empresa ele está constantemente observando você e não vai deixar você fazer você viver em paz

وهنـا دخلـت صديقتهـا وشريكتهـا بالغرفـة وهـي تسـمع صـوت نيرمـين تـصرخ بغضـب قائلـة :

ـــ مـاذا تعنـي بجملتـك أخبرينـي ورددت نفـس الكلـمات وهـي لا تفهـم معناهـا فقالـت ربـاب:

- اهدئـي نيرمـين مـاذا هنـاك؟ ولمـاذا أنـتِ غاضبـة لتلـك الدرجـة؟ فـماذا حـدث يـا صديقتـي أخبرينـي؟

- لا أعـرف يـا ربـاب مـن تلـك اللعينـة التـي قابلتيهـا عنـد دخولك الغرفـة فلقـد قالـت لي كلـمات غريبـة بلغـة لا أفهمهـا وأفزعتنـي هـي والأخريـات وأنـا لا أتحمـل شـيئًا ومتعبـة الآن وأخـذت تبكـي بقهـر.

- اهدئـي نيرمـين بـالله عليـك ومـن هـي التـي خرجـت مـن غرفتك فأنـا لم أرَ أحـدًا يـا صديقتي ؟؟

- هل تمزحين أنتِ الأخرى يا رباب مثلهن وتريدين إفزاعي ؟

نظرت لها صديقتها بقلق قائلة:

- نيرمـين اهدئـي ولمـاذا سـأضحك عليـك يـا صديقتـي فلقـد أخبرتنـي رقيـة بـما حـدث ولقـد وبختهـن أقسـم لـكِ ولكنهـن لم يكـن يقصـدن شـيئًا سـوى المـزاح يـا نيرمـين فأنـتِ تعرفـين حـركات رقيـة.

نظـرت نيرمـين إلى عينـى صديقتهـا ورأت الصـدق فيهـما فهـي تعـرف ربـاب لـن تمـزح أبـدًا ..فقالـت بقلـق:

- ربـاب أقسـمي لي أنـك لم تـري المـرأة عنـد دخولـك الغرفـة فلقـد نظـرت إليـك و أنـت تدخلـين وهـي تخـرج لقـد رأيتهـا أقسـم لـكِ يـا ربـاب

ــ أقسـم لـكِ لم أرَ شـيئًا يـا صديقتـي وعيـب عليـك فلـن أكـذب أبـدًا عليـكِ فنحـن أصدقـاء وعـشرة سـنين طويلـة يـا نيرمـين وليـس اليـوم.

-لا أفهـم شـيئا يـا ربـاب ولكـن أخبرينـي فـما معنـى تلـك الجملـة فأنـا أعـرف أنـك تحبـين الإنجليزيـة والفرنسـية:

- Cuidado com que você não vai deixar você e sua empresa ele está constantemente observando você e não vai deixar você fazer você viver em paz

– ولكنها ليست إنجليزية أو فرنسية يا صديقتي فهي برتغالية

– برتغالية

– نعم فهي اللغة الرسمية هنا بغينيا

ـ وهل تعرفين تلك اللغة يا رباب

– نعم القليل فأنت تعرفين أنني أحب تعلم اللغات ومعي كتاب لترجمة باقي الجمل انتظري ...وذهبت إلى حقيبتها وأخرجت الكتاب وأخذت تترجم بعض الكلمات التي لا تفهمها وتكتب في الورقة وبعد ربع ساعة هتفت بقلق :

– لقد ترجمتها يا نيرمين فهل أنت متأكدة بأنك تودين سماع معنى الجملة؟

– نعم أريد فهل تمزحين بعد كل هذا وتسألين هذا السؤال الغبي؟؟

– إن الجملة غريبة يا نيرمين فهي تقول:

« احذري فلن يدعك وشأنك فهو يراقبك باستمرار ولن يدعك تعيشين بسلام»

رددت نيرمين الجملة بتعجب :

– احذري فلن يدعك وشأنك فهو يراقبك باستمرار ولن يدعك تعيشين بسلام.

ما معنى هذا الكلام الغريب يا رباب لا أفهم شيئًا

- وهل أنا الذي سأفهم يا صديقتي وفي تلك اللحظة دخلت صديقتها رقية الغرفة وهي تقول :

ـــ سامحيني يا نيرمين فلم أكن أقصد فتقبلي اعتذاري يا صديقتي ؟

ردت نيرمين بحيرة :

رقية من أين أحضرتن تلك الأقنعة المفزعة ؟

ـــ من أحد الأسواق القريبة من الفندق من إحدى الساحرات يقولون عنها أنها ساحرة فودو

ــ ساحرة فودو؟!

ـــ نعم ساحرة فودو أي تمارس السحر الأسود فهي امرأة غريبة شعرها منكوش خلف ظهرها ترتدي ثياب غريبة وحلي كثيرة وتعلق جمجمة صغيرة وبعض العظام برقبتها وشكلها مخيف ولكن أشياءها مرعبة حقًّا فقررنا شرائها كتذكار من غينيا ولكن المترجم حذرنا منها وقال لنا أنها ساحرة فودو أي شريرة وتقتل الناس وتؤذيهم بشدة ولابد الابتعاد عنها فأخافنا ورحلنا مسرعين دون حتى أن ندفع ثمن الأقنعة.

ــ هل تستطيعين أخذي إلى تلك المرأة من فضلك ؟

ـــ نعم ولما لا حتى أدفع ثمن قناعي حتى لا تصيبني بشيء فأنا حقًّا أخاف من تلك المرأة ولكن غدًا صباحًا وليس الآن فهل أعجبك القناع فقررت شراء واحدًا مثله ؟؟

لم ترد عليها نيرمين ولكنها كانت تشعر بشيء غريب و أن تلك المرأة التي تتحدث عنها وتقول إنها ساحرة سوف تساعدها في شيء

ليخلص أختها ناردين لا تدري لماذا ولكنه إحساس قوي سيطر عليها بعد أن ترجمت لها صديقتها الجملة ..

هي تعرف ذلك ..وتلك الساحرة تعرف أيضًا ..

****

صرخت بفزع :

ـــ ابتعدي عني أيتها الحقيرة ولا تلمسيني فأنا لم أفعل لك شيئًا ..ولكنها أخذت تقترب منها ببطء شديد وهي تضحك وتظهر كل أسنانها الحمراء التي يتساقط منها الدماء .

حاولت نيرمين الهروب منها ولكن قدمها كانت مثبتة على الأرض وكأن هناك من أمسكها وثبتها بالأرض فلم تستطع الفرار من تلك الساحرة التي كانت تقترب منها بهيئتها المخيفة ومنظرها المرعب كانت عيونها حمراء ووجهها أسود مخيف ترتدي ثياب غريبة زاهية الألوان وحلي كثيرة وجمجمة صغيرة معلقة في رقبتها وبعض الأنياب على شكل عقد غريب طويل يصل إلى أسفل سرتها .

لم تتكلم المرأة أو تقل شيئًا بل أخذت تقترب وتزداد ابتسامتها اتساعًا كلما ازداد صراخ نيرمين المريع ..

إلى أن وقفت أمامها وأخذت تشم في رأسها وثيابها بطريقة جعلت نيرمين تشعر بالغثيان والدوار فماذا تريد تلك الساحرة منها؟!

وهنا مسكت المرأة يد نيرمين وقامت بوخز إصبعها بإبرة فصرخت الفتاة ألمًا وهنا قامت المرأة بلعق الدماء وبعدها أخرجتها مرة أخرى وبصقت الدماء على الأرض وهي تقول بصوت غريب ولغة غريبة :

ــ إن دمائك ملعونة، ولقد جلبت الشر معك إلى هنا ...

كانـت نيرمـين تفهـم كلامهـا جيـدًا وتفهـم مـا تقـول بالرغـم مـن اللغـة غـير مفهومـة.

فرددت نيرمين من بين دموعها :

ــ ماذا تريدين منى ؟ أرجوك اتركيني أرحل؟

أخذت تلف حولها بغضب وهي تردد :

ــ لقد جلبت الشر معك إلى هنا ارحلي ..فهو يريدك ..

أخذت تصرخ وتصرخ وهي تردد ما تقوله المرأة :

ــ جلبت الشر معي ماذا تقصدين ..؟؟؟

اتركينـي بـالله عليـك وهنـا شـعرت بـالألم في ذراعهـا وبمـن يهزهـا بقـوة ففتحـت عينيهـا لتجـد أمامهـا صديقتهـا ربـاب وهـي تهزهـا قائلة:

ـــ نيرمـين سـنتأخر عـن المحـاضرة التدريبيـة عـن التعريـف بمرض الإيبـولا ...فلابـد أن يحـضر الجميـع هيـا .

نهضـت نيرمـين مـن عـلى الفـراش وكان عقلهـا مشوشًـا فمـن تلـك السـاحرة التـي كانـت بالحلـم ولمـاذا لا تحلـم بالشـيخ صاحـب الوجـه المنـير لقـد كانـت ترتـاح للحديـث معـه وتشـعر بالأمـان، وكان يخبرهـا بـكل مـا تريـد معرفتـه بصـدق فـماذا حـدث وتغـير ولمـاذا يحـدث لهـا ذلـك منـذ أن جـاءت إلى تلـك البلـد الغريـب ؟

ارتـدت ملابسـها بسرعـة وذهبـت إلى قاعة المؤتمـرات بالفنـدق وكان أحـد الأطبـاء الأجانـب يتحـدث بالإنجليزيـة على منصـة أمـام ميكرفون وكانـت هنـاك مقاعـد وكل مقعـد بـه سـماعة تضعهـا عـلى أذنيهـا لتترجم لهـا باللغـة التـي تريدهـا مـا يقولـه الرجـل. ضغطـت زر اللغـة العربيـة.

وهنـا شـعرت بـالآم بإصبعهـا فنظـرت إلى الإصبـع فوجـدت علامـة شـك وكأنهـا وخـزت بدبـوس أو إبـرة حـادة وجلسـت وهـي مشوشـة الفكـر فهـل مـا حـدث ومـا رأتـه كان حقيقـة ولم يكـن حلـمًا ...

سـمعت صـوت المحـاضر يقـول وهـو يشـير عـلى رسـم بيـاني خلفه في شاشـة عـرض كبيرة:

ـــ إن مـرض فـيروس إيبـولا مميـت في ٩٠٪ مـن الحـالات في مناطق غـرب أفريقيـا حيـث الأنظمـة الصحيـة الهشـة. ولذلـك فـإن المـرضى الذيـن يتلقـون عنايـة طبيـة باكـرة لديهـم فرصـة أكـبر في الشـفاء.

فلـو اسـتعرضنا نسـبة الوفيـات بمـرض فـيروس الإيبـولا في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة و أوروبـا حيـث الرعايـة الصحيـة الجيـدة سـنجدها تنخفـض لنحـو ١٨,٥٪ فقـط مـن مجمـل المـرضى المصابـين بالفـيروس.

ومنـذ آذار/ مـارس عـام ٢٠١٤م، شـهد غـرب أفريقيـا أكـبر تفـش لمـرض الإيبـولا في التاريـخ، مـع العديـد مـن البلـدان المتـضررة. وردًا عـلى تفـشي المـرض تـم تنشـيط مركـز عمليـات الطـوارئ لتنسـيق أنشـطة المسـاعدة والمراقبـة التقنيـة مـع وكالات دوليـة وأخـرى تابعـة للحكومـة الأمريكيـة، ومنظمـة الصحـة العالميـة في غـرب أفريقيـا.

وقـد تمـت السيطرة عـلى فـيروس إيبـولا في غـرب أفريقيـا، عـلى الرغـم مـن أن حـالات إضافيـة مـا زالـت تسـجل بشـكل متقطـع.

كانـت نيرمـين تشـعر بالمـرض والصـداع والملـل مـن كل تلـك الأرقـام التـي يقولهـا الرجـل بسرعـة وكأنـه يحفظهـا عـن ظهـر قلـب وكان عقلهـا مشـغولًا بتلـك السـاحرة ..سـاحرة الفودو...فسـمعت الرجـل يكمـل قائـلًا :

ــ وقد أشار آخر تحديث فيما يتعلق بعدد الحالات بتاريخ ١٧/ ٠٢/ ٢٠١٦ والصادر عن منظمة الصحة العالمية (WHO) بالتالي:

ــ عدد الحالات الكلية المصابة بالمرض حتى تاريخه: ٢٨٦٣٩ حالة.

ــ عدد الحالات المؤكدة مخبريًا حتى تاريخه: ١٥٢٥١ حالة.

ــ عدد الوفيات الكلية حتى تاريخه: ١١٣١٦ حالة وفاة

ــ وقد احتلت جمهورية سيراليون المركز الأول فيما يتعلق بعدد الحالات الكلية المصابة بالفيروس حيث بلغت ١٤١٢٢ إصابة، وبلغ عدد الوفيات الكلي فيها ٣٩٥٥ حالة وفاة، بينما احتلت ليبيريا الصدارة بعدد الوفيات بهذا المرض حيث بلغت الوفيات ٤٨٠٩ حالة من أصل ١٠٦٧٥ إصابة، وكل ذلك وفقًا لإحصاءات صدرت عن منظمة الصحة العالمية.

****

همست نيرمين لنفسها بضيق :

ــ ما هذه الأرقام الكثيرة أنا أكره هذا و أكره الأرقام ولن أتحمل كل هذا صرخت نيرمين لنفسها بغضب لابد أن أرحل الآن ثم قامت من مقعدها و أزالت تلك السماعة اللعينة من فوق أذنيها وذهبت حيث تجلس صديقتها رقية التي كانت تستمع باهتمام للرجل فجذبتها من يديها بعنف و أزالت سمعاتها من فوق أذنيها أمام دهشة الحاضرين وخرجت من القاعة ..

كانت رقية تشعر بالدهشة مما تفعله نيرمين ولكنها لم تتكلم حتى خرجا خارج القاعة فقالت رباب بغضب:

ــــ مــاذا حــدث يــا نيرمــين هــل جننــت وفقــدت عقلــك مــاذا تفعلــين؟؟

خــرج خلفهــما محمــود الــذي شــاهد الموقــف ولم يعجبــه الأمــر وشــعر أن هنــاك شــيئًا ليس عــلى مــا يــرام مــع حبيبتــه فخــرج خلفهــا مســتفسرًا :

ــ ماذا حدث يا نيرمين ولماذا فعلت هذا ؟

قالت نيرمين وهي تنظر إلى عينى رقية:

ــ دليني على مكان الساحرة الآن من فضلك ..ساحرة الفودو

ــــ هــل فقــدت عقلــك أتفعلــين كل ذلــك مــن أجــل تلــك التفاهــة فهــل أنــت مجنونــة؟ ..تدخــل محمــود قائــلًا:

ــ أي ساحرة يا نيرمين فماذا حدث لك أخبريني بالله عليك ؟

ــــ إنهــا تعــرف كل شيء وستســاعدني دلينــي عليهــا يــا رقيــة مــن فضلــك ؟

وهنا خرجت رباب هي الأخرى مستفسرة ماذا حدث :

ــــ مــاذا حــدث يــا نيرمــين مــا بــك يــا صديقتــي فأنــتِ لســت عــلى مــا يــرام منــذ أمــس

لم ترد عليهما بل وجهت كلامها إلى رقية برجاء:

ــــ خذينــي إليهــا مــن فضلــك يــا رقيــة، إنهــا مســألة حيــاة أو موت و أشــعر أن شــيئًا ســيئًا ســيحدث لناردين أختــي وبعدهــا أخــذت تبكــي بعنــف وبهســتريا ..

أخــذت ربــاب تربــت عــلى كتفهــا وتحــاول تهدئتهــا و أحــضر لهــا

محمـود كوبًـا مـن العصـير بعـد أن وضـع فيـه قرصًـا مهدئًـا لجعلهـا تهـدأ وتنـام قليـلاً فحالتهـا ليسـت بخـير.

شربت العصير وهي تبكي وسمعت صوت رقية تقول :

ـــ حـاضر سـوف آخـذك يـا نيرمـين ولكـن اهدئي..بـالله عليـك فلا داعـي لـكل ذلك.

سمعت صوت رباب يقول:

ـــ الحمـد لله فلـولا أن المحـاضر طبيبًـا أجنبيًـا وليـس مصريًـا لـكان طردنـا مـن هنـا ورحلونـا إلى مـصر فالأجانـب يحترمـون حريـة الآخرين ويفعـل كل واحـد مـا يريـده ومـا يـراه مناسـبًا و في أي وقـت يحـضر محـاضرة أو لا فهـو حـر في أفعالـه وهـذه ميـزة عندهـم ولقـد اسـتفدنا منهـا الآن ..

ــ سمعت صوت محمود يقول:

ـــ مـا موضـوع السـاحرة هـذه يـا رقيـة فأنـا لا أفهـم أخبرينـي بالأمـر مـن فضلـك؟

وهنا لم تعد تتذكر شيئًا ...

فـماذا يقـول هـؤلاء الملاعـين؟ ومـاذا وضعـوا لهـا بعصـير الليمـون هـذا؟

ولكنها تريد تلك الساحرة الآن..

ساحرة الفودو..



الفصل الثالث عشر

ساحرة الفودو

وجدت نيرمين نفسها أمام طريق مظلم كالممر وفي نهايته نفق أكثر ظلمة من الطريق فلا ترى شيئًا من شدة ظلامه الدامس وسواده الحالك ..

ولكنها كانت تنتظرها هناك في نهاية ذلك الممر المظلم ..وكأنها تنتظر نهاية العالم ...ولكن من تنتظر تلك الغبية بهذا الظلام وتترك الجميع من أجلها هي ...

ومن غيرها بشعرها المنكوش وثيابها الغريبة الزاهية وعيونها الحمراء الدموية ..إنها هي...

ساحرة الفودو...

ولكن ماذا تريد منها المرأة من جديد ..؟

فهي لم تفعل شيئًا ..

كانت نظراتها مخيفة غاضبة وصوتها زلزل كيانها بصوتها الغليظ المخيف :

ــ أمازلت هنا ولم ترحلي بعد؟ ألم أقل لكِ إنك جلبت الشر معك يا فتاة ..

خرج صوتها مهزوزًا متوترًا وهي تقول :

ـ ماذا فعلت لك ؟؟

ـ ارحلي فستجلبين الشر إلى أي مكان تذهبين إليه فهو يتعقبك أينما ذهبت؟

ـ ولكن لماذا تقولين ذلك ولماذا أجلب الشر ؟؟

ـ لأن دمائك ملعونة وهو يتبعك لن يتركك مهما فعلت ولقد أوشكت الأخرى على فعل ما يريد ارحلي من هنا..

ـ الأخرى من تقصدينناردين أختي

ـ لا تذكري اسمها أمامي فلقد أعطاها القوة والسلطة وستعرف فهي أقوى مني وربما أذتني تلك الملعونة إن أخطأت في حقها ارحلي الآن فلا تجلبي لنا الشر فيكفي ما نحن فيه وما نعانيه من فقر وجوع وجهل ومرض فلا ينقصنا شيء آخر ارحلي يا فتاة بلعنتك؟؟

وبعدها رحلت من أمامها غاضبة وظل الصوت يتردد في عقل نيرمين «ارحلي يا فتاة بلعنتك»

فهتفت بصوت عالٍ :

ـ انتظري و أخبريني أي لعنة فأنا لا أفهم ...

وهنا استيقظت نيرمين لتجد نفسها على فراشها ودكتور كمال يجلس على المقعد بجوارها ومحمود وصديقاتها جميعهن كان الجميع يشعر بالقلق عليها.

فقالت نيرمين بألم :

ـ ماذا حدث؟؟

ـ الحمد لله أنك بخير يا نيرمين ..

ـ رباب ماذا حدث لي ؟

فرد الطبيب كمال :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا نيرمين يبدو أنك تعرضت لضغوط شديدة الفترة السابقة ارتاحي وستتحسنين إن شاء الله فأعصابك متعبة قليلًا

نظر لها محمود بقلق:

ـ هل أنتِ بخير الآن يا نيرمين؟؟

ـ الحمد لله بخير يا محمود لا تقلق علي من فضلكم ارحلوا فأنا أريد النوم ...

فخرجوا جميعًا من الغرفة :

ولكنها استوقفت رقية قائلة:

ـ انتظري رقية فأنا أريدك أنتِ ورباب ..

نظر محمود لها وكان يفهم كل شيء فلقد أخبرته رقية بما حدث أمس فقرر الوقوف خارج باب الغرفة فهو متأكد أنها ستذهب لمقابلة المرأة ..

و إن لم تفعل فلا تكون تلك حبيبته المجنونة التي أحبها و اختارها قلبه من بين جميع نساء العالم.

****

في الفندق بغينيا حيث القافلة الطبية الوقائية ..

قالت نيرمين بإصرار وقوة :

ـ هيا بنا يا فتيات ؟؟

ـــ الآن يــا نيرمــين انتظــري قليــلًا حتــى تتحســن صحتــك يــا مجنونة ؟

ـ لا يا رباب فلابد أن أرى تلك المرأة الآن ...

خرجــن هــن الثلاثــة مــن الغرفــة وكان هــو يراقبهــن مــن بعيــد ويتســتر بالظــلام فـكان يعــرف أنهــا ســتفعل وســتذهب لتلــك الســاحرة ؟؟

خرجــن مــن الفنــدق حتــى وصلــن إلى ذلــك الســوق الغريــب كان الســكان المحليــون يبيعــون الأشــياء البســيطة مــن صنــع أيديهــم وكانــت تنظــر لهــم نيرمــين بتعجــب ..

إلى أن وصلــت لتلــك الخيمــة الحمــراء اللــون كان مرســوم عليهــا الكثــير مــن الرســومات الغريبــة تثــير التوتــر في النفــس والفــزع ...

كان هنــاك طاولــة منخفضــة رصــت فوقهــا الكثــير مــن الأشــياء الغريبــة مــن أقنعــة وشــعر و أنيــاب وجلــود حيوانــات أشــياء غريبــة وكانــت هــي تجلــس عــلى الأرض في وضــع القرفصــاء ومغمضــت العينــين.

لقــد عرفتهــا نيرمــين بالرغــم مــن ذلــك الطــلاء الأبيــض الــذي تدهــن بــه جبهتهــا وخدودهــا بعمــل بعــض العلامــات الغريبة الشــكل..

نظرت إلى نيرمين طويلًا ثم قالت بلغة غريبة :

Eu trouxe com você, O mal menina Arhali e outros Hrra tem Ashkt para terminar de preencher com sangue

قالت نيرمين وهي تنظر إلى رباب برجاء :

ــ قولي لي يا رباب ماذا تقول من فضلك الساحرة..

قالت رباب بقلق وهي تنظر إلى بعض الكلمات بالكتاب الصغير بيديها :

ــ إنها تقول لقد جلبت الشر معك يا فتاة ارحلي وحرري الأخرى فلقد أوشكت على الانتهاء من ملئه بالدماء

أخذت نيرمين تبكي بقهر وهي تقول للساحرة :

ــ لماذا تقولين ذلك أنا أعرف أنك تعرفين شيئًا أخبريني الحقيقة من فضلك؟؟

نظرت لها طويلًا ثم قالت بغضب:

Eu trouxe o mal com você Vdmaik amaldiçoou.

ــ ترجمي يا رباب هل قالت أن دمائي ملعونة

نظرت لها رباب بدهشة كبيرة وهي تقول نعم يا نيرمين فهي تقول :

ــ لقد جلبت الشر معك فدماؤك ملعونة

وهنا بدأت الساحرة تردد الكلام بصوت عالٍ حتى بدأ الناس يتجمعون من حولهم وينظرون لهم برعب وعيون مفزوعة

وهنا ظهر محمود وهو يحاول إبعاد الناس من حولهن وقال بصوت غاضب:

ــ هيا من هنا فلقد بدأ الناس يتوترون من كلام تلك المخرفة وربما آذوكم هيا ابتعدن ..

خرجوا من السوق بصعوبة شديدة أمام نظرات الناس التي كانت تريد الفتك بهم وقتلهم وكأنهم وباء سيصيبهم بالموت فمصير الساحرات جالبات الخراب و الشر هو الموت لا محالة

وتعليقهـن بالشـجرة المقدسـة شـجرة السـاحرات بعـد تجريدهـن مـن ثيابهـن وصلبهـن هكـذا تحاكـم السـاحرات هنـاك ليكـن عـبرة لغيرهـن مـن الأشرار ولكـن كيـف تتبعـت تلـك المـرأة نيرمـين وعرفـت بقصـة مـلء الصنـدوق ؟؟

كان هـذا السـؤال يشـغل بالهـا وهـي تنظـر إلى الوجـوه السـمراء والعيـون المذعـورة مـن حولهـا بتوتـر ولكـن كان بالهـا مشـغولًا بشـدة ومتحـيرًا فكيـف عرفـت المـراة بقصتهـا وقصـة الصنـدوق ؟؟

لابد أن تعرف..

****

بداخل الطائرة

جلسـت شـاردة الذهـن عـلى مقعدهـا بالطائـرة تنظـر إلى النافـذة الزجاجيـة بجوارهـا بـشرود وجلـس هـو بجوارهـا ينظـر إليهـا بغضـب وحنـق بوجهـه عابـث فلقـد أصر عـلى عـدم تركهـا تعـود إلى مـصر بمفردهـا بعدمـا أصرت عـلى الرحيـل فـترك القافلـة الطبية وتـرك كل شيء خلـف ظهـره في غينيـا وعـاد معهـا إلى مـصر مـن أجلهـا هـي فهـي أول و أخـر حـب في حياتـه فلـم يشـاء أن يتركهـا وهـي بتلـك الحالـة الغريبـة والهذيـان ولكنهـا لم تتكلـم أو تفتـح فمهـا بكلمـة واحـدة منـذ أن غـادرا الفنـدق بغينيـا وحتـى اسـتقلا الطائـرة فلـم تشـكره حتـى عـلى مـا فعلـه معهـا أمـس وإنقاذهـا مـن الأفارقـة المتوحشـين بالسـوق هـي وزميلاتهـا فلـولا وجـوده بتلـك اللحظـة لكانـوا فتكـوا بهـن وأكلوهـن أحيـاء!

أخذت مضيفة الطائرة تردد بالإنجليزية بصوت رقيق :

«عـلى جميـع السـادة الـركاب الالتـزام بمقاعدهـم والتأكـد مـن ربـط أحزمـة الأمـان سـتقلع الطائـرة بعـد لحظـات»

كانـت هـي شـاردة تمامًـا في زمـان ومـكان آخـر لا تشـعر بـأي شيء يـدور حولهـا ولا حتـى بوجـوده بجوارهـا عـلى متـن تلـك الطائـرة العائـدة إلى الوطـن فكانـت تفكـر في ذلـك الحلـم الغريـب الـذي راودهـا أمـس .

فلقـد رأت الشـيخ الجليـل الـذي كان يزورهـا مـن وقـت لأخـر وكانـت تشـعر بالأمـان والراحـة لمجـرد النظـر إلى وجهـه المنـير ولكنـه كان غاضبًـا منهـا تلـك المـرة بشـدة بالرغـم أنهـا لم تفعـل شـيئًا ولا تـدري لمـاذا هـو غاضـب منهـا فلقـد نفـذت مـا كان يريـد وابتعـدت عـن كل شيء عـن المنـزل وعـن أختهـا وعـن مـصر كلهـا وتركـت كل شيء خلـف ظهرهـا ورحلـت ؟؟

حاولـت أن تسـأله عـن سـبب غضبـه ومـا معنـى كلام تلـك المخرفة المجنونـة و أنهـا جلبـت الـشر معهـا إلى البـلاد، تلـك المـرأة الأفريقيـة السـوداء التـي يلقبونهـا بسـاحرة فـودو؟

هـي لا تفهـم و لا تعـرف حتـى معنـي الكلمـة ربـما عرفـت معنـى كلمـة سـاحرة أي مشـعوذة ودجالـة تمـارس السـحر الأسـود أو الأحمـر حتـى لا يهـم ولكـن مـا معنـى كلمـة فـودو فهـل حقًّـا هـي ديانتهـم هنـاك ؟؟

هـزت رأسـها بعنـف أنهـا لا تعـرف وكان هـو مـازال ينظـر إليهـا بغيـظ وغضـب فمنـذ أن قـررت السـفر وتـرك القافلـة الطبيـة الوقائيـة التـي أرسـلتها وزارة الصحـة إلى غينيـا وغـادرت الفنـدق وحتـى الآن لم تنطـق بكلمـة واحـدة معـه ولم تشـكره حتـى عـلى مسـاعدته و إنقاذهـا مـن الأفارقـة بالسـوق الذيـن كانـوا سـيفتكون بهـم يومهـا بسـبب كلام تلـك المشـعوذة الشـمطاء التـي يلقبونهـا بسـاحرة الفـودو التـي صرخـت

في الناس أن الفتاة جلبت الشر معها إلى البلاد فتوتر الموقف بشدة وكادوا يقتلون الفتيات بالسوق وربما سلخوا جلودهن وعلقوهن بشجرة السحرة هناك.

فقال محمود بغضب يشوبه القلق :

ـ نيرمين هل أنت بخير الآن..؟؟

لم ترد نيرمين عليه بل كانت تتذكر قصتها من البداية وانتهت عند ذلك الحلم الغريب الذي رأته أمس بعد عودتها من السوق فلقد رأت الشيخ الجليل وسألته لماذا فعلت الساحرة معها ما فعلت لم يرد عليها الرجل ولم يتكلم كان يشعر بآلام و وجه أسود على غير عادته و حزين ..

صرخت في وجهه قائلة :

ـ بالله عليك أخبرني يا شيخ لماذا تقول المرأة إن دمائي ملعونة فماذا فعلت أنا فلم أوذي أحدًا من قبل ؟؟

وهنا نظر لها بحزن شديد وتساقطت العبرات على خده و أشار إلى رجل يحتضر كان الرجل يشبهه هو تمامًا ولكنه كان يموت فلقد كان الرجل ينزف وممدد على محفة بيضاء غارقة بالدماء ووجهه شاحب كالأموات فهل مات الرجل نتجة حمى نزفية؟ هل هو مرض الإيبولا ..

صرخت في وجه الشيخ قائلة:

لا أفهم من هذا الرجل ولماذا يتركونه ينزف حتى الموت وتتعفن جثته لا أفهم ...

ـ فرد عليها الشيخ بحسرة :

إنه جدك الأكبر يا فتاة الشيخ إمام

ـــ جـدي الأكـبر هـل أنـت جـدي وكيـف لا أفهـم شـيئًا أرجـوك أخـبرني مـاذا يحـدث ومـاذا حـدث لـك ولمـاذا يتركونـك تنـزف ..؟؟

ــ لم يرد عليها الرجل بل نظر لها طويلًا ورحل و هو يقول :

ــ سامحيني يا فتاة فالغلطة غلطتي والذنب ذنبي.

وهنـا استيقظت مـن النـوم مذعـورة تشـعر أن هنـاك شـيئًا خاطـىء سـيحدث فقـررت الرحيـل والعـودة إلى مـصر.

وهنـا عـادت بذاكرتهـا لأول محـاضرة لهـا عـن ذلـك المـرض اللعـين « فـيرس إيبـولا»

هـي تعـرف أعـراض المـرض ولكـن مـا هـذا فهـل مـات جدهـا بفـيرس الإيبـولا وفي مـصر ؟؟

ولكن كيف أصيب بذلك المرض وكيف انتقل اليه ؟

إنــه شيء غريــب فلكــي ينتقــل المــرض لابــد مــن لمــس شــخص مصــاب والاتصــال المبــاشر معــه فكيــف حــدث كل هــذا ومــع مــن تعامــل جــدي ولمــس جســده المصــاب ؟

فعـادت بذاكراتهـا إلى هنـاك لأول محـاضرة عـن المـرض وكان دكتـور كـمال هـو المحـاضر فقـال بصوتـه الرصـين:

ـــ يرصـد مـرض الإيبـولا في مراحلـه الأولى بالارتفـاع المفاجـئ في درجـة الحـرارة والآلام الشـديدة بالـرأس وآلام العضـلات وفي مرحلـة ثانيـة يشـهد الجسـم نزيفًـا داخليًـا وخارجيًـا بالإضافـة للتقيؤ والإسـهال وقصـور في وظائـف الـكلى وينتقـل الفـيروس بالاتصـال المبـاشر مـع الـدم أو السـوائل الحيويـة أو أنسـجة الأشـخاص أو الحيوانـات المصابـة

وتشكل مراسم الدفن حيث يحتك الأهل والأقارب بجثة المصاب عنصرًا مهما في انتقال المرض.

إن «فيروس الإيبولا معد لكنه لا ينتقل بالمياه ولا بالجو والأهم هو عدم لمس الأشخاص الذين تظهر عليهم أعراض المرض فلابد من إجراءات دفن آمنة لأنه في كثير من الثقافات يلمس أعضاء الأسرة الجثمان خلال الجنازة وفي هذه اللحظة ينتقل إليهم المرض» .

لا تدري لماذا تذكرت كلام الشيخ الجليل عن الجن وعن ذلك العالم الغامض وتذكرت تلك الفقرة التي قرأتها بالكتاب:

« وبقى على الأرض قسمًا من الجن، هربوا إلى المغارات وأعالي الجبال وفي أسفل البحار والمحيطات

واتخذوا بعض المواقع التي يتكاثرون فيها ويعيشون، ولما هبط الإنسان على الأرض تطور وصنع الغواصات والطيارات والسفن، وجاب الأرض وانتقل من مشارقها إلى مغاربها، وبدأ يشكل خطرًا على وجود الجن لما انتقل إلى مواقعهم، فأهابوه و أفزعوه وتسببوا في مرضه بأمراض غريبة لم يسمع أحد من قبل عنها.»

نظر محمود إليها بحيرة وبغضب فمنذ أن قررت السفر وغادرت الفندق وحتى الآن لم تنطق بكلمة واحدة معه ولم تشكره حتى على إنقاذها من الأفارقة بالسوق الذين كانوا سيفتكون بهن يومها :

فقال محمود بغضب ليقطع حبل افكارها :

ـــ نيرمين هل أنت بخير ..ولكنها لم ترد عليه أو تلتفت له فكانت تحاول ربط كل تلك الأمور برأسها لتصل إلى أجوبة عما يحدث لها ولمن حولها ...

ولكــن مــا توصلــت لــه كان خطـيرًا ومثـيرًا للجـدل والشـك معـًـا فلــن يصدقــه عقــل أو يســتوعه أبــدًا

فهـل جدهـا الأكـبر الشـيخ إمـام مـات بسـبب فـيرس الإيبـولا الــذي لم يكتشــف ســوى مــن فــترة قليلــة ؟

و إن كان صحيحـًـا مــا توصلــت لــه فكيــف لم يمــت أحــد مــن عائلتــه وبيتــه بنفــس المــرض فالمفــروض أنــه مــرض معــدٍ ؟ وكيــف لم تســجل حالتــه مــن قبــل ؟

أنــا لا أفهــم شــيئًا ..فهــل هــي حقًّــا لعنــة أصابتــه ولكــن لمــاذا؟ فــماذا فعــل جدهــا لتصيبــه لعنــة ويمــوت بتلــك الطريقــة البشــعة التــي رأتــه فيهــا لقــد كان ينــذف وحيــدًا ككلــب أجــرب يخشــى النــاس مــن الاقــتراب منــه ؟



الفصل السادس عشر

الغريب

صرخ محمـود بغضـب وبصـوت عـالٍ ممـا جعـل الـركاب ينظـرون لـه بفضـول:

ــ نيرمين ماذا بك هل فقدت عقلك لا أدري لماذا تغيرت ؟

وهنـا قطعـت حبـل ذكرياتهـا بقـوة والتفتـت إليـه وكأنهـا تـراه لأول مـرة فقالت:

ــ محمود ؟؟ لماذا تصيح بتلك الطريقة الغريبة أمام الناس؟؟

ـــ لمـاذا أصيـح هـل تعلمـين أنـك منـذ أمـس ولم تنطقـي بكلمـة واحـدة وحتـى نهايـة الرحلـة التـي اسـتمرت لسـاعات طويلـة فأنـا أريـد أن أعـرف مـاذا يحـدث لـك نيرمـين؟

ـــ أرجـوك اتركنـي الآن فأنـا مشـغولة الفكـر عـلي أختـي وقلقـة عليهـا وأريـد أن أرتـب أفـكاري و أعـرف مـا يجـب عـلي فعلـه يـا محمـود قبـل أن أعـود إلى مـصر و إلى ن

ــ ترتبي أفكارك وهل حديثي معك سيمنعك من ذلك؟؟

ـــ مـن فضلـك دعنـي الآن يـا محمـود فأنـا لا أريـد الحديـث في أي شيء الآن وأغمضـت عينيهـا ولم تلتفـت إليـه.

نظـر محمـود إليهـا بغضـب ولم يـرد ...بـل ابتلـع لسـانه ونظـر لهـا بغضــب في صمــت ؟؟

هبطت الطائرة في مطار القاهرة فقالت نيرمين بلامبالاة:

ــ حمدًا لله على الوصول بالسلامة يا محمود .

حمدًا لله رد محمود بدون نفس عليها ..

ـــ محمـود لابـد أن أذهـب إلى مشـوار ضروري وبعدهـا سـأذهب إلى منـزل أبي وأختـي لعـل أبي قـد عـاد إلى المنـزل مـن يعلـم ؟

ــ هل تريدين مني أن أتي معك و اصطحبك إلى هناك؟

ــ لا .. أفضل أن أكون بمفردي...فالموضوع شخصي

ـــ هـل بعـد أن تركـت كل شيء مـن أجلـك تقولـين لي هـذا يـا نيرمــين؟

لم ترد نيرمين بل نظرت إليه بحزن ورحلت ...

هــي تعـرف أنـه فعـل مـن أجلهـا الكثـير ولكنهـا لا تسـتطيع أن تورطـه في شيء أخـر فهـي تعلـم أن شـيئًا سـيئًا سـيحدث ولا تريـد أن تورطـه في شيء فهـو لا يسـتحق ولا أمـه التـي عاملتهـا كابنتهـا تسـتحق ذلــك ؟

****

في الشقة السفلية

جلسـت هـي عـلى الأرض حـول تلـك المنضـدة الصغـيرة و أمامهـا الصنـدوق الأسـود لقـد أوشـك عـلى الامتـلاء فلقـد اسـتطاعت مـلء أكثـر مـن ثلاثـة أربـع الصنـدوق وبقـى جـزء قليـل ربـما أقـل مـن الربـع بكثـير...

كانـت رائحـة البخـور قويـة ودخانـه يمـلأ المـكان مـن حولهـا كالضبـاب الكثيـف أخـذت تـردد بعـض الكلـمات بلغـة غريبـة وبصـوت مخيـف يـأتي مـن عـوالم وأزمنـة أخـرى غـير عالمنـا فزلـزل الجـدران مـن حولهـا كانـوا هـم يقفـون ويسـترون في الظـلام بعيونهـم الحمـراء الدمويـة كانـوا يريـدون الخـلاص فلقـد أخـذوا العهـد عـلى حمايـة نسـل مخدومهـم مـن بعـد موتـه ولـن يخلفـوا العهـد حتـى يموتـوا وتأتيهـم المنيـة هكـذا عاهـدوه..

فهـم في الحقيقـة أفضـل مـن البـشر بمراحـل عـلى الأقـل الجنـي المسـلم التقـي إذا أخـذ معـك عهـدًا فإنـه لا يخونـه مهـما حـدث ويلتـزم بـه تمامًـا وينفـذ مـا وعـدك بـه، أمـا البـشر ففيهـم كل الآثـام والخيانـة وعكسـهم تمامًـا، فربـما وعـدوك بـشيء مسـاء واخلفـوا وعدهـم صبحًـا ..فـلا تتعجـب

وهـا هـم يقفـون عاجزيـن أمـام تنفيـذ وعدهـم للشـيخ الأكـبر فلقـد كانـوا يسـاعدون الدرويـش في عملـه فلقـد كان يسـخرهم في عمـل الخـير وخدمـة النـاس بآيـات الله فهـم مؤمنـون بـكلام الله ومسـلمون، فكانـوا يخدمونـه ولا يملـون أو يتذمـرون مـن شيء ولكـن تلـك الفتـاة قويـة وقـادرة ولم تتخـذ مسـلك الدرويـش أباهـا أو جدهـا الأكـبر، ولكنهـا اتخـذت مسـلك أخـر بعيـدًا عنهـم، فـماذا يفعلـون فلـن يسـتطيعوا مسـاعدتها عـلى مـا تفعلـه ولـن يسـتطيعوا أن يقفـوا في وجههـا فـكان بسـمائيل جنيًـا قويًـا يسـتعين بعشـائر مـن جـن الوديـان الملعونـين لينفـذ مـا يريـد وكان يحميهـا ويعطيهـا الكثـير مـن القـوة فتسـتطيع فعـل مـا تريـده وهـا هـي لقـد أوشـكت عـلى الانتهـاء فبقـى لهـا القليـل مـن الدمـاء وتكمـل مـلء الصنـدوق ووقتهـا لـن يدعهـا تحـي أو يـترك أختهـا التـوأم تحيـى يومًـا واحـدًا، هـي لا تفهـم ذلـك

ومهمتهم هي حماية نسل الشيخ فماذا يفعلون كانت تلك السيدة تجلس وتحكي قصتها، هم يعرفون ما سيحدث ليس تنبأ بالغيب فهم لا يعرفونه ولكن ناردين بقى لها القليل فستطلب من المرأة الدماء هم لم يستطيعوا منعها ولكنهم سيمنعون المرأة من إحضارة كما فعلوا مع الآخرين لقد كانوا يخيفونهم ويجعلونهم لا يعودون بالأطفال إليها .

ولكنه وقف لهم وحاول منعهم، ولكنهم سيحاولون فهي فرصتهم الأخيرة ويعتقدون أن ذلك الشاب هو الأخر سينفذ ما تريده الفتاة ..وسيحضر لها الدماء النقية مهما كان الثمن.

****

جلس الشاب الذي لا يتجاوز الثلاثين من عمره أمام ناردين وكانت يده ترتعد بطريقة غريبة وكأنه مصاب بمرض الرعاش قائلًا بتوتر وهو ينظر إلى عينيها بفزع :

ـــ اسمي غريب ولقد كان اسمي على مسمى فأنا غريبٌ في تلك الدنيا و أشعر أن هذا العالم ليس بعالمي فمنذ طفولتي وأنا أشعر بميل غريب ناحية عالم ما وراء الطبيعة والأشباح والجن و أشعر أنى خلقت لكي أرتاد هذا العالم فلقد كنت أشعر طوال الوقت أن هناك شيئًا غريبًا وأنني مختلف عن كل البشر ومتميز عنهم وبي شيء غريب لا أعرف ما هو فكنت دائم الشرود والتفكير في هذا العالم الغامض الغريب و أشعر أنى خلقت لكي أكون أحد أفراد عالم ما وراء الطبيعة وكنت دائم التفكير فى الباراسيكولوجى و الظواهر الخارقة.

وفى أحد الأيام منذ أكثر من خمسة عشر عامًا كنت في زيارتي

لمدينــة الإســكندرية وكنــت بشــارع النبــي دانيــال بالعطاريــن وهنــاك بالشــارع كان البائعـون يجلسـون عـلى الأرض ويفترشـون الأرصفـة لبيع الكتـب القديمـة فوجـدت كتابًـا غريبًـا اسـمه « كتـاب شـمس المعـارف الكـبرى» بطبعتــه القديمــة ذات الــورق الأصفــر والغــلاف الأصفــر السـميك و بعـض الكتـب الأخـرى التـي تتحـدث عـن السـحر وتحضير الجــن ومــا وراء الطبيعــة .

ومــا إن رأيــت هــذه الكتــب حتــى تملكتنــي الرغبــة الشــديدة في شرائهــا ومعرفــة مــا بهــا والتعــرف عــلى ذلــك العــالم الغامــض الــذي يجذبنــي دائــمًا ...

فلــم أتــردد لحظــة واحــدة واشــتريتها كلهــا بســعر مغــرٍ وبــدأت بكتــاب شــمس المعــارف اقــرأ فيــه في بعــض الصفحــات واقــرأ الكتــب الأخــرى وكان ضمــن المجموعــة كتــاب اســمه «حكايتــي مــع الجــن والعفاريت»وكتــاب « دعــوة الجلجلوتيــة الكــبرى

«وكتــاب «مطرقــة الســاحرات»، « تحضــير الجــان» «القســم الســليماني»

منــذ أن بــدأت بقــراءة تلــك الكتــب الغريبــة هــذه اللحظــة وقــد تبدلــت حيــاتي تمامًــا حيــث بــدأت أشــعر بوجــود أحــد معــي في الغرفــة و بــدأت أرى الصــور التــي عــلى الحائــط تبتســم لي وتغــير مــن شــكلها أحيانــا ..

لقــد كنــت في هــذه الفــترة صغــيرًا في مرحلــة المراهقــة فأصابنــي الرعب والفــزع فرفعــت كل الصــور مــن البيــت، و جمعــت كل الكتــب التــي اشــتريتها ووضعتهــم في حقيبــة ووضعتهــم فــوق الخزانــة حتــى أتناســاهم نهائيًــا ولكــن الظواهــر والأشــياء الغريبــة لم تختــفِ بــل كانــت مســتمرة

كنت أوهم نفسي أنها أوهام ولم أركز معها و بعد عدة سنوات قتلني الشوق إلى هذا العالم وتلك الكتب من جديد وقتها كنت أنهيت دراستي الجامعية ولم أكن وجدت عملًا مناسبًا بعد، فكنت أشعر بالفراغ الشديد والشوق لتحقيق أحلامي كنت أعرف أنك إن حضرت جني وسخرته لخدمتك ربما حقق لك ما تريد ففكرت ولما لا فربما سخرت جنيًا وحقق لي ما أريد ..ووجدت عملًا مناسب وسيارة ومنزلًا أتزوج فيه وعروسًا جميلة فوق البيعة من يدري فللجن طرقهم الخاصة في تحقيق الاحلام؟

أنزلت الكتب القديمة التي كنت اشتريتها قديمًا من فوق الخزانة وبدأت بقراءتها بعمق تلك المرة وليس قراءة عابرة والتهمتها من الجلدة للجلدة وكأنني سأمتحن فيها ...فلقد حفظت أجزاء منها عن ظهر قلب .

و بدأت أشعر من جديد أنه يوجد أحد في الغرفة معي ويراقبني ولكن هذه المرة بدأت تحدث أشياء أغرب فمثلاً كنت أجلس يوم بمفردي رأيت شخص يمشى فى الصالة وظننت وقتها أنه واحدًا من أهلي لأني لم أميز ملامحه جيدًا ثم اكتشفت أنني وحدي في المنزل فعائلتي خرجت يومها لزيارة عمي المريض وكنت كثيرًا أشعر بتنفس أحدهم خلفي فلهيب أنفاسه تحرقني على الرغم أنى أجلس في غرفة مغلقة .

أدخل إلى غرفتي فأشعر بالباب يغلق بقوة أكبر مما أغلقه بها كأن أحدًا يدفعه معي و أسمع صوت أشياء تتحطم وتسقط أرضًا وعندما أبحث لا أجد أي شيء نهائيًا ..

فكانوا يريدونني أن أعرف أنهم حضروا، فبدأوا يحركون الجماد

مـن حـولي ولكنـي كنـت غبيًـا ولم أفهـم شـيئًا فلـم تكـن عنـدي الخـبرة عـن إشـاراتهم للحضـور.

فكنـت أخـاف مـن دخـول دورة الميـاه لأننـي عندمـا أدخـل فأشـعر بوجـود شـخص يراقبنـي و أسـمع صوتًـا غريبًـا وكأن شـيئًا وقـع بجـواري ولمـس قدمـي فأنظـر برعـب فـلا أجـد شـيئًا فكنـت أشـعر بمـن مـرر ريشـة عـلى قدمـي .

كنت أشعر بخوف غريب ومبهم من كل ما يحدث حولي..

وذات يـوم كنـا نجلـس أنـا وأخـي نلعـب ولا أدري لمـا ألتفـت إلى غرفتـي في تلـك اللحظـة فوجـدت شـخصًا غريبًـا ينظـر إلينـا مـن ركـن الغرفـة المظلـم، كانـت هيئتـه مريعـة وعيونـه حمـراء دمويـة ولكنـه اختفـى بسرعـة خـلال ثـوانٍ حتـى مـن قبـل أن أصرخ لـيراه غـيري..

كنـت أعتقـد أنهـا هـلاوس بصريـة خـداع بـصري و ارتحـت لهـذا التفسـير حتـى لا أوهـم نفسـي ولكنـي كنـت أشـعر أن شـيئًا غريبًـا يحـدث معـي إلى أن جـاء ذلـك اليـوم الشـؤم الـذي لـن أنسـاه مـا حييـت يـوم قابلتهـم وسـمعت صوتهـم ..

وقتهـا كنـت أسـير في الصالـة وكانـت الغرفـة مظلمـة فنظـرت داخلهـا فرأيـت نفـس الشـخص بمنظـره وهيئتـه المريعـة وبعيونـه الحمـراء الدمويـة يقـف في ركـن مـن أركان الغرفـة وتنـير عينيـه المكان، ينظـر إلى ويبتسـم بسـخرية هـذه المـرة تأكـدت أن الأمـر ليـس وهمًـا ولكـن يبـدو أننـي جلبـت الـشر بقـراءة تلـك الكتـب التـي لم أفهـم معناهـا حقًّـا ويومهـا قـررت أن أتـرك هـذا العـالم بـلا رجعـة و أن أحـرق جميـع الكتـب ..

جمعت الكتب وقمت بتقطيعها جميعًا وتمزيقها بما فيهم كتاب شمس المعارف ووضعتها في كيس كبير استعدادًا لحرقها صباحًا فوق سطح المنزل لأن كمية الورق كانت كثيرة

وفى هذه الليلة كنت خائفًا و أشعر بالرعب الشديد والقلق لا أدري لماذا وهنا سمعت أصوات تنفس أحدهم في غرفتي بصراحة فانتصب شعر يدي قررت أن أدخل كلبي إلى الغرفة بعد نوم كل عائلتي، لأني أعلم أن الحيوانات وخصوصًا الكلاب تستطيع أن ترى الجن بما منحها الله من هذه القدرة فوجدت الكلب ينظر إلى ركن من أركان الغرفة بعيون متسعة وينبح بشدة بطريقة مفزعة وشعر جسمه وآذانه انتصب بشكل غريب ثم يصعد على السرير بفزع ويلف حول نفسه وينظر لنفس البقعة وينبح بشدة وبعدها ذهب إلى الباب محاولًا الخروج وهو ينظر إلى نفس الركن وبعدها ذهب إلى باب الغرفة و أخذ يضرب الباب في محاولة للخروج والفرار من الغرفة وما بداخلها .

فأخرجته وأنا أشعر بالرعب والفزع والتوتر فلقد تأكدت أن هناك شيئًا غير طبيعي وهناك جني بالغرفة أثار فزع الكلب .

إنه نفس الركن الذي أشعر فيه بتنفس أحدهم دائمًا وهو نفس الركن من الغرفة الذي رأيت فيه الرجل يبتسم لي ..

وهنا غطيت جسدي بالكامل بالبطانية بينما عيوني تدمع وبعد فترة حاولت أن أستجمع شجاعتي وقلت بخوف وبصوت متقطع خرج بصعوبة من حلقي الجاف :

ــ هل هناك أحد بالغرفة من عمار المكان ؟

لم يرد أحد فتشجعت وهمست لنفسي ربما كانت أوهام فقلت :

ـــ إن كان هنـاك أحـد بالغرفـة فليرحـل بسـلام وبـدأت اقـرأ سـورة الزلزلـة لأني علمـت مـن قـراءاتي أنهـا لـصرف الجـان وقبـل أن أصـل إلى كلمـة أشـتاتًا سـمعت صوتًـا خافضًـا هـادئ يقـول :- هـل تريـدني أن أرحـل حقـا بعـد أن حضرتنـي؟؟

توقفـت الكلـمات في حلقـي وشـعرت بالصـداع والتوتـر فلـم اسـتطع إكـمال السـورة وكـرر الصـوت السـؤال ثانيـة :

ــ هل تريدني أن أرحل حقًّا بعد أن حضرتني؟؟؟

ــ فرددت بصوت مهزوز :

ــ من أنت ؟

فرد بنفس السؤال ثانية :

ــ هل تريدني أن أرحل حقًّا بعد أن حضرتني ؟؟؟

لم أسـتطع أن أرد عليـه لقـد كنـت خائفًـا مرعوبًـا وهنـا حـدث مـا كان ينقصنـي..

فلقــد انفصلــت الكهربــاء و وجــدت الغرفــة وقــد أظلمــت كالقبــور..

و وجـدت جسـدي يرتفـع بهـدوء عـن السريـر و أشـعر أن هنـاك يـد خفيـة تحركنـي كنـت أحـاول الحركـة ولكنـى كنـت أشـعر أننـي مقيـد بغـير قيـود كنـت أسـمع صـوت خـوار ثـور ممتـزج مـع مـواء قطـط شـعرت بالرغبـة في التقيـؤ وإفـراغ مـا في معـدتي، وتملكنـي إحسـاس عجيـب ومريـع ..

لا أسـتطيع وصفـه حتـى إننـي بللـت ملابسـي ثـم وجـدت نفـسي عـلى شيء يشـبه طاولـة العيـش أو خشـبة طويلـة محمـولًا عليهـا، وبعدها سـمعت صـوت أجـش غليـظ يقـول لي بغلظـة :

لـولا أننـا نعلـم أنـك لم تكـن تقصـد مـا كنـا سـامحناك عـلى تمزيـق الكتـب أيهـا الإنـسي الأحمـق.

و أكمل الصوت قائلًا بغلظة:

إن إحـراق الكتـب شيء خطـير وربـما أصابـك بـضرر كبـير فـإذا أردت التخلـص منهـا يجـب أن تضعهـا في المـاء يـوم أو اثنـين حتـى تـذوب بالكامـل وتنمحـي الكتابـة أو تـذوب الأوراق ولا يعـود لهـا أثر.

وقتهـا يمكنـك أن تتخلـص منهـا أن ترمـي الأوراق المبتلـة في مـكان وترمـى المـاء في مـكان أخـر فـلا يجتمعـان ثانيـة.

يومهـا عـدت إلى سريـري و أنتهـت التجربـة المريـرة ولكنـى في هـذه الليلـة سـمعت أصواتهـم المريعـة فقـط ولم أرهـم.

و أخذت أسمع أصواتهم باستمرار وأحدثهم ويحدثونني

و أخـبروني أنهـم يتشـكلون في صـور مخيفـة لكـي يخيفـوا البـشر و هـم متواجـدون حولنـا في كل مـكان سـكان المـكان مـن الجـان أو مـن يسـمون بالعـمار أي الجنـي عامـر.

وحينـما طلبـت منهـم أن أراهـم قالـوا: إنـى لا أسـتطيع رؤيتهـم عـلى أشـكالهم فقـد يحـدث لي مكـروه إذا رأيتهـم عـلى أشـكالهم الحقيقيـة فلـم أكـرر الطلـب مـرة أخـرى ..

ولكنهـم بـدأوا يطلبـون منـي الكثـير فلـم يحققـوا لي طلبًـا أو أمنيـة ولم أسـخرهم كـما كنـت أعتقـد، ولكنهـم هـم مـن سـخروني لخدمتهـم وجلـب لهـم الكثـير مـن الأشـياء القـذرة كـروث الحيوانـات وعظامهـا والدمـاء وأشـياء كثـيرة.

ولقـد تعبـت وحاولـت صرفهـم ولكنهـم رفضـوا أن يرحلـوا بسـلام، وقالـوا لي: إننـي ملكهـم وليـس لي سـلطان عـلى نفـسي .

فأنـا أريـدك ابنـة الدرويـش أن تخلصيني منهـم وتجعليهـم يرحلـون، فلقـد فقـدت صـوابي و ابتعـد عنـي الجميـع معتقديـن أننـي مجنـون وفقـدت عقـلي ولم أجـد عمـلًا حتـى اليـوم ولم يحققـوا لي شـيئًا !

حتـى يـدي أصبحـت ترتعـد وترتعـش باسـتمرار وكأننـي مصـاب بمـرض الرعـاش ولا أسـتطع تحريكهـا كالسـابق ولا أحـد يعـرف سـبب تلـك الحالـة التـي وصلـت إليهـا حتـى الأطبـاء احتـاروا في عـلاج يدي..

أريـدك أن تبعديهـم عنـي مـن فضلـك، أعـرف أننـي مذنـب وأخطـأت بـشراء وقـراءة تلـك الكتـب اللعينـة التـي لا أفهـم فيهـا ولكنهـم حولـوا حيـاتي إلى جحيـم أسـود اصرفيهـم ودعيهـم يدعوننـي وشـأني و أعـرف بقدراتـك الخارقـة و اتصالـك بهـم ...

نظـرت ناردين للشـاب الوسـيم الجالـس أمامهـا بعـد أن أنهـى قصتـه وكانـت دموعـه تتسـاقط وينظـر لهـا برجـاء ؟؟

و رأتهـم خلفـه أربعـة مـن الجـن الأقويـاء بأجسـادهم القويـة وعيونهـم البـارزة الجاحظـة التـي تأخـذ نصـف وجوههـم وأجسـادهم المليئـة بالشـعر الأسـود الطويـل ورؤوسـهم المسـتطيلة التـي تنتهـي قرنـان كبـيران لقـد كانـوا يرافقونـه ويجلسـون خلفـه الآن ...

هـي تعـرف أنـه سـيموت إن خـرج مـن تلـك الغرفـة فلـن يدعـوه يصرفهـم بسـهولة فهـو مـن فعـل ذلـك بنفسـه فلقـد وهـب نفسـه لهـم بقراءتـه في تلـك الكتـب الغريبـة التـي تمـارس السـحر الأسـود ولكنهـا تعـرف أيضًـا أنـه سـيفعل أي شيء ليتركـوه يحيـى بسـلام ؟

فلن تدعهم يفتكون به فهو لها الآن ؟

نعـم هـو يسـتحق المـوت وهـو مـن جلـب لنفسـه الـشر، فلـماذا يقـرأ في كتـب لا يفهـم معناهـا ؟

ولكـن المـوت ليـس الآن فهـو الـذي سـيجلب لهـا مـا تريـد لإكـمال مـلء الصنـدوق.

و لابـد مـن إحضـار الصبـي لهـا أو الفتـاة لأخـذ الدمـاء لإكـمال مـا بـدأت فلـن يوقفهـا أحـد حتـى و إن كانـوا جنًـا مـن الوديـان الأقويـاء فلـن يكونـا أقـوى منهـا ؟

****

في إحدى الحارات الضيقة في منطقة الويلي

وقفـت نيرمـين تسـأل أحـد المارـيـن عـن عنـوان مكتـوب في ورقـة صغـيرة و كان عنـوان أم نوفـل صديقـة أمهـا فلقـد قـررت أن تعـرف الحقيقـة أولًا وبعدهـا سـتذهب إلى أختهـا لتأخذهـا بالقـوة فلـن تدعهـا تحيـا يومًـا واحـدًا بذلـك المنـزل الملعـون فسـتعود معهـا إلى الإسـكندرية ويتناسـون مـا حـدث.

قال الرجل وهو يشير بيديه :

ـــ هـا هـو يـا آنسـة، إنـه ذلـك المنـزل الأصفـر هنـاك المكـون مـن طابقـين.

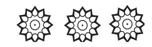
ـــ أشـكرك سـيدي ورحلـت نيرمين لتدخـل إلى بـاب المنزل القديم المتهالـك فـكان مكتـوب بالورقـة الـدور الثـاني شـقة ٤ صعـدت الـدرج ولم تسـأل أحـد أخـر وأخـيرًا وجـدت ضالتهـا فلقـد وجـدت نفسـها أمـام إحـدى الشـقق كتـب فوقهـا رقـم ٤

أخـذت دقيقـة تسـتجمع قوتهـا وبأسـها قبـل أن تدخـل وترتـب أفكارهـا ...فـماذا ستقول للمـرأة وهنـا ألقـت نظـرة سريعـة عـلى الخاتم بيديهـا و أتخـذت قرارهـا سـترن الجـرس وتعـرف مـا جـاءت مـن أجلـه.

وهنا سمعت صوتًا أجش غليظ يأتي من خلفها قائلًا :

ــ ماذا تفعلين هنا أيتها الفتاة ولماذا تقفين هكذا عندك؟

التفتـت بفـزع لـترى صاحـب الصـوت ...وبعدهـا أطلقـت صرخـة عا لية .



الفصل السابع عشر

النهاية

في الشقة السفلية قالت ناردين بصوت قوي:

- لأبعدهم عنك يا غريب لابد أن تقدم لهم القربان، فلقد أخذت العهد على نفسك ووهبت لهم جسدك وحياتك فلهم الحق في فعل ما يريدون بك أيها الأحمق فلما فعلت بنفسك هذا؟

- لا ولكني لم أفعل ذلك أبدًا أيتها الدرويشة، ولم أهب أحدًا جسدي

أطلقت ناردين ضحكة عالية ساخرة ثم قالت بصوت مخيف خرج خشن أجش غليظ:

ـــ بل لقد بعت لهم نفسك و وهبتهم جسدك يوم قرأت في كتب تحضيرهم وأحضرتهم من عالمهم إلى عالمك، فهل تتخيل أنهم سيتركونك تحيا بسلام وتفلت بفعلتك أيها الأحمق فأنت من جلبت الشر فلتتحمل نتيجته.

- وماذا أفعل يا ابنة الدرويش؟ أعرف أنني أخطأت فيما فعلت ولكن كيف أصلح خطأي الآن و أجعلهم يتركونني وشأني ؟

ــ قلت لك لابد من تقديم قربان لهم.

ــ قربان هل أذبح لهم شيئًا

ـــ لا بـل أريـدك أن تحضر بعـض الدمـاء لأطفـال صغـار لم يبلغـوا الحلـم ولم يرتكبـوا أي معصيـة

ـــ دمـاء أطفـال هـل تريدينني أن أذبحهـم أنـا لسـت بقاتـل أو سـفاح، إن كنتـي فهمتـي كلامـي خطـىء

ـــ لا لم أقـل لـك تذبحهـم بـل بعـض مـن دمائهـم ولـن تؤذيهـم في شيء أيهـا الغبـي فلسـت في محـل جـزارة لنذبـح فيـه الأطفـال

ــ وكيف هذا سيحدث أحصل على دمائهم بدون قتلهم ؟؟

ـــ أحضرهـم لي وأنـا سأسـحب منهـم الدمـاء ولـن أؤذيهـم أو يمسســـهم شيء

ـــ هـل تقولـين الصـدق؟ هـل سـتخلصينني ولـن تـؤذي الأطفـال بـأي شيء؟

- نعم لا تقلق فناردين لا تكذب ولا تخلف عهدًا مهما حدث.

ــ ولكن من أين أحضرهم ؟؟

- هـذه مشـكلتك أنـت و حياتـك وحـدك في نفس الوقـت فحلهـا بمفـردك أيهـا الغريـب فلـم يسـاعدك أحـد عندمـا أحـضرت الجنـي، ولـن يسـاعدك أحـد في إحضـار الصبـي

- سـأحاول ولكـن هـل سـأتحول إلى خاطـف أطفـال يـا مصيبتـي ولكـن لابـد أن أتحـرر فلـم أعـد أسـتطيع العيـش معهـم لقـد أرهقتنـي طلباتهـم و أتعبتنـي و أصابتنـي بالمـرض ...

وهنـا نهـض مـن مقعـده وحـاول الرحيـل لجلـب الأطفـال ولكنهـا اسـتوقفته قائلـة :

- انتظر وأعطني ذراعك أولًا ..

- لماذا؟ فماذا ستفعلين بي ؟

- لا تخف يا فتى...سأرسم لك وشمًا يحميك من بطشهم لأنهم لن يتركوك تفعل فلن ينصرفوا بسلام!

- هل سأشعر بالألم

- لا تقلق لن تشعر بشيء.

أخذت ناردين تغرز الإبرة في لحم ذراعه وتصبغه وتدق الوشم وبعد ساعة قالت له :

- لقد انتهيت وهنا حاول النظر إلى ذراعه فرفعت رأسه إلى الأعلى وأدارتها بعيدًا قائلة :

- لا، لا ترى الوشم ولا تفكر حتى في النظر إليه فهذا لمصلحتك فما رسم فيه لم يرسم إلا لحمايتك منهم فلن يؤذيك أحد حتى تعود من جديد.

ـ ولماذا أفعل مادمت تقولين لي: إنهم لن يؤذوني بذلك الوشم؟

ابتسمت بسخرية :

ـ لا تكن غبيًا فلن يفيدك الوشم ويحميك إلا يومًا واحدًا تصرف فيه و أجلب الدماء.

ـ لا لن أجلب الدماء.

صرخت بغضب :

ـ ماذا تقول أيها المعتوه؟

أقصد سأحضر الأطفال فقط وتصرفي أنتِ معهم ولكني لن أؤذي أحدًا

ــ هيا أسرع فسيمحى الوشم بعد يوم فالساعة الآن الخامسة فغدًا بنفس الساعة تعود كما كنت ولن تجد للوشم أي أثر فليس هناك وقت ...

خرج غريب من الشقة و كانت جليلة تقف على باب الغرفة تتصنت وسمعت كل شيء وخرج خلفه عمار المنزل الذين يحمون الفتاة ويحاولون تعطيله حتى لا يكتمل الصندوق وخرج أيضًا الأربعة من الجن الذين حضرهم وجلبهم من الوديان إلى عالمه فلن يتركوه بسلام يصرفهم فلن يعودوا لحياة الوادي القاسية.

فلقد أعجبتهم حياة البشر كثيرًا..ولا يريدون العودة

❋❋❋❋

صرخت نيرمين بعنف وهي ترى وجه ذلك الرجل المشوه أمامها كان كالمسخ فأدار الرجل وجهه بغضب قائلًا:

ــ هل رأيت شبحًا يا فتاة فماذا تريدين من هذا المنزل ولماذا تقفين هكذا؟

ــ أعتذر لك لم أقصد إهانتك سامحني أرجوك

ــ لا تعتذري وقولي لي: ماذا تريدين من هنا؟

ــ أريد أم نوفل فهل هي هنا من فضلك ؟

ــ أم نوفل! ولماذا تريدينها؟ وفي أي شيء؟

ــ أريد أن أعرف منها شيئًا هامًا من فضلك!

ــ ومن أنت ؟

ــ أرجوك أخبرني هل هي هنا ؟

ــ لا ..

ـ وأين ذهبت أريد أن أعرف منها الحقيقة و كل شيء ؟

ـ أي حقيقة ومن أنت ؟

ـ أخذت نيرمين تبكي بقهر قائلة :

ـ بالله عليك دلني على مكانها

ـ هل أنت مجنونة يا فتاة؟!

ـ ماذا؟ فأنا أريد أم نوفل، وهنا أخذت تدق الباب بعنف دون جدوى .

ـ اهدئي فلن تفتح لك، ولن يفتح لك أحد فلن تستطيعي رؤيتها .

ـ لماذا تقول هذا؟

ـ لأن أم نوفل ماتت منذ زمن فمن أنت وماذا تريدين منها؟

ـ ماتت؟! ومن سيخبرني الحقيقة الآن ؟!

****

خرج غريب يفكر كيف سيحضر صبي لتلك الساحرة هو يعرف أنها ستساعده وتخلصه منهم وهنا فكر في أطفال الشوارع الذين يملئون الميادين فلما لا يخطف طفلًا منهم أو اثنين فمن سيهتم لأمرهم حتى و إن كانت كاذبة وقتلتهم فمن سيهتم لأمرهم هو سيقدم لهم معروفًا ويريحهم من تلك الحياة القاسية التي يعيشونها بالشوارع مشردين دون منزل ومأوى لهم .

ذهب أسفل أحد الكباري وهنا وجد ضالته لقد كانت فتاة صغيرة لم تبلغ عامها السابع تلهو وتلعب في القمامة باحثة عن كسرة خبز لتسد بها جوعها .

اقترب منها قائلًا :

ـ هل أنت جائعة أيتها الصغيرة وتريدين الطعام؟

نظرت له بخوف فمنذ متى يعطف عليها البشر ويقدمون لها الطعام، فأخر مرة لن تنساها يوم قدم لها أحدهم الطعام ويومها لم يرحم طفولتها ولا براءتها ولا ذلها ..

فقام بالاعتداء عليها وعذبها لم تكن تعرف ماذا يفعل بها ذلك البغيض ولماذا ؟

وما ذنبها هي إن ولدت لتجد نفسها بالشارع لا تعرف لها أبًا ولا أمًا..

لم تمت يومها ولكنها نزفت حتى كادت تموت وقاموا بنقلها للمستشفى وعلاجها وكانت وقتها فقدت كل شيء و بعدها ألقوا بها من جديد إلى الشارع لتواجه نفس المصير. لماذا لم يكن عندهم رحمة ويبعدوها عن كل هذا ؟ لماذا خلقت؟ و لماذا أتت إلى تلك الحياة لتعاني؟ وما ذنبها ؟

و الآن ماذا يريد منها هذا الرجل هو الأخر هل سيفعل معها كما فعل الأخر وسيغتصبها ؟

أم سيفعل كما فعل مع على أخوها الذي وجدوه ميتًا فارغ البطن والأعضاء كانت بطنه خاوية لا يوجد بها شيء لقد أخذوا منه كل شيء حتى عينيه لم يتركوا مكانها إلا ذلك التجويف الفارغ.. لقد رأته يومها بجوار القمامة وكأنه قمامة تخلصوا منها.

فماذا فعل عليٌّ لهم ليفعلوا فيه ذلك ويسرقون أعضاءه ويحرمونه من الحياة ؟

هل لأنه طفل ولد في الشارع ولا يعرف له أمًا أو أبًا ؟؟

هـل لأنهـا طفلـة ولـدت في الشـارع فأطلقـوا عليهـا أطفـال الشـوارع ومـا ذنبهـا هـي حتـى يفعلـوا معهـا كل ذلـك ؟

حـاول غريـب الاقـتراب ولكنهـا ابتعـدت للخلـف بذعـر وهـي تتذكـر تلـك الليلـة المشئومة ومـا فعلـه الأخـر بهـا!

وهنـا رأتهـم مـن خلفـه بعيونهـم الحمـراء الدمويـة و وجوههـم السـوداء المنفـرة كانـوا مرعبـين بهيئتهـم وقرونهـم فصرخـت برعـب وظلـت تـصرخ ...ثـم ركضـت بـكل قوتهـا محاولـة الفـرار مـن هـؤلاء الشـياطين فـماذا فعلـت هـي لتطاردهـا الشـياطين المرعبـة ..ألا يكفيهـا شـياطين الإنـس ؟؟؟

و ركـض هـو خلفهـا مسرعًـا ولكنـه لم يمسـك بهـا فلـم تنتبـه الفتـاة الصغـيرة إلى تلـك السـيارة المسرعـة التـي دهسـتها تحـت عجلاتهـا وفـرت هاربـة ...

ركـض هـو إلى مـكان الحـادث و وجـد النـاس قـد تجمعـوا حـول الفتـاة التـي فارقـت الحيـاة وذهبـت إلى عـالم أفضـل مـن عالمهـا و رحمـة رب العالمـين التـي حرمـت منهـا بـين البـشر ..

اقـترب هـو و كان يشـغل تفكـيره شـيئًا واحـدًا فلـم تهمـه الفتـاة في شيء فلقـد ارتاحـت مـن الحيـاة التـي تعيشـها.

ولكـن هـل سيسـتطيع تجميـع دمـاء الفتـاة و أخذهـا إلى السـاحرة ولكنـه حينـما اقـترب أكثـر وجـد أن الدمـاء قـد جفـت عـلى الأرض ...فضاعـت فرصتـه ..فليبحـث عـن طفـلًا أخـر فليـس هنـاك وقـت لـكل هـذا الهـراء؟؟؟

****

ــ اهدئي يا فتاة واخبريني ماذا هناك؟

ـــ لا أعرف ماذا أقول لك ولكن أم نوفل كانت الأمل الأخير لمعرفة الحقيقة فلقد وصتني أمي بالذهاب إليها قبل موتها، وقالت لي: إنها ستخبرني بكل شيء ؟

ــ أمك من فأنا نوفل ابنها فربما عرفتها وساعدتك؟؟

ــ هل أنت ابنها نوفل حقا ؟؟

ــ نعم هو، من أنت يا فتاة وماذا تريدين من أمي رحمها الله ؟

ـــ أنا نيرمين درويش ولقد أعطتني أمي ذلك الخاتم قبل موتها وأخبرتني أن أمك ستخبرني الحقيقة؟

ــ نيرمين ابنة الدرويش ؟

ــ هل تعرف أبي يا نوفل؟

- ومن لا يعرف الدرويش هل ترين ذلك التشوه بوجهي فبسبب أبوك ذلك الدجال الساحر لقد شوه وجهي حينما كنت صبيًا لينتقم من أمي رحمها الله فهي من ساعدت أمك على الهروب بكم و أنتم صغار فلقد كنتما رضيعتين وقتها ولم تتحمل أمك الحياة ؟؟

ــ ماذا تقول ؟؟

ـــ الحقيقية يا نيرمين لقد كان أبوك ساحرًا ويتعامل مع الجن ويسخرهم لخدمته، ويقول إنه يحاربهم وهو أحد جنود الله المكلفون على الأرض كلام غريب اكتشفته أمك بعد زواجها منه فلم تكن تعرف كل هذا.

و كان يجعل عمتك جليلة تساعده في عمله فرفض أي عريس تقدم لطلب يدها؛ لأنه أخبر أمك أن مساعدته لابد أن تكن عذراء.

وكان يسخر بعض الجن من عمار المكان لخدمة أمك في المنزل ومراقبتها فكانت لا تفعل شيئًا، عمار المنزل هم من يفعلون كل شيء من تنظيف و إعداد طعام وكل شيء تتخيلينه.

ولكن أمك لم تتحمل وكانت تشعر بالفزع والرعب و كانت ستفقد عقلها وتجن لم تستطع الهروب بحملها.

لأنها حملت من أول يوم زواج وحبسها أبوك بالمنزل وعندما ولدت أنت و أختك خافت عليكن ليصبح مصيركما كمصير جليلة عمتكما فحاولت الهروب كثيرًا وأخيرًا هربت بمساعدة أمي رحمها الله فلقد كانت صديقتها الوحيدة بالحياة يومها كان أبوك مسافرًا ..

ويومها أتى الدرويش هنا فانتقم من أمي بحرق قلبها علي وألقى ببعض التراب على وجهي وكنت وقتها صبيًا لم أتجاوز الحادية عشر فشوه وجهي وأصبحت هكذا منذ سنين وأنا مشوه يخافني الناس فلقد دمر أبوك حياتي بسببكم أنتم فلن أفتح بيتًا و أكون أسرة، فلن ترضى أي فتاة بالزواج من ذلك المسخ المشوه وتقضي معه كل سنوات عمرها و الآن ارحلي فلقد عرفت كل شيء ولا تعودين إلى هنا من جديد..

نظرت له نيرمين بإشفاق وتساقطت دموعها حزنًا على ذلك الفتى ..

ولكنها أخيرًا عرفت الحقيقة ..

وعرفت حقيقة والدها، ولماذا هربت أمها وفرت من المنزل بهما حينما كانا صغارًا ولكن لماذا لم يعدهم الأب بالقوة وبالاستعانة بالجن إن كانوا يستطيعون المعرفة؟

لماذا لم يعيدهم الأب وتركهم وأكمل حياته وكأن هناك من يمنعه من فعل ذلك ؟

إنه شيء غريب حقًّا ؟

ولكنها اتخذت قرارها سوف تذهب إلى منزل جدتها لتأخذ أختها ناردين وعمتها لتعود أدراجها إلى الإسكندرية فلن تدعهما يعيشان بذلك المنزل الملعون ويبدو أن عمتها جليلة عانت الكثير.. في حياتها وتعذبت بسبب والدي سامحه الله ..

****

ــ وأخيرًا حصلت عليك أيها الغبي لماذا تفر مني ؟

ــ ماذا تريد مني عمي غريب ؟

ــ أريدك مجدي أن تاتي معي مشوار أنت و أختك هنا وسوف أحضر لكما أشياء كثيرة وحلويات؟؟

ــ أنت ولكن لماذا يا عم غريب فلم تفعلها من قبل ؟

ــ اسمع الكلام يا ولد ؟؟

ــ لا فلقد حذرتني أمي منك و أخافتني ؟؟

ــ اللعينة

ــ لا تشتم أم ...وهنا قطع كلامه وهو يرى تلك الأشياء المرعبة خلف عمه بوجههم السوداء المشعرة وعيونهم الحمراء فصرخ الصبي فزعًا ثم سقط فاقد الوعي ..

وهنا هتف غريب ...:

ــ هذا أفضل لك ولي وحمله بين يديه ورحل ...إلى منزل الدرويش.

لم يستطع أي منهم منعه فلقد كان يحمل الوشم الذي جعلهم يبتعدون عنه ولا يستطيعون مسه ...فكانوا يخيفون الأطفال ليهربوا من أمامه ولكن ذلك الفتى سقط فاقد الوعي فلم يستطيعوا التأثير عليه؟

****

في منزل الدرويش

وقفت جليلة تنظر بفزع وعيون مذعورة إلى ذلك الصبي الصغير الذي أحضره الغريب بين يديه فهي تعرف أنه الأخير وسيكتمل بدمائه الصندوق لا محالة.

وكانت ناردين تجلس القرفصاء في صمت فنظرت لها برعب و انقلبت عيناها لتصبح كلها بيضاء فخرجت جليلة مفزوعة وهي تشعر بالرعب فلابد أن تحمل أغراضها وتهرب الآن فإن لم تهرب الآن فلن تهرب طوال حياتها وربما ماتت بعد اكتمال الطقوس والصندوق اللعين وهنا صعدت لتجمع ملابسها وهي تسمع تلك الأصوات العالية والنفير المزعج الذي يصم الآذان .

كانت تريد الفرار من ذلك الجحيم ومما سيحدث بعد قليل بعد أن تنهي ناردين عملها وتجمع له الدماء .

أخذت ملابسها ومصاغ وذهب أمها وبعض النقود التي كانت تدخرها أمها ونزلت الدرج مسرعة كانت تريد الهروب قبل أن تحدث تلك المصيبة التي لا يعلم أحد سوى الله ماذا سيحدث فيها؟

التفتت إلى الشقة السفلية وكانت تخرج منها أضواء خضراء قوية تعمى البصر وكانت أصوات خوار الثور عالٍ شعرت

بالرهبة والخوف فتحت باب مدخل البيت لتصطدم بنيرمين في وجهها فسقطت الحقيبة من بين يديها بقوة مصدرة صوتًا عاليًا

فقالت نيرمين :

ــ عمتي جليلة إلى أين تذهبين وأين ناردين ؟؟؟

وهنا فقط تكلمت وأخرجت لسانها قائلة:

- اهربي يا نيرمين اهربي فلن يدعك يا بنيتي فأنتِ من نفس الدم الملعون اهربي ؟؟

نظرت نيرمين بدهشة إلى عمتها حتى كادت عيونها تخرج من مقلتيها :

ــ هل تتكلمين يا عمتي ؟؟

ــــ اهربي اهربي الآن فليس هناك وقت فأنت غير الأخرى فهي تستحق الموت؟

ــــ أهرب ولكن أين ناردين أختي فلن أسمح لأحد بأذيتها أبدًا يا عمتي.

ــ اتركيها فهي تستحق؟؟

ــ لاااااااااااا..................

صرخت نيرمين وهي تدخل وتقتحم الشقة السفلية وهي تري تلك الأضواء القوية وتسمع تلك الأصوات العالية من حولها تصم آذانها ؟

نظرت لها جليلة بحزن ثم فرت هاربة فلن تسنح لها الفرصة مرة أخرى ولتفعل الفتاة ما تريد فهي من اختارت ولن تجبرها على فعل ما لا تريد فلتذهب حتى إلى الجحيم لن تمنعها ...

وفـرت جليلـة هاربـة وهـي تحمـل حقيبتهـا وتشـعر بالسـعادة فهـذه المـرة الأولى التـي تـرى فيهـا الشـارع منـذ سـنوات طويلـة فيـا لطعـم الحريـة وجمالها...فليذهـب الجميـع إلى الجحيـم مـن أجلهـا ..مـن يبـالي وقتهـا .

****

دخلـت نيرمـين الغرفـة التـي كانـت مغلقـة بقـوة وأخـذت تدفـع البـاب بعنـف وهنـا انفتـح البـاب بعـد أن تدخـل عـمار المنـزل وسـاعدوها عـلى فتحـة ووقفـت نيرمـين مذهولـة ممـا تـرى، فلقـد رأت أمامهـا أختهـا وهـي تضـع خرطـوم طويـل بنهايتـه إبـرة بـذراع طفـل صغـير وتصفـي دمـاءه لتضعهـا بذلـك الصنـدوق اللعـين .. و كانـت ألـوان خـضراء تخـرج منـه وتتحـرك بالهـواء وتتشـكل في هيئـة أشـياء غريبـة وكائنـات كالتـي ترسـمها أختهـا عـلى ذراعهـا دومًـا كانـت الأشـياء شـكلها مخيـف ولهـا عيـون حمـراء فـما هـذا الهـراء ؟

صرخـت نيرمـين بقـوة وأخـذت تـردد مـا تحفظـه مـن كتـاب الله واندفعـت إلى ذراع الصبـي فنزعـت منـه الإبـرة ووضعـت يديهـا لتكتـم الدمـاء وهنـا صرخـت ناردیـن في وجههـا قائلـة بصـوت خـرج خشـن غليـظ.

من بين شفتيها :

ـــ مـاذا فعلـت أيتهـا المجنونـة لقـد كنـت أوشـكت عـلى الانتهـاء مـن إتمـام انتقامـي وأقـدم قربـاني فـماذا فعلـت

ــ احتضنت نيرمين الصبي بقوة وهي تحاول حمايته قائلة :

ـــ أعـوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم اهدئـي أختـي و اذكـري الله وسـوف يـتركك ويرحـل فلـن يتحمـل كلـمات الله سـتحرقه صدقينـي ..

وهنا سمعت صوتها الغليظ وهي تطير في الهواء وترتفع عن الأرض رافعة ذراعها بجوارها قائلة :

ـــ لماذا تدخلت الآن أيتها الغبية دائمًا وأنت تفسدين كل شيء أيتها الحمقاء كجدك الأكبر فهو من عذبني وقتل زوجتي وابني الوحيد ولابد إن أقضي على نسله، فإن كان يعتقد أنني سأحفظ العهد معه ولا أؤذيكم فهو مخطئ فلا يوجد جني مجوسي يحفظ العهد سيموت جميع النسل ولن يحيا منه أحد ..

وهنا صرخ غريب بقوة فماذا فعل في نفسه فقال :

ـــ اتركيني أرحل ولكن ناردين رفعت ذراعها ليرتفع الغريب عن الأرض ثم يسقط على رأسه بقوة فأخذت رأسه تنزف بغزارة حاولت نيرمين أن تقترب منه لتوقف تلك الدماء ولكنها شعرت بمن يثبت أقدامها بالأرض ويشل حركتها ....نظرت إلى الارض فوجدت أيادي سوداء مشعرة تخرج من الأرض وتمسك أقدامها بقوة

فصرخت بفزع وتوسل قائلة:

ـــ اخرج من جسدها بالله عليك واترك أختي ...فلقد قتلت من أذاك جدى سامحه الله وليس لنا ذنب في شيء؟

سمعت صوت ناردين يصرخ بقوة:

ـــ أنتِ لا تعرفين كيف أذاني وقتل من احب وسأقتل كل نسل وذرية له فسينقطع خيطه من على وجه الأرض من أجل سمسائل وسيلا فمن سيعيدهم لي لقد انتظرت سنوات طويلة لأرى تلك اللحظة و أجمع صندوق الخطايا إلي قبر سيلا و أخبرها أنني انتقمت.

أخـذت نيرمـين تـردد مـا تحفظـة مـن آيـات الله وهنـا تذكـرت صـورة الزلزلـة فهـي تصرفهـا أخـذت ترددهـا و أخـذ هـو يـصرخ بغضـب مهـددًا إيَّهـا بالعـذاب:

ـ اصمتي يا فتاة ولا تتكلمي اغلقي فمك .

لم تغلـق فمهـا وظلـت تـردد آيـات الله ..أخـذ كل شيء مـن حولهـا يتساقط بعنف ويـضرب وجهها لم تصمـت بـل أخـذت تـردد بصـوت أعـلى و أعـلى، وكان الـصراخ مـن حولهـا عاليًـا، نظـرت إلى سـقف الغرفـة برعـب فلقـد كانـت نارديـن معلقـة بالسـقف بطريقـة غريبـة وكأنهـا نائمـة عليـه أو هنـاك مغناطيـس يجذبهـا إليـه صرخـت نارديـن بغضـب بصـوت الجنـي المخيـف:

ــ اصمتي و إلا قتلتها والقيتها من هنا ..

نظـرت برهـة اليـه ولكنهـا كانـت تعـرف أنـه مخـادع، فـأن صمتـت سـيكمل انتقامـه وسـيقتلها هـي و أختهـا فى النهايـة، ففكـرت مـاذا تفعـل وهنـا هتفـت بحـماس إنـه الصنـدوق فلابـد أن تشـتت انتبـاه بالصنـدوق، فأسرعـت إليـه وقلبـت الصنـدوق عـلى الأرض فسـالت الدمـاء وهنـا نزلـت نارديـن و أخـذت تـصرخ بصـوت غليـظ :

ـــ مـاذا فعلـت بصنـدوق الخطايـا سـتندمين ولكنهـا أغمضـت عينيهـا و أخـذت تكمـل مـا بـدأت وترتـل مـا تحفظـه مـن القـرآن الكريـم، وبعدهـا قـرأت سـورة الزلزلـة ثـلاث مـرات كـما أخبرهـا جدهـا، وبعدهـا رددت الكلـمات التـي علمهـا إيَّهـا فأخـذت تقولهـا بصـوت قـوى عـالٍ:

- (« أقسـمت عليـك « بسـمائيل» بـالله و عظمتـه و العـرش و رفعتـه و الكـرسي و سـعته وجبرائيـل وروحيتـه، و إسرافيـل و نفختـه، و

ميكائيل و أمنته، و عزرائيل و قبضته أنكم لا تعصوا من دعاكم بأسمائه بحق العهد و الميثاق و بما عاهدكم به سيدنا سليمان بن داوود عليه السلام عند باب الهيكل الكبير ببابل و ألا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، و قد جعلت الله عليكم كفيلًا، و كان عهد الله مسؤلًا ،أينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعًا إن الله علي كل شيء قدير.

- الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة بارك الله فيكم و عليكم.»)

ــ أخذت ناردين تصرخ قائلة توقفي نيرمين من أجلي، إنه يعذبني وسأموت.

أخذت نيرمين تبكي بقهر وهي ترى ضعف أختها وهي تتوسل لها أن تتوقف عن ترديد تلك الكلمات التى لا تفهم معناها ولكن الشيخ الجليل حذرها من التوقف فلابد أن تقضي على تلك اللعنة وتحبس الجني بسمائيل بالصندوق فأخذت تردد القسم وهي تغلق عينيها وتضع يديها على أذنها.

ارتفعت تلك الأصوات العالية والهمهمات وصوت خوار الثور ممتزج بمواء قطط تعوي كذئب جريح وهنا عم الظلام مرة واحدة إلا من تلك الأشياء الخضراء التي تتحرك بانسيابية في الهواء خارجة من ذلك الصندوق الأسود اللعين صندوق الخطايا، كانت الأشياء كالبخار ولكن لونه أخضر كثيف كانت تتشكل لتفعل أشكال غريبة ومخيفة تفزع وترهب القلوب عند رؤيتها ...وربما أعمتها من شدة بريقها وبعدها...عم السكون مرة واحدة وأخذت هي تلف وتدور بالغرفة في انسيابية غريبة .

****

أخـذ يـدق بـاب المنـزل مـن الخـارج بقـوة وهـو ينـادي عـلى خطيبتـه، إنـه محمـود لقـد عـاد مـن أجلهـا فلـم يسـتطع تركهـا وحيـدة هـو يعلـم أن شـيئًا سـيئًا يحـدث لهـا ..

لم تفتـح لـه ولم يـرد عليـه أحـد اتصـل بقـوات الشرطـة لتقتحـم المنـزل وتفتـح البـاب عنـوة..

فوجـدوا الثـلاث جثـث ملقـاة عـلى الأرض تنـزف بغـزارة يخـرج الدمـاء غذيـرا مـن فتحـات جسـدها ...

وهنـا صرخ محمـود بفـزع مـن هـذا المشـهد الصعـب الـذي رآه مـن قبـل في الصـور وعـلى شاشـات العـرض :

ــ لا تقتربوا منهم فهم مصابون بمرض معدي خطير انه ...

ــ «الإيبولا»

ابتعـد رجـال الشرطـة بفـزع مـن المـكان تاركـين محمـود يقـف ودموعـه تتسـاقط حزنًـا وهـو يتسـأل مـاذا حـدث ؟؟

وهـل أصيبـت نيرمـين بفـيرس الإيبـولا مـن غينيـا ونقلـت العـدوى إلى أختهـا ولكنهـا لم تلمـس أي جثـة هنـاك ؟؟

ولكـن أيـن هـي نيرمـين فلـم يجـدوا لهـا أي أثـر بالمنـزل كلـه وكأنهـا تبخـرت؟؟

فأين جثتها إن كانت هي سبب العدوى وماتت بالمرض ؟؟

ولمن جثة هذا الشاب هناك وذلك الطفل الصغير ؟؟

وأيـن العمـة الخرسـاء فلـم يجـدوا لهـا أثـر بالمـكان هـي الأخـرى..؟؟؟

وهنا صرخ أحد الجنود هناك جثة اخرى بالمنور يا سيدي ؟؟

ــ صرخ محمود بلوعة :

ــ نيرمين ..لااااااااااااا أسرع الخطى إلى المنور ليبحث عن حبيبته فسمع أحد الجنود يقول :

ــ إنها جثة رجل يا سيدي ومشنوقة بحبل غريب ملتف حول رقبته ..

****

وقفت بذلك الركن المظلم هناك بغرفة الطبيب تخفي وجهها بوشاح أسود وهي تقول :

ــ هل ستساعدة دكتور كمال فهو يستحق المساعدة صدقني ولم يكن له ذنب في تشويه وجهه وهو طفل صغير؟؟

ــ لقد عرضته على أكبر أطباء التجميل والحروق صدقيني يا فتاة واكدوا لي أن الأمل ضعيف؛ لأن الحروق منذ سنين طويلة ويحتاج السفر إلى الخارج فهنك سيستطيعون مساعدته في أمريكا أو ألمانيا ؟؟

ــ ساعده من أجل الله يا دكتور كمال فأنت تحب مساعدة الآخرين أنا أعرف ذلك ؟

ــ سأساعده يا فتاة فهناك رجال أعمال يتبنون تلك الحالات ويعالجونها على نفقتهم لا تقلقي.

ولكن أخبريني من أنتِ ؟

ــ لا يهم أيها الطبيب من أكون ولكنى أدلك على عمل الخير لتفعله فلا تتردد وثق أنه يستحق المساعدة ؟

نظر لها طويلًا ثم قال:

ـــ أنــتِ تذكرينني بفتــاة كنــت أحبهــا و أعتبرهــا ابنتــي رحمهــا الله فلهــا نفــس صوتــك وطريقتــك في الــكلام ؟

ـــ رحمهــا الله أيهــا الطبيــب ورحــم جميــع أمواتنــا لا تقلــق فهــي بمــكان أفضــل الآن فــلا تشــغل تفكــيرك بهــا واهتــم بالشــاب مــن أجلهــا أن كنــت أذكــرك بهــا..

نظر الطبيب لها بحيرة ولم يرد بل هز رأسة بنعم سيفعل ...

وبعدهــا رأهــا وهــي تغــادر الغرفــة في المستشــفى وكانــت هنــاك ســيدة أخــرى تنتظرهــا فأمســكت بيدهــا لتســاعدها ورحلا..وهــي تتســند عليهــا..

وهنا همس الطبيب بحسرة :

ـــ يبـدو أن تلـك الفتـاة عميـاء ..كفيفـة لا تـرى ...فكيـف فقـدت بصرهـا يـا تـرى؟

وفي النهايـة لا أدري إن كانـت الروايـة قـد أعجبتكـم أم لا ولكـن لابـد أن تعـرف شـيئًا هامًـا فى الحيـاة:

إن عـالم الجـن عـالم غامـض وملـيء بـالأسرار فهـم مخلوقـات مثلنـا ولهـم حياتهـم الخاصـة كـما لنـا حياتنـا الخاصـة.

فـلا تتدخلـوا في عالمهـم حتـى لا يتدخلـوا في عالمكـم واتركوهـم يعيشـون ويعبـدون الله فمنهـم العابـد التقـي، ومنهـم الكافـر المشرك، فما لنـا نحـن ومالهـم ولمـا نحـاول التطفـل عليهـم وإجبارهـم عـلى فعـل مـا لا يريـدون ؟

وتسـخيرهم ببعـض الكلـمات فلنتركهـم ليتركونـا ولا تتلفـظ بـما لا تفهـم حتـى لا تنـدم واسـتمع لنصيحتـي ...

« يـا ابـن آدم لا تتلفـظ بـما لا تفهـم حتـى لا تمـوت لتلـك الكلـمات التـي قلتهـا ولا أنـت لا تفهـم معناهـا »

تمَّت

مع تحياتي

د منى حارس

وما بعد النهاية.

رحلة إلى عالم الجان

تعالـوا معـي عـلى متـن تلـك الطائـرة السـوداء التـي تحلـق في الأذهـان لتـترك لـك معلومـة أو أي شيء كان وسـنأخذكم معنـا في رحلـة عجيبـة مليئـة بـالأسرار إلى عـالم الجـان وسـؤال وجـواب لـكل مـا يـدور بخلدكـم عـن ذلـك العـالم الغامـض وأسراره المخيفـة فتعالـوا معـي واربطـوا أحزمـة الأمـان جيـدًا فالمطبـات الهوائيـة كثـيرة والغيـوم مـن حولنـا سـوداء كثيفـة وهيـا بنـا لنخـوض تلـك الرحلـة المخيفـة التـى ندعـو الله أن نخـرج منهـا سـالمين غـير مؤذيـن ولا ملبوسـين مـن عـمار المـكان مـن حولنـا ...

سـؤال وجـواب لـكل مـا يـدور بذهنـك عـن عـالم الجـان ذلـك العـالم الغامـض المثـير للخـوف والجـدل..

من الجن وما أصنافهم ؟

حسب الأديان والأساطير القديمة تعريف الجن :

« هـي مخلوقـات خارقـة للطبيعـة هوائيـة قـادرة عـلى التشـكل بأشـكال مختلفـة لها عقـول وفهـم وقـدرة عـلى الأعـمال الشـاقة، وهـم خـلاف الإنـس، فالواحـد يقـال لـه «جنـي» ، و يقـال: إنـما سـميت بذلـك لأنهـا تتخفـى ولا تـرى «

وهـي ثـلاث أصنـاف وقـد روي الطـبري بإسـناد حسـن عـن أبي ثعلبـة الخشـني أن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـال:

(الجـن ثلاثـة أصنـاف لهـم أجنحـة يطـيرون بهـا في الهـواء وصنـف حيـات وصنـف يحلـون ويظعنـون).

كـما أجمـع المسـلمون قاطبـة عـلى أن نبينـا محمـد صـلى الله عليـه وسـلم مبعـوث إلى الجـن كـما هـو مبعـوث إلى الإنـس

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

(**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**) «سورة الأنعام١٩».

أنـزل الله سـبحانه عـلى نبيـه صـلى الله عليـه وسـلم سـورة الجـن وسـبب تسـميتهم بالجـن لاسـتتارهم عـن العيـون، فهـم يـرون النـاس ولا نسـتطيع رؤيتهـم، وهـذه الحقيقـة معروفـة والدليـل قـول القـرآن:

« (**إِنَّـهُ يَرَاكُـمْ هُـوَ وَقَبِيلُـهُ مِـنْ حَيْـثُ لَا تَرَوْنَهُـمْ إِنَّـا جَعَلْنَا الشَّـيَاطِينَ أَوْلِيَـاءَ لِلَّذِيـنَ لَا يُؤْمِنُـونَ**) «سـورة الأعـراف آية ٢٧.

والمقصـود هنـا أن الإنسـان لا يـرى الجـن عـلى صورتهـم الحقيقيـة التـي خلقـوا عليهـا ولكـن قـد نراهـم بصـور أخـرى متجسـدين لهـا في صـورة حيوانـات أو بعـض الحـشرات أو متخذيـن هيئـة البـشر أو وهمـا للعقـل كـما يحصـل لبعـض المسـحورين.

أ تعتقد بوجود الجن حقًا أم تعتبرها خرافة ؟

يعتقـد بعـض النـاس بوجـود كائنـات خارقـة تسـمى بالجـن ويعتقـد هـؤلاء النـاس أن للجـن قـوى خارقـة و أن الجـن باسـتطاعتها رؤيـة النـاس وإلحـاق الأذى بهـم و أن أجسـام الجـن غـير ماديـة وقـادرة عـلى التشـكل بالشـكل الـذي تريـده.

والعـالم الـذي نعيـش فيـه الغريـب والعجيـب فكيـف بالعـالم الخفـي عـن العيـون والغـير مرئـي لنـا ولا نـراه مـن الغيـب الـذي احتجـب عن عيوننـا، فالنفـس البشريـة تحـب التنقيـب والبحـث في مـا وراء الطبيعـة

مـن عـوالم خفيـة لا يعرفـون عنهـا شـيئًا كـما دونهـا الأقدمـون وكـما وردت في الكتـب السـماوية

أو كما حكي عنها القصاصون والدجالون وغير ذلك كثير.

هل يستطع الجن أذية الإنسان ؟

يسـتطع الجـن أن يتسـلط عـلى الإنـس وأذيتهـم، وأن مـن الأمـور المسـلم بهـا أن الإنسـان عرضـة للأخطـار والأمـراض وقليـل مـن تصفو لـه الحيـاة ويعيـش بـلا منغصـات، وهنـاك أمـراض ليـس لهـا دواء فيقـع الإنسـان عقلـه فريسـة الوهـم وتسـلط الجـن وهنـاك الكثـير مـن الأمـراض النفسـية وأمـراض الـصرع فمـن النـاس مـن ينسـب أكثرهـا لعـالم الجـن والشـياطين، ممـا جعـل النـاس في حـيرة ووقـع بعضهـم فريسـة المشـعوذين

ما عالم الأرواح (Demonology) ؟؟

كان الاعتقـاد بوجـود الجـن قديـمًا جـدًا، وهـو في الميثولوجيـا العالمية معـروف بصـورة الأرواح المحتجبـة عـن عيـون البشر.

ويسـمى هـذا العلـم (Demonology)، ويعنـي علـم الشـياطين (باللغـة اليونانيـة)، وهـذا العلـم كـما تعرفـه دائـرة المعـارف البريطانيـة يبحـث في دراسـة الشـياطين وفي المعتقـدات المتعلقـة بهـا، كـما يبحـث في مذهـب وجـود الجـن في العـالم الإسـلامي. حيـث إن الديـن الإسـلامي يفـرق بـين معنـى الجـن والشـيطان.

ما الفرق بين الجن والشيطان ؟؟

الجن ليست شياطين حسب مفهوم الدين الإسلامي لكن الشياطين هم فئة خاصة من الجن تعصي الله، وتوسوس للناس. وأنكر كثير من الفلاسفة وجودهم وقالوا إن المراد بالجن في الكتب الدينية هى نوازع الشر عند الإنسان، والقوى الخبيثة، كما أن المراد بالملائكة هى نوازع الخير حسب زعمهم.

وأنكرت طائفة من الناس وجودهم إنكارا كليًا وزعم قسمًا منهم إن المراد هو أرواح الكواكب.

ولكن هذا قريب من الخيال، ومن المسلمين من يفسر الجن بقوله إنهم نوع من البشر مستترين عن الناس في إيمانهم وكفرهم، وخيرهم وشرهم، كما قال الدكتور محمد البهي في كتابهِ في تفسير سورة الجن إن المراد بالجن هم الملائكة، فالجن والملائكة عندهُ عالم واحد لا فرق بينهما.

وزعم فريق من المحدثين أن الجن هم الجراثيم والميكروبات التي تصيب الناس بالأمراض التي كشف عنها العلم حديثًا وهذا وهم وخرافة لا أصل لها، فالجن وجود مادي لحياة عاقلة ورد ذكرهم في الكتب السماوية، والجراثيم غير ذلك من الأحياء المادية المخلوقة، وانتشرت فكرة أن الجن هم من نقل الطاعون في العصور القديمة، وبعض الناس في وقتنا الحالي لا يعتقدون بوجود الجن.

ما وجه التشابه بين الجن والإنس؟

الجن خلق آخر غير الإنس وغير الملائكة والأرواح. وبين الجن والإنس قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإرادة ومن حيث القدرة على اختيار طريق الشر والخير، ومن حيث التكليف بالعبادة والعقاب يوم القيامة وحسب تعريف القرآن في قوله:

((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) سورة الذاريات، آية ٥٦، وفي قوله:

((وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ)) سورة الحجر آية ٢٧.

فورد ذكرهم بلفظ الجن والجان٣٢ مرة في القرآن، بينما ورد ذكر الشيطان ٨٧ مرة في القرآن، وذكر إبليس ١١ مرة في القرآن.

والخلاصة فإن الجن عالم ثالث غير البشر والملائكة، وهم مخلوقات عاقلة وواعية مدركة، ليسوا أعراض أمراض أو جراثيم، ولا وهم من الدجالين بل هم خلق مكلف بالعبادة والأدلة على ذلك كثيرة، من التوراة والإنجيل والقرآن، كما أقر بها الكثير من الناس، وهذا لأن وجودهم خبر متوارث عن الأنبياء والمرسلين، وجمهور الناس من يقر بهم ومنهم من ينكر وجودهم، كما أنكر وجودهم طائفة من المسلمين كالمعتزلة و الجهمية ... وغيرهم .

هل يستطع بعض البشر رؤية الجن وتسخيرهم ؟؟

كثير من البشر ممن يراهم ويسمعهم لا يعلمون أنهم جن بل يزعمون أنهم رجال الغيب أو رجال الفضاء

وغير ذلك، وعدم رؤيتهم ليس غريبًا فقد ثبت علميًا عدم قدرة الأحياء على رؤية كل شيء.

إن النحل يرى الأشعة فوق البنفسجية ولا يراها الإنسان، ولذلك فهو يتحسس الشمس في الجو الغائم، وطير البومة ترى الفأر في ظلمة الليل ولهذا فإن كنا لا نرى جنًا فبعض الأحياء يرونهم كالحمار والكلب.

فقـد ورد في كتـب المسـلمين وفي أحاديـث السـنة النبويـة في مسـند الإمـام أحمـد بإسـناد مرفـوع صحيـح عـن جابـر قولـه:

(إذا سـمعتم نبـاح الـكلاب ونهيـق الحمـير بالليـل، فتعـوذوا بـالله مـن الشـيطان، فإنهـن يـرون مـا لا تـرون).

كـما أخبرتنـا الكتـب السـماوية عـن تسـخير الجـن للنبـي سـليمان، فكانـوا يقومـون لـه بأعـمال كثـيرة تحتـاج إلى القـوة والقـدرات والمهارات الفائقـة، وورد ذكـر ذلـك بالقـرآن في قولـهِ:

« (**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**)، سـورة سـبأ آيـة ١٢.

ويقول ابن تيمية في مجموع الفتاوي ١٩/ ١٠:

«(لم يخالـف أحـد مـن طوائـف المسـلمين في وجـود الجـن، ولا أن الله أرسـل محمـدًا إليهـم، وجمهـور طوائـف الكفـار عـلى إثبـات الجـن، أمـا أهـل الكتـاب مـن اليهـود والنصـارى فهـم مقـرون بهـم كإقـرار المسـلمين، وإن وجـد فيهـم مـن ينكـر ذلـك، كـما يوجـد في المسـلمين مـن ينكـره...)

مما خلق الجن وأين منشأهم ؟؟

خلـق الله عـز وجـل (سـوميا) أبـو الجـن قبـل خلـق آدم عليـه السـلام بألفـي عـام وقـال عـز وجـل لـ (سـوميا) :

تمـن فقـال (سـوميا) : أتمنـى أن نـرى ولا نُـرى ، وأن نغيـب في الثـرى ، وأن يصـير كهلنـا شـابًا ..

ولبى الله عز وجل لـ (سوميا) أمنيته ، وأسكنه الأرض له ما يشاء فيها .. وهكذا كان الجن أول من عبد الله في الأرض .... المصدر قول ابن عباس رضي الله عنه .

و يقال إن الله خلق الجن من النار وأول الجان هو أبيهم سوميا « الذي دعا للجن أن يكونوا مرئيين في الأرض وأسكنهم الأرض قبل خلق آدم كما ذكر القرآن في قوله:

« (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ،وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ) سورة الحجر، الآيتان ٢٦-٢٧.

وحينما أسكنهم الله الأرض أفسدوا فيها وسفكوا دماء بعضهم فأرسل الله لهم الملائكة، وقضى عليهم، وأخذوا معهم إبليس إلى السماوات العلا، فصار مثل الملائكة يعبد الله ويطيع أوامره ويبتعد عن نواهيه.

وبقى على الأرض قسمًا من الجن، هربوا إلى المغارات وأعالي الجبال وفي أسفل البحار والمحيطات.

واتخذوا بعض المواقع الذي يتكاثرون فيها ويعيشون، ولما هبط الإنسان على الأرض تطور وصنع الغواصات والطائرات والسفن، وجاب الأرض وانتقل من مشارقها إلى مغاربها، وبدأ يشكل خطرًا على وجود الجن لما انتقل إلى مواقعهم، فأهابوه و أفزعوه وتسببوا في مرضه بأمراض غريبة لم يسمع أحد من قبل عنها.

وهذه الآية ردًا على من قال إن الملائكة يعلمون الغيب حين قالوا في القرآن:

« (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ

إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) سورة البقرة، آية ٣٠.

فالملائكة هنا استندوا على ما حصل من سوميا وذريته من ارتكاب المعاصي قبل خلق آدم أبو البشر.

وبعد أن خلق الله آدم وأمر الملائكة بالسجود له، تكبر إبليس وعاد لأصله. فرفض إبليس السجود ظنًّا منه أنه أفضل من آدم لأنه مخلوق من نار وآدم من تراب فعصى أمر ربه؛ فطرده الله من رحمتهِ، ولكن إبليس طلب أن يمد له في العمر حتى يوم القيامة للانتقام من آدم وذريته، فأعطاه الله ذلك وبدأ يتكون عالم الجن من جديد. ولقد ورد ذكر الحكاية بلفظ آخر في القرآن حيث قال الشيطان:

«(قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون) سورة الأعراف، آية ١٤،

فأجابهُ الله:

« (قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ، إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمُعْلُومِ)» الآيتان ٣٦،٣٧من سورة الحجر.

وأصل خلقهم من النار كما ورد ذلك في كثير من الآيات، والشياطين هم من الجن وكذلك إبليس، وقد روي في كتب السيرة النبوية أن إبليس تشكل في هيئة شيخ نجدي عند اجتماع الكفار في دار الندوة لمناقشة الدعوة الإسلامية وأشار إليهم بقتل النبي محمد أو حبسه أو إخراجه من مكة. وقال الحسن البصري:

«لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين. والدليل الآية في القرآن:

« (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)، سورة الكهف، آية ٥٠

وكذلـك ورد في كتـب الحديـث في صحيـح مسـلم، عـن النبـي محمـد قولـه: إن الملائكـة خلقـوا مـن نـور، و إن الجـن خلقـوا مـن نـار، و إن آدم خلـق مـن طـين.

هل الشيطان هو أصل الجن أو هو واحد منهم؟

وإن الرأي الأخير أبين وأوضح لوروده في الآية:

« (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ)،»

ولكـن هنالـك رأي لابـن تيميـة حيـث يقـول: إن الشـيطان أصـل الجـن كـما أن آدم أصـل الأنـس، (مجمـوع الفتـاوي ٤/ ٢٣٥، ٣٤٦).

ويقـول المسـعودي: « ومـا ذكـر مـن الأخبـار في مبـدأ الخليقـة هـو ما جـاءت بـه الشريعـة ونقلـهُ الخلـف عـن السـلف، والباقـي مـن المـاضي، فعبرنـا عنهـم حسـب مـا ورد مـن ألفاظهـم ووجدنـاه في كتبهـم.

وحكـى الشـهر سـتاني في أول كتابـهِ عـن الملـل والنحـل حكايـة عـن مـاري شـارح الأناجيـل الأربعـة، وهـي مذكـورة في التـوراة متفرقـة على شـكل مناظـرة بـين الشـيطان وبـين الملائكـة بعـد الأمـر بالسـجود لآدم، في ختامها قال شارح الأناجيل:

«فأوحـى الله إليـه مـن سرادقـات الجـلال والكبريـاء، يـا إبليـس إنـك مـا عرفتنـي، ولـو عرفتنـي لعلمـت أننـي لا أسـأل عـما أفعـل.»

وبذلـك سـقطت شـبهات الشـيطان ريانـاهـم مـع سـحرة أبوعريـش سرابـا مثـل الزجـاج السـائل أو المـاء المغـلي أو البخـار.

ما أنواع الجن ؟؟

تتحـدث الكتـب العربيـة القديمـة عـن الجـن وأنواعـه فيذكـر البيـان والتبيـين منها:

جن ومفردها جني.

عامر وجمعها عمّار.

شيطان وجمعها شياطين.

مارد وجمعها مردة

عفريت والجمع عفاريت.

القرين ((أنواع الجن))

شخصيات معروفة من الجن :

وأورد الدميري أن الجن أجناس، منها الجن الخالص الذي لا يأكل ولا ينام ولا يشرب في الدنيا ولا يتوالد، ومنها أجناس تأكل وتشرب وتتناكح ذكر منها مثل الغيلان.

وهناك العديد من الخرافات والقصص الشعبية التي يتداولها البسطاء عن بعض الجن مثل « أم الدويس»

« السعالي» مفردها سعلوة أو سعلاة.

« الغيلان» - « القطارب» - « بوعو»- «حفاظة عبدة «- «عيشة قنديشة»

ولكن لم يرد لهذه المسميات ذكر في مصدر موثوق، سوى كلمة شيطان وجن أو عفريت التي تم ذكرها في الكتب السماوية. ولغويًّا يطلق جني للمفرد وجنًّا للجمع، فإن أريد ممن يسكن البيوت مع الناس قيل عامر، فإن كان ممن يتعرض للأطفال والصبيان قيل روح أو أرواح، فإن كان خبيثًا سمي شيطان، فإذا زاد خباثة وشرًّا قيل مارد، فإن قوي على عمل الأعمال سمي عفريتًا.

وورد ذكرهم في الأدبيات العربية أنهم يتصورون على شكل الحيوانات والبهائم، ومنهم من يتصور بشكل الإنسان وهذا وهمٌ للعين لا حقيقة مادية له، وورد ذكر تصور الجن في صورة القط الأسود والكلب الأسود، بل ورد ذكرهم كذلك في أدبيات القرون الوسطى في أوروبا لصورة الشيطان بأن له لحية مدببة وقرنان ورأس أسود وغير ذلك كما ورد في دائرة المعارف الحديثة صفحة ٣٥٧.

تعرف على الجن في المعتقدات الإسلامية :

يجمع المسلمون على إقرار وجوده وقد ورد في القرآن

« { وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ} (سورة الحجر:٢٧)

ويوجد في القرآن سورة باسم الجن: سورة الجن ويقوم بعض المشايخ المتخصصين بالقراءة من القرآن على أشخاص مسهم الجان لإخراجهم ويحدث في ذلك مخاطبة الجني ومجادلته.

وفي هذا الأمر وردت قصص كثيرة وسجلت بعضها على يد مشايخ معروفين لا يشك بعلمهم، ولكن هذا الباب واسع لا يسع ذكره هنا لوجود كثير من المبالغات والأوهام فيه.

ما الأدلة من القرآن على وجود الجن ؟

«(يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ) «سورة الأنعام،آية ١٣٠ .

«(وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ) «سورة الحجر آية٢٧ .

«(وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) « سورة السجدة آية١٣

«(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)» سورة الذاريات، آية٥٦.

«(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)» سورة الرحمن، آية٣٣.

«(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) « سورة الجن، آية١.

«{ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)} « سورة الناس الآيات ٤، ٥، و٦

فهذه الآيات وغيرها دليل على وجود الجن وبعض أحوالهم، ولا يتكلم القرآن عن شيء غير موجود.

ولا ندركه فهو منزل لأجلنا ولفهمنا وإن كنا لا نراهم فلحكمة أرادها الله، حيث ذكر القرآن سبب استتارهم عن أعيننا بقوله:

« (يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)» سورة الأعراف، آية٢٧.

ما المأكل والمشرب عند الجن ؟؟

روي في صحيح مسلم عن ابن عمر أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله)،

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي محمد قال:

(من أكل بشماله أكل معه الشيطان، ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان).

وفي مسند الإمام أحمد أيضًا عن النبي محمد قال:

« (إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء هاهنا، وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله، قال: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء)،

وتم تخريجه في صحيح مسلم أيضًا، وفي هذه النصوص من كتب السيرة النبوية دلالة صريحة على أن الجن والشياطين تأكل وتشرب.

تأكل الجن الروث والعظام ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي محمد أمره أن يأتيه بأحجار

يستجمر بها وقال له:

(ولا تأتيني بعظم ولا روثة)، -نهاية حديث البخاري هنا

ولما سأل أبو هريرة النبي محمد بعد عن سر نهيه عن العظم والروثة، قال:

« (هما من طعام الجن، وأنه أتانى وفد من جن نصيبين فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم: وأن لا يمروا بعظم ولا بروثه إلا وجدوا عليها طعامًا).»

وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:» (لا تستنجوا بالروث، ولا بالعظام، فإنه زاد إخوانكم من الجن)»

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود: أن النبي محمد قال:

«(أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن)،»

وسألوه الزاد فقال «(لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم، وأوفر ما يكون لحمًا، وكل بوعرة علف لدوابكم).

فقال رسول الله: (فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم).

إن في جلسات تحضير الجن يكون البخور الغذاء الأساسي وأنواع معينة من البخور يتغذى عليها الجن .

هل يتزاوج الجن وهل من الممكن أن يتزوجوا من البشر؟؟

التزاوج والنكاح وارد بين الجن للتكاثر والذي يعرف عنهم أنهم يتزاوجون كما ورد ذلك في نص القرآن بقوله:

«(لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) «سورة الرحمن، آية ٥٦،

وقد زعم قوم أنهم لا يتناكحون وهذا القول تبطله الأدلة الصريحة في القرآن والسنة، حيث دلت الآيات على صلاحيتهم للتزاوج، وقد حاول بعض الناس الولوج في كيفية النكاح من الإنس وهذا وهم غير حقيقي، لاختلاف الجنس بين البشر والجن، ولكن كره العلماء الخوض في هذه المسائل وعللوا ذلك بقولهم:

(إذا وجدت امرأة حامل فقيل من زوجك ؟ قالت: من الجن فيكثر الفساد)،

ولقد أنكرهُ علماء المسلمين وقال بعضهم جائز.

ولكن لو تم ذلك وحصل بين الإنس والجن تزاوج فكيف نقرر ما لا نرى؟ بل يأتي من هذا الباب شر كثير.

وكيف يحدث التآلف بين أجناس متخالفة في الخلق فتصبح الحكمة من الزواج لاغية؟

وزعـم بعـض الجهلـة ورودهـا في النـاس حاليًـا، ويسـأل فاعلهـا عن حكمهـا الشرعـي وهـو مغلـوب عـلى أمـرهِ لا يسـتطيع الفـكاك منهـا، ولـو حـدث ذلـك لأوجدنـا محاكـم للفصـل في زيجـة الجـن والإنـس

وهـذا أمـر يطـول شرحـه لكونـهِ خيـال بحـت مـن نسـيج القصاص والدجالين.

ومثـل مـا أن هنـاك مـن أجـاز ورأيـه باطـل فهنـاك مـن حـرم ورأيـه أولى مـن رأي غـيره ؛ إن الله خلـق الجـن وخلـق الإنـس

وقال تعالى :

« **وَمِـنْ آيَاتِـهِ أَنْ خَلَـقَ لَكُـمْ مِـنْ أَنْفُسِـكُمْ أَزْوَاجًـا لِتَسْـكُنُوا إِلَيْهَـا وَجَعَـلَ بَيْنَكُـمْ مَـوَدَّةً وَرَحْمَـةً إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَـاتٍ لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّـرُونَ** «

وأما بالنسبة للزواج بين الإنس والجن :

يمكـن حـدوث التـزاوج بينهـما مـع أنـه نـادر الحـدوث وفي إمكانيـة حدوثـه قـال بـه بعـض السـلف كالإمـام مالـك وبعـض الحنابلـة وبعض الحنفيـة وقـال بـه ابـن تيميـة والطـبري وكثـير مـن المفسريـن .

قال ابن تيمية في الفتاوى ج١٩ / ٣٩ :

« وقـد يتناكـح الإنـس والجـن ويولـد بينهـما ولـد وهـذا كثـير معـروف «

قال فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين:

(إن بعـض الجـن يتصـور للإنـسي في صـورة امـرأة ثـم يجامعهـا الإنـسي، وكـذا يتصـور الجنـي بصـورة رجـل ويجامـع المـرأة مـن الإنـس كجـماع الرجـل للمـرأة وعـلاج ذلـك التحفـظ منهـم ذكـورًا وإناثـا بالأدعيـة والأوراد المأثـورة وقـراءة الآيـات التـي تشـتمل عـلى الحفـظ

والحراسة منهم بإذن الله) (الفتاوى الذهبية - جزء من فتوى - ص١٩٦)

والأظهر والله أعلم تحريم التناكح بينهما ومع أهمية هذا الموضوع إلا أن الخوض في مثل هذه المسائل ينبغي تركه وهذا ما نص عليه كثير من أهل العلم؛ لأنه مما يحدث خلافًا للمألوف، وما يحصل بين الإنس والجن من تزاوج إنما هو خروج عن قاعدة الشرع في تكوين الأسرة المسلمة وتربية الأولاد، فهل يمكن أن يكون الاستقرار مع زوجة جنية ؟ وهل يمكن تربية أولاد من أم جنية؟ أو العكس؟

لذلك فلا يجوز زواج الإنس من الجن، وهذا من الكبائر لأنك إن قلت إنه ذنب صغير فلن تستطيع القول إنه طلقها بعد أول جماع! والاستمرار على الصغيرة كبيرة، ومن استحل الحرام فهو كافر...

والله ورسوله أعلم ...

من أبليس؟ وماذا تعرف عنه ؟

وجاء في الأثر عن أبي أمامة الباهلي أنّ إبليس لما نزل إلى الأرض مطرودًا مذءومًا مدحورًا قال يا رب أنزلتني وجعلتني رجيمًا فاجعل لي بيتًا قال الحمّام قال فاجعل لي مجلسًا قال الأسواق ومجامع الطرق قال واجعل لي طعامًا قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال فاجعل لي شرابًا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنًا قال المزامير وآلات اللهو قال فاجعل لي قرآنًا قال الشعر قال فاجعل لي خطًّا قال الوشم قال فاجعل لي حديثًا قال الكذب قال فاجعل لي مصائد قال النساء...

فهذه تسعة أشياء طلبها إبليس لتكون له عونًا على أداء مهمته التي طلب الإنظار إليها وفي شعب الإيمان؛ عن ثابت قال بلغنا أنّ إبليس قال يا رب إنك خلقت آدم وخلقت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه أي وعلى بنيه؛ قال صدورهم مساكن لك؛ قال يا رب؛ زدني؛ قال (لا يولد لآدم ولد إلا لك عشرة))

وتمامه عن ثابت رضي الله تعالى عنه قال ((بلغنا أنّ إبليس قال يا رب إنك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني؛ قال صدورهم مساكن لك؛ قال ربي زدني؛ قال لا يولد لآدم ولد إلا ولك عشرة؛ قال ربي زدني قال تجري منهم مجرى الدم؛ قال ربي زدني؛ قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك؛ وشاركهم في الأموال والأولاد فشكا آدم عليه السلام إبليس إلى ربه؛ قال يا رب إنك خلقت إبليس؛ وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضًا؛ وسلطته عليّ وأنا لا أطيقه إلا بك؛ قال لا يولد لك ولد إلا وَكلّتُ به ملكين يحفظانه من قرناء السوء؛ قال ربي زدني قال الحسنة بعشر أمثالها؛ قال ربي زدني قال لا أحجب عن أحد من ولدك التوبة ما لم يغرغر))

الجن وبلاد المغرب ؟

الجان كائنات تستوطن عوالم الخفاء الممتدة في كل مكان من حولنا، و هم غير مرئيين للبشر في الأحوال العادية يمكن رؤيتهم من قبل بعض الأشخاص ليلًا خلال الفترة المتراوحة بين الساعة الحادية عشرة ليلًا والواحدة صباحًا عدا ليلة الجمعة التي هي لحظات ابتهاج عام يستغلها الجن للتسكع في عالمنا حتى صباح السبت.

ولا يظهر الجن بصورته المفزعة بل يظهر على أشكال بعض

الحيوانـات والحـشرات مثـل:

حمـار، كلـب، قـط، صرصـور، فـأر ولذلـك يحـاذر المغاربـة أن يقتلـوا أو يلحقـوا الأذى ليـلًا بحيـوان أو حـشرة خصوصًـا إذا كان كلبًا أو قطًـا أسـود وتعتـبر المغـرب مـن أكثـر الـدول التـي تتعامـل مـع الأسـحار وعـالم الجـن، ولهـم خـبرة كبـيرة عـن غيرهـم في هـذا المجـال فلـو تحدثنـا عـن المعتقـدات المغربيـة حـول الجـان فلقـد شـكل موضوعًـا مغربيـا للبحـث الإنتربولوجـي منـذ مطلـع القـرن العشريـن يمثـل مؤلـف الفنلنـدي (وسـتر مـارك) أول و أهـم مـا كتـب حـول الموضـوع ولعـل صعوبـة اختصـار الحديـث عـن تلـك المعتقـدات تـأتي مـن كونهـا تختلـف إلى حـدود التبايـن مـن منطقـة مغربيـة إلى أخـرى.

فعـن بعـض الصحابـة نزلنـا مـع رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم منـزلًا في بعـض أسـفاره فخـرج لحاجتـه وكان إذا خـرج لحاجتـه يبعـد فأتيتـه بـأداوة مـن مـاء فسـمعت عنـده خصومـة رجـال ولغطًـا مـا سـمعت أحـد مـن ألسـنتهم ولا أرى أشـخاصهم فقـال لي رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ((اختصـم الجـن المسـلمون والجـن المشركـون فسـألوني أن أسـكنهم فأسـكنت الجـن المسـلمين الجُلَّـسْ وأسـكنت الجـن المشركـين الغـور)).

وغالبًـا مـا يوجـد الجـن في محـال النجاسـات والقـاذورات كمحـل نخـو الإبـل والحمامـات والمراحيـض والمزابـل والأماكـن الموحشـة كالأوديـة والقبـور ومواضـع القتـلى وبيـوت الأصنـام فقـد كانـت الجـن تدخـل في الأصنـام وتخاطبهـم ومـن ثـم جـاء النهـي عـن الصـلاة في تلـك الأماكـن لأنهـا مـأوى الشـياطين ومـن مسـاكنهم الجحر،

ومـن ثـم كـره البـول فيـه كذلـك ومـن ذلـك البيـاض المتخلـل بـين الـزرع ويقـال لـه القـزع وقـد جـاء الحديـث نهـي الرجـل أن يتغـوط بالقـزع لأنـه مسـكن الجـن ..

****

وفي نهايـة الكتـاب أود أن أخبركـم شـيئًا هامًـا وهـو أن الاتصـال بعـالم الجـن أو الاسـتعانة بهـم في أمـر مـن أمـور الحيـاة سـواء في أمـر مبـاح أو مـشروع هـو كُفـر بـالله وشرك عظيـم لذلـك فـلا يجـوز لـك مصاحبـة الجـن حتـى ولـو كانـوا مسـلمين لأن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم لم يسـتعن بهـم لا في الجهـاد، ولا في معرفـة الأخبـار عـن أحـوال العـدو.. ولا فى شيء مـن ذلـك مـع أنـه مرسـل إليهـم صـلى الله عليـه وسـلم، وقـد بلغهـم رسـالة ربـه، فكانـت هـذه مـن أفعـال أهـل الجاهليـة فكانـوا إذا نزلـوا واديًـا أو مكانًـا خاليًـا قالـوا:

- « نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ...»

يقصدون كبير الجن فحرّم الإسلام ذلك، قال تعالى:

« وَأَنَّـهُ كَانَ رِجَـالٌ مِـنَ الْإِنْـسِ يَعُـوذُونَ بِرِجَـالٍ مِـنَ الْجِـنِّ فَزَادُوهُـمْ رَهَقًا «

وقـد أبدلهـم النبـي صـلى الله عليـه وسـلم خـيرًا منـه فقـال عليـه الصـلاة والسـلام «

«مـن نـزل منـزلاً ثـم قـال:- « أعـوذ بكلـمات الله التامـات مـن شر مـا خلـق، لم يـضره شيء حتـى يرتحـل مـن منزلـه ذلـك « رواه مسـلم .

وهـذا الاسـتخدام والاسـتمتاع سـيعاقب الله الكافريـن عليـه مـن تسـخيرهم للجـن قـال تعـالى

« وَيَـوْمَ يَحْشُرُهُـمْ جَمِيعًـا يَامَعْـشَرَ الْجِنِّ قَـدِ اسْـتَكْثَرْتُمْ مِـنَ الْإِنْـسِ وَقَـالَ أَوْلِيَاؤُهُـمْ مِـنَ الْإِنْـسِ رَبَّنَـا اسْـتَمْتَعَ بَعْضُنَـا بِبَعْـضٍ وَبَلَغْنَـا أَجَلَنَـا الَّـذِي أَجَّلْـتَ لَنَـا قَـالَ النَّـارُ مَثْوَاكُـمْ خَالِدِيـنَ فِيهَـا إِلَّا مَـا شَـاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّـكَ حَكِيـمٌ عَلِيـمٌ »

فالجـن لا يخـدم الإنـس إلا إذا قـدم لـه شـيئًا، وهـذا هـو اسـتمتاع بعضهـم ببعـض كـما أن اسـتخدام الجـن في بعـض الأمـور المباحـة أو الطاعـات ذريعـة للـشرك، وقاعـدة «سـد الذرائـع» تمنـع مـن ذلـك لمـا فيـه مـن مخاطـر عديـدة عـلى عقيـدة المسـلم فعـلى الإنسـان البعـد عـن كل الأمـور التـي تجـره إلى الذنـب الـذي لا يغفـره الله تعـالى.



التعريف بالكاتبة

د : منى حارس محمد طبيبة بيطرية ...

من أعمال الكاتبة في مجال الرعب:

- رواية لعنة الضريح جزء أول .
- رواية قرين الظلام جزء ثان.
- رواية متجر العجائز.
- رواية رسائل من الجحيم.

لعنـــة الأرواح مجموعـــة قصـــص قصـــيرة منهـــا قصـــص حدثـــت بالفعــل.

وفي مجال الكوميديا والأدب الساخر:

رواية عدلات وحرامي اللحاف.

صفحة التواصل على الفيس بوك :

Mona Hares

الايميل :

Monahares59@yahoo.com

وســوف أنتظــر آراؤكــم فى الروايـــة عــلى صفحــة التواصــل الاجتماعــي فيــس بــوك



noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007

قسم سليمان

" يا ابن أدم لا تتلفظ ولا تنطق بما لا تفهم ..حتى لا تموت على تلك الكلمات التى قلتها وأنت لا تفهم معناها "

غلاف : أسامة علام



